(1) وممّا ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين: أنّهما ليسا كما يسبق إلى الوهم كجناحي طائر وريشه؛ لأنّ الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها، فالمراد بالجناحين: صفة ملكية، وقوة روحانية، أعطيها جعفر، وقد عبّر القرآن عن العضد بالجناح توسّعا في قوله تعالى لموسى: وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ وقال العلماء في أجنحة الملائكة: إنّها صفات ملكية، لا تفهم إلّا بالمعاينة؛ فقد ثبت أنّ لجبريل ست مئة جناح، ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلا عن أكثر من ذلك، وإذا لم يثبت خبر في بيان كيفيّتها.. فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها. انتهى ما قاله السهيلي في «روضه» ملخصا، ولم يسلمه الحافظ في الفتح؛ فإنّه قال: (ما جزم به في مقام المنع، والذي حكاه عن العلماء ليس صريحا في الدلالة على مدّعاه، ولا مانع من الحمل على الظاهر والحقيقة، إلّا من جهة ما ذكره من قياس الغائب على الشاهد، وهو ضعيف؛ لعدم الجامع، وما استدلّ به من كون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره؛ لأنّ الصورة باقية كما هي، وإعطاء الجناحين له إكراما، وقد روى البيهقي في «الدلائل النبوية» من مرسل عاصم بن عمرو بن قتادة: أنّ جناحي جعفر من ياقوت، فهو صريح في ثبوتهما له حقيقة، وأنّه ليس من أجنحة الطير التي هي من ريش، وجاء في جناحي جبريل أنّهما من لؤلؤ، أخرجه ابن منده في ترجمة ورقة) من كتاب «المعرفة» له. وقد نقل هذا في «شرح المواهب» العلّامة الزرقاني، ثمّ قال عن بعض العلماء: (إنّ هذا التأويل لا يليق مثله بالإمام السهيلي، بل هو أشبه بكلام الفلاسفة والحشوية، ولا ينكر الحقيقة إلّا من ينكر وجود الملائكة؛ وقد قال تعالى: أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ) اهـ

إن أجلب الناس وشدّوا الرّنّه ... ما لي أراك تكرهين الجنّه
قد طالما قد كنت مطمئنّه ... هل أنت إلّا نطفة في شنّه

وقال أيضا:

يا نفس إن لم تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنّيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

يريد ب (فعلهما) : فعل زيد وجعفر، فلمّا نزل.. أتاه ابن عمه بعرق من لحم، فقال: شدّ بهذا صلبك؛ فإنّك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده، ثمّ انتهس منه نهسة، ثمّ سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا؟ ثمّ ألقاه من يده، ثمّ أخذ سيفه، فتقدم فقاتل حتى قتل.

تأمر خالد بن الوليد:

ثمّ أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان فقال:
يا معشر المسلمين؛ اصطلحوا على رجل منكم، قالوا:
أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن

الوليد، فلمّا أخذ الراية.. دافع القوم وخاشاهم «1» حتى انصرف الناس.
وروى الطّبراني من حديث أبي اليسر الأنصاريّ، كما نقله عنه في «الفتح» قال: أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لمّا أصيب عبد الله بن رواحة، فدفعها إلى خالد بن الوليد، وقال: أنت أعلم بالقتال مني.
وقول الناظم: (ولأيا انبرا) أي: مشى عبد الله بن رواحة بعد لأي- بفتح اللام وسكون الهمزة- أي: بطء، وذلك أنّه رضي الله عنه تلكأ في المسير، وبكى، ثمّ قال: والله؛ ما بي حب الدنيا ... إلى آخر ما تقدم.
ويحتمل أن يكون المعنى: أنّ الجيش المذكور انبرى، وسار في هذه الغزوة بعد جهد ومشقة؛ لقلّة المسلمين، وكثرة الكافرين، وبعد السفر والشقة وإن كانت العاقبة للمسلمين.
واللأي: كالسعي، قال زهير بن أبي سلمى:
وقفت بها من بعد عشرين حجّة ... فلأيا عرفت الدّار بعد توهّم

---

(1) ذكر السهيلي في «الروض» عند ذكر ابن إسحاق مخاشاة خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة: أنّ المخاشاة المحاجزة، وهي مفاعلة من الخشية؛ لأنّه خشي على المسلمين لقلة عددهم، ومن رواه (حاشى) بالحاء المهملة.. فهو من الحشي، وهي: الناحية، وعن ابن قتيبة في «المعارف» : (أنّه سئل عن قولهم: حاشى بهم.. فقال: معناه انحاز بهم) اهـ

ورفعت للهاشميّ المعركه ... فعاين الّذي أتوا وأدركه
إخبار الرسول صلّى الله عليه وسلّم أصحابه بما وقع قبل وصول الخبر:
وكشفت الأرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر إلى معترك القوم عيانا، كما أشار إلى ذلك الناظم بقوله:
(ورفعت للهاشميّ) صلى الله عليه وسلم (المعركة) بفتح الراء وتضم؛ أي: موضع قتال القوم (فعاين الذي أتوا) من نزال الأمراء الثلاثة، وكيف استشهدوا، وغير ذلك ممّا سبق لك، وأخبر به أصحابه بالمدينة قبل وصول الخبر بأيام وقال: «إنّ الله زوى لي الأرض حتى رأيت معترك القوم» .
وقوله: (وأدركه) أي: تحققه، أتى به بعد قوله:
(وعاين) زيادة في الفائدة، وذلك أنّ الإنسان قد يرى شيئا، ويعاينه، ولم يتحققه، فكان هذا أقرب إلى التأسيس منه إلى التأكيد، خلافا لما ذكره في «روض النّهاة» من أنّه لمحض التأكيد؛ إذ التأسيس هو الأليق أن يحمل الكلام عليه مهما أمكن، ويساعد هذا الحمل ما علّل هو به ممّا ذكرته هنا.
قال الشهاب في «المواهب» : (وذكر موسى بن عقبة في «المغازي» : أنّ يعلى بن أميّة قدم بخبر أهل

مؤتة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن شئت.. فأخبرني، وإن شئت.. أخبرتك» قال: أخبرني، فأخبره خبرهم، فقال: والذي بعثك بالحق؛ ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره) وتمامه كما عند الزرقاني: (وإنّ أمرهم لكما ذكرت، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم») .

(1/567)

وروى الإمام البخاري في «جامعه» عن أنس رضي الله عنه: (أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس، قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثمّ أخذها جعفر فأصيب، ثمّ أخذها ابن رواحة فأصيب– وعيناه تذرفان– حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم» وفي رواية: «ثمّ أخذ اللواء خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء، وهو أمير نفسه، ثمّ قال صلى الله عليه وسلم: «اللهمّ؛ إنّه سيف من سيوفك، فأنت تنصره» فمن يومئذ سمّي سيف الله.

انتصار جيش المسلمين:

وفي قوله صلى الله عليه وسلم هذا: دليل على أنّ أهل مؤتة رجعوا منصورين، قال الشهاب عن الحاكم: (قاتلهم خالد بن الوليد، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وأصاب غنيمة؛ أي: فكانت الهزيمة على المشركين) .

ومن أجل ذلك لمّا قال في «المواهب» : (إنّه قتل من قتل من المسلمين) أي: وهم اثنا عشر.. قال الزرقاني:

(وفي هذا عناية من الله بالإسلام وأهله، ومزيد إعزاز ونصر لهم؛ إذ جيش عدّته ثلاثة آلاف، يلقى أكثر من مئتي ألف، فلا يقتل منهم إلّا اثنا عشر، مع أنّهم اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام) .

ولمّا دنا الجيش من المدينة قافلا.. لقيهم الصبيان

(1/568)

يشتدون، ورسوله الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم، وأعطوني ابن جعفر، فأتي بعبد الله، فحمله بين يديه، وجعل الناس يحثون التراب على الجيش، ويقولون: يا فرّار، فررتم في سبيل الله؟! فيقول رسول الله: «ليسوا بالفرار، ولكنّهم الكرّار إن شاء الله تعالى» .

التعريف بالأمراء الثلاثة:

وحيث حدابنا المقام إلى هؤلاء الأمراء الثلاثة.. فلا بأس أن نلمّ بشيء من التعريف بهم؛ تيمّنا بذكراهم وإن كانوا في غنية عن التعريف؛ لشرفهم العظيم بالانتساب الحقيقي إلى الجناب النبويّ،

رضوان الله تعالى عليهم، لكنّا في شديد الحاجة إلى معرفة حياتهم في ذلك العصر النبويّ؛ لنقتفي آثارهم، ونتيمّن بمآثرهم، ونعطر النواحي بأريج شذاهم، فأقول، وبهم على العدا أصول:

زيد بن حارثة:

أمّا سيدنا زيد: فهو ابن حارثة بن شراحيل– بفتح الشين– ابن كعب الكلبيّ نسبا، القرشيّ بالولاء، حبّ رسول الله، وأبو حبّه، وأمّه سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيء، يقال: إنّها زارت قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على أبيات بني معن، فاحتملوا زيدا وهو غلام يفعة، فأتوا به في سوق عكاظ، فعرضوه

(1/569)

للبيع، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بأربع مئة درهم، وهو ابن ثمان سنين، كما قاله في «تهذيب الأسماء» فلمّا تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وهبته له، وكان أبوه حارثة حين فقده قال:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحيّ فيرجى أم أتى دونه الأجل

من أبيات استوفاها الحافظ ابن عبد البر في «الإستيعاب» ثمّ إنّه حجّ ناس من كلب، فرأوا زيدا، فعرفهم وعرفوه، فقال: أبلغوا أهلي هذه الأبيات:

أحنّ إلى قومي وإن كنت نائيا ... فإنّي قعيد البيت عند المشاعر

فكفّوا من الوجد الذي قد شجاكم ... ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر

فإنّي بحمد الله في خير أسرة ... كرام معدّ، كابرا، بعد كابر

فانطلقوا فأعلموا أباه، ووصفوا له موضعه، فخرج حارثة وكعب أخوه بفدائه، فقدما مكة، فسألا عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه، فقالا:

يا ابن عبد المطلب، يا ابن سيد قومه؛ أنتم أهل حرم الله:

تفكّون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ولدنا عبدك، فامنن علينا، وأحسن في فدائه، قال: «وما ذاك؟» قالوا:

(1/570)

زيد بن حارثة، فقال: «أو غير ذلك؟ ادعوه فخيّروه، فإن اختاركم.. فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني.. فو الله؛ ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء» قالوا: زدتنا على النّصف، فدعاه، فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» قال: نعم، هذا أبي، وهذا عمي، قال: «فأنا من قد رأيت صحبتي لك، فاختر أو اخترهما» فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحدا، أنت مني بمكان الأب والعم، فقالا: ويحك! أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟! فقال: نعم؛ إنّي قد رأيت من

هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا، فلمّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك.. أخرجه إلى الحجر فقال: «اشهدوا أنّ زيدا ابني، يرثني وأرثه» فلمّا رأى ذلك أبوه وعمه.. طابت أنفسهما وانصرفا، فدعي زيد بن محمّد، حتى جاء الله بالإسلام وأنزل قوله تعالى: ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ الآية.

ولمّا تبنّاه.. زوّجه صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أميمة بنت عبد المطلب، قال ابن عمر رضي الله عنهما: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلّا زيد بن محمّد حتى نزلت ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ أخرجه البخاريّ.

قال الحافظ في «الإصابة» : (ويقال: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم سمّاه زيدا؛ لمحبة قريش في هذا الاسم، وهو اسم قصيّ) .

(1/571)

قلت: وقد تقدم في شعر أبيه ما يدل على أنّه يسمى زيدا من قبل، فلعلّ المراد- إن ثبت ما ذكر- أنّه عليه الصّلاة والسّلام أثبت هذا الاسم وقرره ولم يغيّره، كما كان يغير بعض أسماء من أسلم، والله أعلم.

ثمّ قال في «الإصابة» : (قال عبد الرزاق عن معمر، عن الزّهريّ قال: ما نعلم أنّ أحدا أسلم قبل زيد بن حارثة) .

قلت: وقال غيره: أول من أسلم علي بن أبي طالب، أو خديجة بنت خويلد، أو أبو بكر الصدّيق، أو بلال، وقد أشار إلى هذا الاختلاف والجمع بين الأقوال بما يصير به الخلاف لفظيا.. الحافظ السيوطيّ في «نظم الدرر» بقوله:

واختلفوا أوّلهم إسلاما ... وقد رأوا جمعهم انتظاما
أول من أسلم في الرجال ... صدّيقهم وزيد في الموالي
وفي النسا خديجة، وذي الصّغر ... عليّ، والرق بلال استقر

مناقب زيد:

ومن المناقب التي حفظت لزيد: أنّه ذكر في القرآن باسمه العلم، وليس ذلك لغيره، وما قيل: إنّ السّجلّ في قوله تعالى: كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ هو اسم كاتب.. فضعيف أو غلط كما قاله النووي في «التهذيب» .

(1/572)

قال في «روض النهاة» عن السهيلي: (ولمّا نزلت الآية يعني قوله تعالى: ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ فامتثلها زيد، وقال:

أنا ابن حارثة. جبر الله وحشته، وشرّفه بأن سمّاه باسمه في القرآن، فقال تعالى: فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً حتى صار وحيا يتلى في المحاريب، فنوّه به غاية التنويه، فكان في هذا تأنيس له، وعوض من أبوّة سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم له، ألا ترى قول أبيّ بن كعب حين قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك سورة كذا» يعني (سورة لم يكن) فبكى أبيّ، قال: وذكرت هنا لك؟! وكان بكاؤه من الفرح حين أخبر أنّ الله تعالى ذكره، فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى مخلّدا لا يبيد؟ يتلوه أهل الدنيا إذا قرؤوا القرآن، وأهل الجنة كذلك في الجنان، ثمّ زاده في الآية غاية الإحسان إذ قال: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ يعني:
بالإيمان، فدلّ على أنّه عند الله من أهل الجنان، وهذه فضيلة أخرى، هي غاية منتهى أمنية الإنسان)
.
قال في «الإصابة» : (شهد زيد بن حارثة بدرا وما بعدها.
وعن البراء بن عازب أنّ زيدا قال: يا رسول الله؛ آخيت بيني وبين حمزة، أخرجه أبو يعلى.
وعن محمّد بن أسامة بن زيد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة: «يا زيد؛ أنت مولاي،

ومني، وإليّ، وأحب الناس إليّ» أخرجه ابن سعد بإسناد حسن.
وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«وايم الله؛ إن كان لخليقا للإمارة– يعني زيد بن حارثة– وإن كان لمن أحب الناس إليّ» أخرجه البخاري.
وعن ابن عمر أيضا: افترض عمر لأسامة أكثر ممّا فرض لي، فسألته، فقال: إنّه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، وإنّ أباه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك.
قال الحافظ: صحيح) .
قلت: وهذا من سيدنا عمر تواضع وإظهار لفضيلة أسامة وأبيه، والمؤمن يهضم نفسه.
وذكر الحافظ ابن عبد البر في «الإستيعاب في أسماء الأصحاب» بسنده إلى الليث بن سعد قال:
(بلغني أنّ زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلا من الطائف، واشترط عليه المكري أن ينزله حيث شاء، قال: فمال به إلى خربة، فقال له:
انزل، فنزل، فإذا في الخربة قتلى كثيرون، قال: فلمّا أراد أن يقتله.. قال له: دعني أصلّي ركعتين، قال: صلّ؛ فقد صلّى قبلك هؤلاء، فلم تنفعهم صلاتهم شيئا، قال: فلمّا صلّيت.. أتاني ليقتلني، قال فقلت: يا أرحم الراحمين؛ قال: فسمع صوتا: لا تقتله، فهاب ذلك، فخرج يطلب صاحبه فلم يجد شيئا، فرجع إليّ، فناديت يا أرحم الرّاحمين

– فعل ذلك ثلاثا– فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة حديد، في رأسها شعلة من نار، فطعنه بها، فأنفذها من ظهره، فوقع ميتا. ثمّ قال لي: لمّا دعوت المرة الأولى:
يا أرحم الرّاحمين.. كنت في السماء السابعة، فلمّا دعوت المرة الثانية: يا أرحم الرّاحمين.. كنت في سماء الدنيا، فلمّا دعوت في المرة الثّالثة.. أتيتك) اهـ
وأشار الناظم في «عمود النسب» إلى هذه القصة بقوله:
والحب زيد اكترى من رجل ... مطية ونزلا بمنزل
ليس به غير عظام قتلا ... رجالها الرجل ذا وحملا
عليه فاستغاث زيد بالرحيم ... وعنه فرج بإهلاك الرجيم
وذكر الحافظ السيوطي وغيره: أنّه لا يعرف أربعة توالدوا صحابة لسوى أبي قحافة، وزيد بن حارثة، وأشار له في «نظم الدرر» بقوله:
وأربع توالدوا صحابه ... حارثة المولى أبو قحافه
فإنّه ولد لأسامة بن زيد ولد اسمه محمّد، على عهد النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وحارثة تقدم أنّه شاهد النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وأبو قحافة والد سيدنا أبي بكر

صحابي، وأسماء بنت أبي بكر صحابية، وولدها عبد الله بن الزّبير أيضا صحابي جليل، مصّ دم النّبيّ صلى الله عليه وسلم من حجامته.
قال في «روض النهاة» : (ولد لأسامة بن زيد محمّد بن أسامة على عهد النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وعثر يوما فدمي وجهه، فمصّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم دمه، ودخل يعقوب بن محمد بن أسامة المسجد يوما يجرّ ثيابه، وعبد الله بن عمر جالس في المسجد، فغضب وقال: من هذا؟ فقيل: يعقوب بن محمّد بن أسامة، فطأطأ رأسه، ونقر بين يديه الأرض، ثمّ قال: لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم.. لأحبّه)
ذكر الإمام النوويّ في «التهذيب» : (أنّه روي لزيد عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم حديثان) .
وبمناسبة ذكر سيدنا زيد، لا بأس بإتمام مواليه صلى الله عليه وسلم؛ تتميما للفائدة:

مواليه صلى الله عليه وسلم:

فأقول بالعطف على زيد: وابنه أسامة، وثوبان بن بجدد بضم الموحدة والدال، وإسكان الجيم، بضبط أبي زكريا النووي في «تهذيبه» وأنسة بفتح الهمزة والنون، وفضالة اليماني، وشقران، بضم الشين، ورباح بالموحدة، ويسار الراعي، وولود، وطهمان، ومأبور القبطيّ الذي أهداه

المقوقس، وعبيد أبو صفية، وواقد، وأبو عبيد، وأبو واقد، ورافع، وهشام، وحنين، وأحمر ويكنى أبا عسيب– وسليم ويكنى بأبي كبشة شهد بدرا، وكركر بكسر الكافين، وقيل: بفتحهما، كان على ثقل النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وزيد بن بولا، وأسلم– ويكنى أبا رافع– وسفينة، وأنجشة، ومدعم بكسر الميم، وإسكان الدال، وفتح العين المهملتين، وأبو أمامة، وأبو هند، وأبو ضمرة، فجملتهم تسعة وعشرون، أشار لهم العلّامة الشيخ عبد العزيز الفاسي في منظومته «قرة الأبصار» بقوله:

بيان ما له من الموالي ... والخدم الأحرار باحتفال
زيد، أسامة، ابنه ثوبان ... انسة، فضالة، شقران
ثمّ رباح، ويسار، وارد ... طهمان، مأبور، عبيد، واقد
وأبواهما، ورافع، هشام ... حنين، أحمر، سليم ذو اهتمام
كركرة النّوبيّ، زيد، اسلم ... سفينة، أنجشة، ومدعم
أبو أمامة، أبو هند، أبو ... ضمرة، والإماء حين تحسب

(1/577)

جعفر بن أبي طالب:

أمّا سيدنا جعفر: فهو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو عبد الله، وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشقيق عليّ، أسنّ منه بعشر سنين، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وطالب أسنّ من عقيل بعشر سنين.

وأمهم فاطمة بنت أسد: أول هاشمية تزوجها هاشميّ، وأسلمت، وهاجرت إلى المدينة، وتوفّيت بها، وصلّى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل في قبرها، وكان يكرمها، وفاطمة هذه إحدى الفواطم التي قال صلى الله عليه وسلم لعليّ في ثوب حرير: «قسّمه بين الفواطم الثلاث» والثانية: فاطمة بنته صلى الله عليه وسلم، والثالثة: فاطمة بنت حمزة.

ولفاطمة بنت أسد بنتان؛ أم هانئ، وجمانة.

وجعفر: أحد السابقين الأوّلين إلى الإسلام، ثبت فيما رواه الشيخان: أنّه صلى الله عليه وسلم قال له: «أشبهت خلقي وخلقي» .

وهو أحد الخمسة المشبهين للنّبيّ صلى الله عليه وسلم، المجموعين في قول بعضهم:

بخمسة شبّه المختار من مضر ... يا حسن ما خوّلوا من شبهه الحسن!

(1/578)

بجعفر وابن عمّ المصطفى قثم ... وسائب وأبي سفيان والحسن

آخى النّبيّ صلى الله عليه وسلم بين صاحب الترجمة ومعاذ بن جبل، كما ذكره الحافظ في «الإصابة»

وكان يكنيه أبا المساكين؛ لأنّه كان يحبهم ويحبونه، ويجلس إليهم، ويتحدث معهم في لين جانب ومكارم يفيضها عليهم، ففي الصحيح عن أبي هريرة: (كان جعفر خير الناس للمساكين) .
وقال في «الإصابة» : (قال خالد الحذّاء عن عكرمة:
سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: ما احتذى النّعال، ولا ركب المطايا، ولا وطىء التراب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. أفضل من جعفر بن أبي طالب، رواه الترمذيّ والنسائي، وإسناده صحيح.
وروى البغويّ من طريق المقبريّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان جعفر يحب المساكين، ويجلس إليهم، ويخدمهم ويخدمونه، ويحدّثهم ويحدثونه، فكان صلى الله عليه وسلم يكنيه أبا المساكين) .
هاجر إلى الحبشة، وأسلم النجاشيّ ومن تبعه على يديه، وأقام عنده ومعه زوجته أسماء بنت عميس، فولدت له هناك عبد الله بن جعفر، وهو أوّل مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة.
ثمّ قدم من الحبشة هو ومن صحبه من المهاجرين، ومن

دخل في الإسلام هناك، وجاؤوا في سفينتين في البحر، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسهم لهم منها، ولم يسهم لمن لم يحضرها غير أهل السفينتين، ثمّ سكن المدينة إلى أن خرج إلى مؤتة.
وفي «صحيح البخاريّ» عن أبي هريرة رضي الله عنه:
(كان خير الناس للمساكين جعفر رضي الله عنه، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العكّة التي ليس فيها شيء؛ ليشقّها فنلعق ما فيها) .
وعنه أيضا: قال صلى الله عليه وسلم: «رأيت جعفرا يطير في الجنة مع الملائكة» رواه الترمذيّ.
وله من الأولاد من زوجه أسماء بالحبشة: عبد الله، وعون، ومحمّد.
قال الإمام النووي: (والعقب لعبد الله دون أخويه، ويوم ولد له عبد الله.. ولد فيه للنجاشيّ ولد، فسأل جعفرا: ماذا سميت ابنك يا جعفر؟ لنسمي به ابننا، فسمّاه عبد الله، وأرضعته أسماء بلبن ابنها عبد الله، فكانا يتواصلان لتلك الأخوّة، وكان قد أسلم النجاشيّ على يد جعفر) .
ولمّا قدم جعفر على النّبيّ صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر.. قال عليه الصّلاة والسّلام: «لا أدري بأيّهما أنا أشد فرحا: بقدوم جعفر، أم بفتح خيبر؟» .
ووجد يوم استشهد بجسده تسعون جراحة.

ويروي سعيد بن المسيّب مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثّل لي جعفر، وزيد، وعبد الله في خيمة من درّ فوق أسرّة، فرأيت زيدا وعبد الله، وفي أعناقهما حدود، ورأيت جعفرا مستقيما،

فقيل لي: إنّهما حين غشيهما الموت.. أعرضا بوجوههما، ومضى جعفر فلم يعرض» وأمر صلى الله عليه وسلم أن يصنع لأهل جعفر طعام؛ فإنّهم شغلوا بأمر صاحبهم.
قال السّهيلي: (وهذا أصل في طعام التعزية) .
قلت: يعني: يصنعه الناس لأهل الميت في غير كلفة ولا مباهاة، إنّما يحتسبون بذلك الأجر من الله؛ فإنّه قد نزل بأهل الميت ما قد شغلهم، أمّا فتح دار الميت بعمل الطعام، والدعوة للطعام.. فإنّها بدعة سيئة جدا، سادت في كثير، حتى ظنّ أنّها من السنن الشّرعية، أو الواجبات الدينية، وحتى ترى بعض الفقراء الذين يصابون بفقيدهم، ولا يستطيعون أن يقوموا بهذا العمل يبيعون شيئا من مخلفات الميت، وقد يوافق أنّ الميت ترك أطفالا قصّرا، بل كثيرا ما يستدينون المال الذي له بال، وينفقونه في الطعام للزائرين والزائرات في ذلك اليوم، وقد روى ابن ماجه والإمام أحمد بإسناد حسن عن جرير بن عبد الله البجليّ قال: (كنا نعد ذلك- أي: تهيئة أهل الميت الطعام- من النياحة) اهـ
وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن النّياحة، فينبغي أن يفهم

الناس هذا الأمر، وهذه البدعة حتى يقتلعوها من جذورها؛ فإنّه لا أضر على الناس من أمثال هذه العادات السيئة، نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعا إلى اتباع سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم في أقواله الرشيدة، وأفعاله السديدة.
هذا: والطعام الذي صنع لآل جعفر ذلك اليوم هو- كما روي عن ابنه عبد الله بن جعفر- شعير طحنته سلمى- مولاة للنّبيّ صلى الله عليه وسلم- ثمّ آدمته بزيت، وجعلت عليه فلفلا، فأكلوا منه، قال عبد الله: وحبسني النّبيّ صلى الله عليه وسلم في بيته مع أخويّ ثلاثة أيام» .
ولسيدنا عليّ رضي الله عنه مفتخرا- وما أجدره بذلك-:
محمّد النّبيّ أخي وصهري ... وحمزة سيّد الشّهداء عمّي
وجعفر الذي يضحي ويمسي ... يطير مع الملائكة ابن أمّي
وبنت محمّد سكني وعرسي ... منوطا لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها ... فأيّكم له فخر كفخري
سبقتكم إلى الإسلام طرّا ... صغيرا ما بلغت أوان حلمي
ولسيدنا جعفر يوم توفي ثلاث وثلاثون، أو إحدى وأربعون سنة.

عبد الله بن رواحة:
وأمّا سيدنا عبد الله بن رواحة: فهو أبو محمّد الأنصاري الحارثي شهد العقبة، وكان ليلتئذ نقيب بني الحارث من الخزرج، فهو أحد النقباء الاثني عشر، المجموعين في قول الناظم في «عمود النسب» :

وهم من الأوس أسيد فاعلمه ... رفاعة وسعد بن خيثمه
وتسع خزرج بنو بدور ... زرارة رواحة معرور
وابن عبادة وسعد بن الربيع ... ورافع بن مالك الشهم الرفيع
عبد الإله نجل عمرو بن حرام ... ومنذر ونجل صامت الهمام
شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا الفتح؛ فقد علم أنّه توفي قبله.
وهو خال النعمان بن بشير؛ لأنّ أم النعمان عمرة بنت رواحة.
وكان أحد شعراء النّبيّ صلى الله عليه وسلم، الذين ينافحون عنه وعن الإسلام المجموعين في قول الحافظ السيوطي:
وشعراء المصطفى ذوو الشان ... ابن رواحة وكعب حسّان

(1/583)

وهم متفاوتون: كان حسّان رضي الله عنه يطعن في أنساب المشركين، وكان كعب بن مالك يذكّرهم بوقع السيوف، وعبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر وعبادة ما لا ينفع، فكان شعر صاحب الترجمة يومئذ أهون على كفار قريش، وكان قول كعب وحسّان أشدّ القول عليهم، فلمّا أسلموا وفقهوا.. كان أشد القول عليهم وأنكاه فيهم قول ابن رواحة.
قال الزّبير بن العوام رضي الله عنه: ما رأيت أحدا أجرأ ولا أسرع شعرا من ابن رواحة.
وعن أبي الدرداء قال: أعوذ بالله أن يأتي يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة كان إذا لقيني.. يقول: يا عويمر؛ اجلس فلنؤمن ساعة، فنجلس فنذكر الله ما شاء الله، ثمّ يقول:
يا عويمر هذا الإيمان. اهـ
وهو الذي شجّع المسلمين في مؤتة على لقاء الكفار، بل شجع نفسه كما سبق.
وفي «الصحيحين» عن أبي الدرداء قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان في حرّ شديد، حتى إنّ أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلّا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الله بن رواحة.
قال ابن سعد: (كان يكتب للنّبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو الذي جاء ببشارة وقعة بدر إلى المدينة) .

(1/584)

قال الحافظ: (وفي فوائد أبي طاهر الذّهليّ، من طريق ابن أبي ذئب عن سهل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «رحم الله ابن رواحة؛ إنّه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة») اهـ
وكان إذا لقي أحدا.. قال له: اجلس بنا نؤمن ساعة.

وأخرج البيهقي بسند صحيح: كان النّبيّ صلى الله عليه وسلم يخطب، فدخل عبد الله بن رواحة، فسمعه يقول:
«اجلسوا» فجلس مكانه خارجا من المسجد، فلمّا فرغ..
قال له: «زادك الله حرصا على طواعية الله، وطواعية رسوله» وكفى بهذه منقبة لابن رواحة، ممّا يدل في وضوح على خضوعه لأوامره وإشاراته صلى الله عليه وسلم؛ ابتغاء مرضاته، فهو لمن سواه القدوة والغاية المثلى.
قال الحافظ: (وفي «الزهد» لابن المبارك بسند صحيح عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى، قال: تزوج رجل امرأة عبد الله بن رواحة، فسألها عن صنيعه، فقالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته.. صلّى ركعتين، وإذا دخل بيته.. صلّى ركعتين، لا يدع ذلك، وكان عبد الله أول خارج إلى الغزو، وآخر قافل) .
وقال ابن إسحاق: (حدّثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، قال: كان زيد بن أرقم يتيما في حجر عبد الله بن رواحة، فخرج معه إلى سريّة مؤتة، فسمعه في الليل يقول:

إذا أدنيتني وحملت رحلي ... مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذمّ ... ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المؤمنون وخلّفوني ... بأرض الشام مشهود الثّواء
فبكى زيد بن أرقم، فخفقه «1» بالدّرة، فقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة، وترجع بين شعبتي الرحل) فذكر القصة في صفة قتله في غزوة مؤتة ... بعد أن قتل جعفر، وقبله زيد بن حارثة.
وقال ابن سعد: (أنبأنا يزيد بن هارون، أنبأنا حماد عن هشام، عن أبيه: لما نزلت وَالشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله أنّي منهم، فأنزل الله: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ الآية) .
وقال ابن سعد: (حدّثنا عبيد الله بن موسى، حدّثنا عمر بن أبي زائدة عن مدرك بن عمارة، قال: قال عبد الله بن رواحة: مررت في مسجد الرسول ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وعنده أناس من الصحابة في ناحية منه، فلمّا رأوني.. قالوا: يا عبد الله بن رواحة؛ فجئت، فقال:

---

(1) من باب: نصر وضرب، والخفق: هو الضرب بالدرة- بكسر الدال المشددة- كما يؤخذ من «القاموس» (مادة درر) .

«اجلس ههنا» فجلست بين يديه، فقال: «كيف تقول الشعر؟» قلت: أنظر في ذلك، ثمّ أقول، قال: «فعليك بالمشركين» ولم أكن هيّأت شيئا، فنظرت، ثمّ أنشدته:

إنّي تفرّست فيك الخير أعرفه ... والله يعلم أن ما خانني البصر
أنت النبيّ ومن يحرم شفاعته ... يوم الحساب لقد أزرى به القدر
فثبّت الله ما أتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا
قال: فأقبل بوجهه مبتسما، وقال: «وإياك فثبّتك الله» قال هشام بن عروة: فثبته الله عزّ وجلّ أحسن الثبات، فقتل شهيدا، وفتحت له الجنة فدخلها.
قال المرزباني في «معجم الشعراء» : (كان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام، وكان يناقض قيس بن الخطيم في حروبهم، ومن أحسن ما مدح به النّبيّ صلى الله عليه وسلم قوله:
لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تنبيك بالخبر
وقصته مع زوجته حين وقع على أمته مشهورة، وذلك أنّه مشى ليلة إلى أمة له فناالها، وفطنت له امرأته فلامته، فجحدها وكانت قد رأت جماعه لها- فقالت له: إن كنت صادقا..

(1/587)

فاقرأ القرآن؛ فالجنب لا يقرأ القرآن، فقال:
شهدت بأنّ وعد الله حقّ ... وأنّ النار مثوى الكافرينا
وأنّ العرش فوق الماء حقّ ... وفوق العرش ربّ العالمينا
وتحمله ملائكة غلاظ ... ملائكة الإله مسوّمينا
فقالت امرأته: صدق الله، وكذبت عيني، وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه) .
قال الحافظ ابن عبد البر في «الإستيعاب» : (ورويناها من وجوه صحاح)
وذكر أصل هذه القصة أيضا الإمام أبو زكريا النّوويّ في «شرح المهذّب» احتجاجا على حرمة القراءة على الجنب، على ضعف في إسنادها وانقطاع.
وذكرها خاتمة المحققين بمصر القاهرة: العلامة الأمير، وزاد في آخرها: (فأتى ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحدّثه، فضحك ولم يعيّره، وقال: أخرج ذلك ابن عساكر عن عبد العزيز بن أخي الماجشون بلاغا عن ابن رواحة.
قال: وأخرج أيضا عن عكرمة مولى ابن عباس: أنّ عبد الله بن رواحة كان مضطجعا إلى جنب امرأته، فخرج إلى

(1/588)

الحجرة، فواقع جارية له، فاستيقظت المرأة ولم تره، فخرجت فإذا هو على بطن الجارية، فرجعت فأخذت الشّفرة، وجاءت، فقال: مهيم؛ مهيم، فقالت مهيم؟ أما إنّي لو وجدتك حيث كنت.. لوجأتك بها، قال: وأين كنت؟
قالت: على بطن الجارية، قال: ما كنت، قالت: بلى، قال: فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى

أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب، قالت اقرأه، فقال:
أتانا رسول الله يتلو كتابه ... كما لاح مشهور من الصبح ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أنّ ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجع
فقالت: أما إذ قرأت القرآن.. فإنّي أتهم ظنّي وأصدقك، قال ابن رواحة: فغدوت إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فضحك حتى بدت نواجذه، حتى ردّ يده على فيه، وقال: «إنّ خياركم خيركم لنسائه، لقد وجدتها ذات فقه في الدين») .
وهذا الحديث مشهور بين علماء الحديث، وقوله:
(مهيم) كلمة استفهام؛ أي: ما حالك وشأنك؟ أو ما وراءك؟ أو أحدث لك شيء؟

(1/589)

فإن قلت: كيف يصح لابن رواحة أن يقرأ الأبيات جوابا لقول امرأته: إن كنت صادقا فاقرأ القرآن؟ وكيف يقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك؟
قلت: أجاب العلّامة الأمير في رسالة له صغيرة الحجم، جمة العلم، جعلها ردا على من يقول بكفر اللاحن في القرآن:
بأنّ ابن رواحة رضي الله عنه لم يقل: هذا قرآن، وإنّما عدل إلى شيء آخر غير ما أمرت به زوجته، وليس امتثال أمرها واجبا عليه، ولا توهّمها هي في نفسها أنّ هذا قرآن بملحق به إثما، وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «هذا لعمري من معاريض الكلام» يعني والله أعلم-: أنّه مال إلى عرض وجانب آخر، غير ما يريده المخاطب، والله أعلم بحقيقة الحال.
قال سيدنا حسّان- رضي الله عنه- يبكي جعفرا وصاحبيه:
تأوّبني ليل بيثرب أعسر ... وهمّ إذا ما نوّم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيّجت ثمّ عبرة ... سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلاء وفقدان الحبيب بليّة ... وكم من كريم يبتلى ثمّ يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا ... شعوب وقد خلّفت فيمن يؤخّر

(1/590)

فلا يبعدنّ الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعا وأسباب المنيّة تخطر
غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النّقيبة أزهر
أغرّ كلون البدر من آل هاشم ... أبيّ إذا سيم الظّلامة مجسر
فطاعن حتى مات غير موسّد ... بمعترك فيه القنا يتكسّر

فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتفّ الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمّد ... وفاء وأمرا حازما حين يأمر
فما زال في الإسلام في آل هاشم ... دعائم عزّ لا ترام ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حوله ... رضام إلى طود يروق ويقهر
بهم تكشف اللّأواء في كل مأزق ... عماس إذا ما ضاق بالقوم مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهّر

(1/591)

بهاليل منهم جعفر وابن أمّه ... عليّ ومنهم أحمد المتخيّر
وحمزة والعباس منهم ومنهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر
قلت: ومناقب هؤلاء الأمراء الأفذاذ– رضوان الله عليهم– مشهورة، وهي فوق ما ذكرنا.
ولنختم الكلام على ترجمتهم بحديث فيه فضيلة عظيمة لهم، ذكره الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير عن الإمام الحافظ أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرّازي نضّر الله وجهه، في كتابه «دلائل النبوة» وهو كتاب جليل.
قال: (حدّثنا صفوان بن صالح الدمشقيّ، حدّثنا الوليد، حدّثنا ابن جابر.
وحدّثنا عبد الرّحمن بن إبراهيم الدمشقي، حدّثنا الوليد وعمرو، – يعني ابن عبد الواحد– قالا: حدّثنا ابن جابر، سمعت سليم بن عامر الخبائريّ يقول: أخبرني أبو أمامة الباهلي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بينا أنا نائم، إذ أتاني رجلان، فأخذا بضبعي، فأتيا بي جبلا وعرا، فقالا: اصعد، فقلت: لا أطيقه، فقالا: إنّا سنسهله لك، قال: فصعدت، حتى إذا كنت في سواء الجبل.. إذا أنّا بأصوات شديدة، فقلت: ما هؤلاء الأصوات؟ فقالا: عواء أهل النّار.

(1/592)

ثمّ انطلقا بي، فإذا بقوم معلّقين بعراقيبهم مشققة، تسيل أشداقهم دما، فقلت: ما هؤلاء؟ فقالا: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلّة صومهم. فقال: خابت اليهود والنصارى، قال سليم: سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم من رأيه؟!
ثمّ انطلقا بي، فإذا قوم أشدّ شيء انتفاخا، وأنتن شيء ريحا، كأن ريحهم المراحيض، قلت: من هؤلاء؟ قالا:
هؤلاء قتلى الكفار، ثمّ انطلقا بي فإذا بقوم أشدّ انتفاخا وأنتن شيء ريحا، كأنّ ريحهم المراحيض، قلت: من هؤلاء؟
قالا: هؤلاء الزّانون والزواني.
ثمّ انطلقا بي فإذا بنساء ينهشن ثديّهنّ الحيات، فقلت:

ما بال هؤلاء؟ قالا: هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهنّ ألبانهن «1» .
ثم انطلقا بي، فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين، قلت:
من هؤلاء؟ قالا: هؤلاء ذراريّ المؤمنين، ثم أشرفا بي شرفا، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم، فقلت: من هؤلاء؟ قالا: هذا جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، ثمّ أشرفا بي شرفا آخر، فإذا أنا بنفر

---

(1) فليعتبر نساء هذا العصر اللاتي يمنعن أطفالهنّ ألبان ثديهنّ، ويعمدن إلى القوارير المصطنعة لذلك، فلا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم. اللهمّ؛ اهد عبادك للخير.

ثلاثة، فقلت: من هؤلاء؟ قالا: هذا إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، وهم ينتظرونك») .

(27) غزوة الفتح الأعظم

فتح مكة زادها الله شرفا، وأهلها إنافة وكرما وتسمى فتح الفتوح؛ لأنّ العرب كانت تنتظر بإسلامها إسلام قريش، وتقول: هم أهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فإن غلبوا.. فلا طاقة لأحد بمحمّد، فلمّا فتح الله مكة.. دخلوا في دين الله أفواجا، بعد أن كانوا يدخلون فيه فرادى، ولم يقم بعده للشرك قائمة.
ولذلك قال العلّامة ابن القيّم في «زاد المعاد في هدي خير العباد» : (إنّه الفتح الأعظم، الذي أعزّ الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته، الذي جعله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزّه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا) اهـ

تاريخ هذه الغزوة وسببها:

وكان تاريخ هذه الغزوة في السنة الثّامنة من الهجرة، في شهر رمضان.

ثمّ إلى الفتح الخزاعيّ ذمر ... عشرة آلاف فعزّ وانتصر
وسببها: ما ذكره ابن إسحاق وغيره من أرباب السير، من نقض قريش للعهد الذي وقع بالحديبية.
وخلاصة ذلك: أنّه كان بين بني بكر– وقد دخلت في عقد قريش– وبين خزاعة– وقد دخلت في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم– عداوة وحروب في الجاهلية، فلمّا ظهر الإسلام.. تشاغلوا عن ذلك حتى كانت هدنة الحديبية، فخرج نوفل بن معاوية الدّيلي، من بني بكر في بني الدّيل، حتى بيّت

خزاعة– أي: جاءهم ليلا على ماء لهم، يقال له: الوتير، بناحية عرنة– فأصاب منهم رجلا، ولمّا علمت بهم خزاعة..
اقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم، ولم يتركوا القتال، وأمدّت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل بعض من قريش معهم ليلا في خفية.

قدوم عمرو بن سالم الخزاعي على الرسول صلّى الله عليه وسلّم:
ولمّا انتهى القتال خرج عمرو بن سالم الخزاعيّ في أربعين راكبا من خزاعة.. فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي أصابهم، ويستنصرونه، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسي» وإلى هذا أشار الناظم بقوله:
(ثمّ إلى الفتح) لأم القرى عمرو بن سالم (الخزاعي ذمر) بوزن نصر؛ أي: حضّ وحثّ (عشرة آلاف) من المسلمين (فعزّ) أي: غلب الخزاعيّ (وانتصر)

(1/595)

وهو الّذي تهلّلت لنصره ... سحابة ومن بليغ شعره
يا ربّ إنّي ناشد محمّدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
فإنّه صلى الله عليه وسلم أجابه بقوله: «نصرت يا عمرو بن سالم» .
وخرج بذلك العدد لقتال قريش لمّا علم أنّهم نقضوا العهد الذي كان أبرم يوم الحديبية بقتال حلفائه خزاعة، وتقدم أنّ خزاعة كانت عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية والإسلام
(وهو) أي: الخزاعيّ (الذي تهلّلت) :
تلألأت (لنصره سحابة) وهي: قطعة من الغيم، وقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ هذه السحابة لتستهلّ بنصر بني كعب» يعني خزاعة، وقال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه: «ارجعوا وتفرّقوا في الأودية» فرجعوا وتفرّقوا؛ فذهبت فرقة إلى الساحل، وفرقة لزمت الطريق، وقصد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إخفاء أمر مجيئهم.
(ومن بليغ شعره) أي: ومن شعر الخزاعيّ البليغ الذي يذكر فيه الحلف القديم، ونقض بني بكر للعهد، وتعدّيهم عليهم، وحثّ المسلمين على قتالهم وغير ذلك.. قوله وقد دخل المسجد على رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا ربّ إنّي ناشد) طالب (محمّدا) صلى الله عليه وسلم (حلف أبينا وأبيه) يريد عبد المطلب (الأتلدا) أي: الحلف القديم الذي بيننا.

(1/596)

وذلك: أنّ خزاعة كانت حلفاء عبد المطلب بن هاشم، ناصروه على عمه نوفل بن عبد مناف؛ فإنّ المطلب لمّا مات.. وثب نوفل على أفنية كانت لعبد المطّلب، واغتصبه إياها، فاستنهض لردّها همم

قومه، واستدرّ عطفهم، فلم ينهض معه أحد منهم، وأبوا أن يدخلوا بين عبد المطّلب وبين عمه نوفل، فكتب إلى أخواله بني النجار، فجاء منهم سبعون راكبا، فقالوا لنوفل: وربّ البنيّة؛ لتردّنّ على ابن أختنا ما أخذت، وإلّا.. ملأنا منك السيف، فردّه، ثمّ حالف خزاعة بعد أن حالف نوفل بني أخيه عبد شمس، وكان صلى الله عليه وسلم يعلم بهذا الحلف؛ فإنّهم وقفوه على كتاب عبد المطّلب، وهو مذكور بنصه في «السيرة الحلبية» للعلّامة ابن برهان الحلبي، ولأجل ذلك ذكّره الخزاعيّ بقوله: (حلف أبينا وأبيه الأتلدا) وهذا البيت ضمنه الناظم من أبيات للخزاعيّ، وهي:

قد كنتم ولدا وكنّا والدا «1» ... ثمّت أسلمنا فلم ننزع يدا «2»

---

(1) ولدا الأول يضبط بضم الواو في الولد، وبفتح الواو بعدها ألف في قوله: (وكنا والدا) قال السهيلي: (يريد أنّ بني عبد مناف أمهم من خزاعة، وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية) والولد بمعنى الولد.

(2) قوله: (ثمت أسلمنا) هو من السلم؛ لأنّهم لم يكونوا آمنوا بعد، غير أنّ قوله: (ركعا وسجدا) يدل على أنّه كان فيهم من صلّى لله، فقتل. من «الروضة» . وأراد بقوله: (ولم ننزع يدا) أي: لم نخرج يدا عن طاعتك، ولم ينتقض ما بيننا من الحلف.

فانصر هداك الله نصرا أيّدا «1» ... وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجرّدا ... أبيض مثل السّيف يسمو صعدا

إن سيم «2» خسفا وجهه تربّدا ... في فيلق «3» كالبحر يجري مزبدا

إنّ قريشا أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكّدا

وجعلوا لي في كداء «4» رصدا ... وزعموا أن لست أدعو أحدا «5»

وهم أذلّ وأقلّ عددا ... هم بيّتونا بالوتير هجّدا

وقتلونا ركّعا وسجّدا

---

(1) وفي رواية: (نصرا أعتدا) بضم الهمزة، وسكون المهملة، وكسر الفوقية؛ أي: أحضر، وهو من الشيء العتيد، وهو المهيّأ الحاضر، وضبط بهمز الوصل مع فتح الفوقية؛ أي: نصرا تاما متعديا إلينا.

(2) أي: إن قصد بذلّ له أو لأحد من أهل عهده.. تربد وجهه وتغير؛ لأنّه صلى الله عليه وسلم لا يرضى الضيم والنقص. اهـ

(3) الفيلق بتقديم الياء على اللام كالجحفل: الجيش العظيم، وجمعه فيالق.

(4) بفتح الكاف والمد: اسم لأعلى مكة بالحجون.

(5) قال العلّامة الأشخر في «شرح البهجة» : (أشار بقوله: «لست أدعو» أي: أعبد أحدا.. إلى قول نوفل بن معاوية الديلي حيث قال له بنو بكر: يا نوفل؛ إنّا دخلنا الحرم؛ أي: وقتلنا خزاعة فيه،

إلهك إلهك؛ أي: خف منه، فقال: إنّه لا إله له اليوم، أصيبوا آثاركم فيه) ذكره البغوي. وقوله: (هجّدا) جمع هاجد، بمعنى نائم. اه

(1/598)

لدعوة النّبيّ أخّر الخبر ... عن مكّة فلم يورّ بل جهر

(لدعوة) أي: لأجل دعاء (النّبيّ) صلى الله عليه وسلم، وهو قوله: «اللهمّ؛ خذ العيون والأخبار عن قريش؛ حتى نبغتها في بلادها» وفي رواية: «خذ على أسماعهم وأبصارهم، فلا يرونا إلّا بغتة، ولا يسمعون بنا إلّا فجأة» (أخّر الخبر) بالبناء للمفعول: أي: أخّر الله تعالى خبر خروجه صلى الله عليه وسلم (عن) أهل (مكة) وهذا يقتضي أنّه صدر منه صلى الله عليه وسلم الخبر بقصد الغزو، إلّا أنّ هذا الخبر لم يصل إلى العدوّ، ولذا قال الناظم:

(فلم يورّ) من التّورية: إذا أظهر شيئا وأراد غيره، بل لمّا أعلم أصحابه بالمسير إلى مكة.. أمرهم بالتجهيز والجدّ في الأمر، وكان من هديه عليه السّلام في غزوه: أنّه كان إذا أراد غزوا.. ورّى فيه، إلّا هذه وتبوك؛ لحكمة علمها صلى الله عليه وسلم، وساس الناس بها، فكان القدوة الحسنة، والمثل الأعلى لمن بعده (بل جهر) صلى الله عليه وسلم بذلك وأمر أهله أن يجهّزوه، ودخل أبو بكر على ابنته وهي تغربل حنطة، وتصنع في جهاز النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال:

أي بنيّة؛ أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيزه؟

قالت: نعم، فتجهّز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري؛ أي: أنّها لا تعلم وجهة قصده للغزو، وهذا كان في أول الأمر، ثمّ بعد ذلك أعلم الناس، وأعلن بالوجه الذي يريده، وهو قريش بمكة.

(1/599)

بعث الرسول صلّى الله عليه وسلّم ضمرة إلى قريش إعذارا لها:

ولمّا قدم ركب خزاعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبروه خبرهم.. قال عليه الصّلاة والسّلام: «فمن تهمتكم وظنتكم؟» قالوا: بني بكر، قال: «أكلها؟» قالوا: لا، ولكن بنو نفاثة، ورأسهم نوفل، قال: «هذا بطن من بني بكر– يعني بني نفاثة– وأنا باعث إلى أهل مكة، فسائلهم عن هذا الأمر، ومخيّرهم في خصال ثلاث» فبعث إليهم ضمرة، يخيرهم بين أن يدوا قتلى خزاعة، أو يبرؤوا من حلف بني نفاثة، أو ينبذ إليهم على سواء، فأتاهم ضمرة فأخبرهم، فقال قرطة بن عمرو: لا ندي، ولا نبرأ، لكنّا ننبذ إليه على سواء، فرجع بذلك، فندمت قريش على ما ردّوا، وبعثت أبا سفيان.

قلت: روى هذا ابن عائذ عن ابن عمر، ونقله في «شرح المواهب» وقد استحسنت ذكر هذا الخبر هنا، عقب قدوم وفد خزاعة؛ لبيان أنّه عليه الصّلاة والسّلام لم يفاجئ قريشا على غرة حتى تثبت في

الأمر، وسأل الركب عمّن كانوا يتّهمون، ولمّا علم من خبر الوفد أنّ تهمتهم كانت على بني نفاثة..
قال عليه الصّلاة والسّلام: «هذا بطن من بني بكر» يريد- والله أعلم- أنّ من الممكن أن تكون هذه الشّرذمة، أو هذا البطن من بني بكر، عصت على عصبتها الكبيرة وشذّت عنها، وأنّ قريشا بمكة لم تدخل في هذا الأمر، ولم ترض به، فهي على

وخاب صخر إذ أتى يرأب ما ... أثاه غدر قومه فانفصما

العهد مقيمة، فلذلك بعث عليه الصّلاة والسّلام ضمرة إلى قريش يسألهم عن هذا الأمر؛ ليزداد الموقف وضوحا، ولما لم يبق مجال للشكّ في أنّ القوم قد قاموا بما يوجب نقض العهد الذي أبرم أمس.. خيّرهم بين أمور ثلاثة، فكان عليه الصّلاة والسّلام قد أنذر وأعذر، وقام بالعهد المبرم.

بعث قريش أبا سفيان إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم:

ولمّا ردّت قريش ضمرة لذلك: على أن لا يدوا، ولا يبرؤوا، ولكنهم ينبذون على سواء.. ندمت على ذلك، فبعثت أبا سفيان إلى المدينة يسأله صلى الله عليه وسلم أن يجدّد العهد ويزيد في المدّة، فلم يردّ عليه شيئا، ورجع لمكة، ولم يأت بنجح، كما قال الناظم:

(وخاب) أبو سفيان (صخر) بن حرب ولم يظفر بمطلوبه، وكان هو سيد قريش، والمقدّم فيها بعد أبي جهل (إذ أتى) وقدم على النّبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة (يرأب) أي: يصلح (ما) أي: الأمر الذي (أثآه) يقال:

رأب الثأي: أصلح الفساد، وأثأى في القوم: أي: جرح فيهم، وأثأى الشيء أي: أفسده (غدر) بفتح الغين المعجمة؛ أي: ترك وفاء (قومه) قريش بإعانتهم بني بكر على خزاعة حلفاء المسلمين، ودخول بعض من قريش في ميدان القتال خفية ليلا، وظهور ذلك ظهور نار القرى.

ولمّا دخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها..

ذهب ليجلس على فراشه صلى الله عليه وسلم، فطوته عنه، فقال: ما أدري: أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟ قال: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحبّ أن تجلس على فراشه صلى الله عليه وسلم. قال: والله؛ لقد أصابك يا بنيّة بعدي شرّ، فقالت: بل هداني الله للإسلام، فأنت يا أبت سيّد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام، وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر؟ فقام من عندها، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فكلمه أن يجدّد العهد ويزيد في المدّة، فلم يرد عليه شيئا.

قال في «شرح المواهب» : (وعند الواقديّ: فقال:

يا محمّد؛ إنّي كنت غائبا في صلح الحديبية، فأجدد العهد، وزدنا في المدة، فقال صلى الله عليه وسلم: «فلذلك جئت؟» قال: نعم، فقال: «هل كان من حدث؟» فقال:
معاذ الله! نحن على عهدنا وصلحنا، لا نغيّر ولا نبدّل، فقال صلى الله عليه وسلم: «فنحن على ذلك» فأعاد أبو سفيان القول، فلم يرد عليه شيئا، فذهب إلى أبي بكر، فكلّمه أن يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما أنا بفاعل، فأتى عمر، فقال: أأنا أشفع لكم؟ والله؛ لو لم أجد إلّا الذّرّ لجاهدتكم به، ثمّ دخل على عليّ وعنده فاطمة، وحسن غلام يدب بين يديها، فقال: يا عليّ؛ إنّك أمسّ القوم

بي رحما، وإنّي جئت في حاجة، فلا أرجع كما جئت خائبا، فاشفع لي، فقال علي: ويحك يا أبا سفيان! والله؛ لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفت إلى فاطمة، فقال: يا بنت محمّد؛ هل لك أن تأمري بنيّك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله؛ ما بلغ بنيّ أن يجير بين الناس، وما كان يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثمّ قال لعليّ: يا أبا حسن؛ إنّي أرى الأمور وقد اشتدّت عليّ فانصحني، قال: والله؛ ما أعلم شيئا يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثمّ الحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا؟ قال: لا والله ما أظنه، ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيّها الناس؛ قد أجرت بين الناس، ولا والله ما أظن أن يخفرني أحد، ثمّ ركب بعيره وانطلق ولم يأت بظفر، كما قال: (فانفصما «1») أي: انقطع وانكسر أبو سفيان.

ما كان من هند لزوجها أبي سفيان:

ولمّا قدم مكة لذلك، وقد طالت غيبته حتى رمته قريش بأشد التهمة، وقالوا: صبأ واتبع محمّدا سرّا.. دخل على امرأته هند بنت عتبة ليلا فقالت له: لقد غبت حتى اتهمك قومك، فإن كنت مع طول الإقامة جئتهم بنجح.. فأنت

---

(1) الألف للإطلاق.

الرجل، ثمّ جلس منها مجلس الرجل من امرأته فقالت:
ما صنعت؟ فأخبرها الخبر، وقال: لم أجد إلّا ما قال لي عليّ، فضربت برجلها في صدره، وقالت: قبّحت من رسول قوم! فما جئت بخير.
قال في «شرح المواهب» : (فلمّا أصبح.. حلق رأسه عند إساف ونائلة، وذبح لهما، ومسح بالدم

رؤوسهما، وقال: لا أفارق عبادتكما حتى أموت؛ إبراء لقريش ممّا اتهموه به، فقالوا له: ما وراءك؟ هل جئت بكتاب من محمّد، أو زيادة في مدة ما نأمن به أن يغزونا؟ فقال: والله؛ لقد أبى عليّ، ثمّ جئت أبا بكر، فلم أجد فيه خيرا، ثمّ جئت ابن الخطّاب فوجدته أدنى العدّو، - وفي لفظ: أعدى العدو- وكلّمت عليه أصحابه، فما قدرت على شيء منهم إلّا أنّهم يرمونني بكلمة واحدة، وما رأيت قوما يوما أطوع لملك عليهم منهم له، إلّا أنّ عليا لمّا ضاقت بي الأمور.. قال: أنت سيد بني كنانة، فأجر بين الناس، فناديت بالجوار، قالوا: هل أجاز ذلك محمّد؟ قال: لا، قالوا: رضيت بغير رضا، وجئتنا بما لا يغني عنّا ولا عنك شيئا ولعمر الله؛ إن زاد عليّ على أن بجائز، وإنّ إخفارك عليهم لهين، والله؛ إن زاد عليّ على أن تلعب بك تلعبا، فقال: والله؛ ما وجدت غير ذلك، وتركتهم فيما بينهم يتشاورون)
.

كتاب حاطب بن أبي بلتعة لقريش:
ولمّا أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى

(1/604)

وحاطب إبن أبي بلتعة ... أرسل إذ زحوفه شرعت
مكة.. كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا أعطاه امرأة، وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا، كما أشار له الناظم بقوله:
(وحاطب) «1» بالتنوين لضرورة النظم (إبن) عمرو بن عمير اللخميّ (أبي بلتعة) بموحدة مفتوحة، ولام ساكنة، ففوقية، فعين مهملة مفتوحتين (أرسل إذ زحوفه) أي:

---

(1) يكنى بأبي محمّد، أو بأبي عبد الله، قال النووي: (قيل: كان لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد، فكاتبه، فأدّى كتابته، شهد بدرا، والحديبية، وشهد الله له بالإيمان في القرآن، وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس صاحب الإسكندرية سنة ست من الهجرة، فقال له المقوقس: أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبيا؟ قال: بلى، قال: فما له لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلدته؟ قال له حاطب: فعيسى ابن مريم رسول الله حين أراد قومه صلبه لم يدع عليهم حتى رفعه الله! قال له: أحسنت، أنت حكيم، جئت من عند حكيم، وبعث معه هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، منها مارية أم إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام، وسيرين أم عبد الرّحمن بن حسان، وأخرى أعطاها لأبي جهم بن حذيفة، وأرسل مع حاطب من يوصله مأمنه. روى مسلم في «صحيحه» : أنّ عبدا لحاطب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا، فقال: يا رسول الله؛ ليدخلنّ حاطبا النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذبت، لا يدخلها: فإنّه شهد بدرا» وكان حاطب حسن الجسم، خفيف اللحية، ذكره ابن سعد، توفي سنة ثلاثين بالمدينة، وصلّى عليه عثمان رضي الله عنه، وعمره خمس وستون سنة. اهـ

إلى قريش رقعة مع مره ... فأودعتها قرنها تلك المره
فأخبر الهادي بها فأرسلا ... من جاءه كرها بها وامتثلا
جيشه صلى الله عليه وسلم (شرعت) بتاء التأنيث المكسورة للرويّ، وقوله: (إلى) كبار (قريش) وهم: سهيل، وصفوان، وعكرمة، وقد أسلموا بعد، رضي الله عنهم، وهو يتعلق ب (أرسل) أي: أرسل حاطب إلى قريش بمكة إذ ذاك (رقعة) بالضم، واحدة الرّقاع: التي تكتب (مع) بفتح الميم والعين في مع (مرة) بتثليث الميم وفتح الراء المخففة:
لغة في امرأة، استأجرها بدينار أو عشرة دنانير، واسمها سارة بنت صيفيّ بن أبي صيفيّ بن هاشم، كانت مغنيّة أهل مكة، جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله، فقال صلى الله عليه وسلم: «أجئت مهاجرة؟» قالت: لا، قال: «فما جئت له؟» قالت: أنتم الأهل ولا مواسي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما كان في غنائك ما يغنيك؟» قالت:
إنّ قريشا منذ قتل منهم من قتل ببدر تركوا الغناء، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة وثيابا، ولمّا ناولها حاطب الرقعة.. قال لها: أخفيها ما استطعت، ولا تمرّي على الطريق؛ فإن عليه حرسا، فأخذت الرقعة (فأودعتها قرنها) بفتح القاف وسكون الراء: ذؤابتها (تلك المرة) .
وأطلع الله على ذلك نبيه عليه الصّلاة والسّلام، وجاءه الخبر من السماء، كما قال الناظم:
(فأخبر الهادي بها) أي: بالمرأة وخبرها لمّا جاء الوحي

بذلك (فأرسلا) بألف الإطلاق، كالألف في قوله بعد:
(وامتثلا) ، (من جاءه كرها) أي: من المرأة، ويتعلق بقوله: (جاءه) قوله: (بها) والذي جاءه بها عليّ، والزّبير، والمقداد، كما أخرجه الشيخان من طريق عبيد الله بن أبي رافع، عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا، والزّبير، والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ «1» على بريد من المدينة؛ فإنّ بها ظعينة «2» معها كتاب، فخذوه منها» (وامتثلا) أمره صلى الله عليه وسلم.
قال عليّ– في تمام الحديث المذكور–: فذهبنا تعادى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا:
أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، قلنا: لتخرجنّ الكتاب أو لنلقينّ الثياب، فأخرجته من عقاصها «3» ، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكّة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل عليّ يا رسول الله: إنّي كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من

(1) بخائين معجمتين، على الصواب الذي ذكره النووي عن كافة العلماء.
(2) بفتح الظاء المعجمة، وكسر العين المهملة، هي: المرأة في الهودج.
(3) الشعر المضفور، أو الخيط الذي تعقص به أطراف الذوائب.

أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أصطنع إليهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني، فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «أما إنّه قد صدقكم» فقال عمر: دعني «1» يا رسول الله فلأضرب عنق هذا المنافق، فقال: «إنّه شهد بدرا، وما يدريك لعلّ الله عزّ وجلّ اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم؟!»
قال عمرو- يعني ابن دينار، أحد رواة الحديث-:
ونزلت فيه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغاءَ مَرْضاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَما أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ.
قال السّهيلي في «الروض» : (زاد البخاريّ في بعض روايات الحديث فقال: «فاغرورقت عينا عمر رضي الله عنه،

(1) إنّما قال ذلك عمر، مع تصديقه صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به، لما كان عنده من القوة في الدين، والبغض لمن ينسب لنفاق، وظن أنّ من خالف أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم استحقّ القتل، لكنه لم يجزم بذلك، فلذلك استأذن في قتله، وأطلق عليه اسم منافق؛ لكونه أبطن خلاف ما أظهر، ولم يرد عمر أنّه أظهر الإسلام، وأبطن الكفر. وعذر حاطب: هو ما ذكره من خوفه على أهله بمكة، بأنّه فعل ذلك متأوّلا أن لا ضرر فيه. اهـ من «الفتح» بزيادة توضيح.

وقال: الله ورسوله أعلم» يعني: حين سمعه يقول في أهل بدر ما قال.
وفي «مسند الحارث» : أنّ حاطبا قال: يا رسول الله؛ كنت عريرا في قريش، وكانت امي بين ظهرانيهم، فأردت أن يحفظوني فيها، أو نحو هذا. ثمّ فسّر العزيز، وقال: هو الغريب.
وقد قيل: كان في الكتاب الذي كتبه حاطب: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، وأقسم بالله؛ لو سار إليكم وحده.. لنصره الله عليكم؛ فإنّه منجز له ما

وعده.
وفي «تفسير ابن سلّام» : أنّه كان في الكتاب الذي كتبه حاطب: أنّ النّبيّ محمّدا قد نفر: إمّا إليكم، وإمّا إلى غيركم، فعليكم الحذر) .

فائدة:
ذكر في «روض النّهاة» : (أنّه صلى الله عليه وسلم لمّا أرسل القوم إلى المرأة.. زوّدهم ماء، فلمّا حلوا السّقاء ليشربوا.. وجدوه لبنا أطيب ما يكون، ووجدوا على فم السقاء زبدا أطيب ما يكون) .
وقال في «قرّة الأبصار» في ضمن ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم التي ذكرها:

وللنّبيّ عرض ابن عمّته ... ونجل عمّه عزيز فئته
والماء قد زودت قوما رفدا ... فعاد أيضا لبنا وزبدا
ولكنه لم يعين القوم.

قصة عبد الله بن أبي أمية وإعراض الرسول صلّى الله عليه وسلّم عنه:
ثمّ أراد الناظم أن يذكر بعض من خرج من مكة، ووافى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق متوجّها إلى مكة، فأعرض عليه الصّلاة والسّلام عنه في أول الأمر؛ تأديبا له، فقال:
(وللنّبيّ عرض) أي: ظهر له بين السّقيا والعرج، عبد الله بن أبي أميّة القرشيّ المخزوميّ «1» (ابن عمّته) صلى الله عليه وسلم، عاتكة بنت عبد المطلب.

---

(1) هو صهر النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وأخو أم سلمة لأبيها؛ لأنّها بنت أبي أميّة، ووالدتها عاتكة بنت جندل الطعان، وكان لأميّة بن المغيرة زوجتان، كل منها تسمى عاتكة، شهد الفتح وحنينا، واستشهد بالطائف، واسم أبي أميّة: حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي، المخزومي، ويقال له: زاد الراكب؛ لأنّه إذا سافر معه أحد.. كان زاده عليه، وكان عبد الله هذا وأبو سفيان بن الحارث شديدي الأذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الدعوة بمكة، وبعد الهجرة، ولكن احتضنتهما السعادة، جعلنا الله ممّن سبقت له العناية، وكتبت له السعادة:
ربّ شخص تقوده الأقدار ... للمعالي وما لذاك اختيار
غافلا والسعادة احتضنته ... وهو منها مستوحش نفار
قال ابن عبد البر: (إنّه رمي يوم الطائف بسهم فقتله، ومات يومئذ) .

قصة أبي سفيان بن الحارث وإعراض الرسول صلّى الله عليه وسلّم عنه:
(و) عرض أيضا للنّبيّ صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب «1» (نجل) أي: ابن (عمّه)

---

(1) اسمه كنيته، أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرّضاعة، أرضعتهما حليمة السعدية وتقدم أنّ أبا سفيان هذا كان من الذين يشبهون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوم إسلامه أدخل على الرسول الأعظم الفرح الكبير، حتى شهد له بالجنة، وكان يقول: «أرجو أن يكون خلفا من حمزة» شهد من المشاهد حنينا، وله فيها الذكر الحسن؛ فقد ثبت فيها مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وأبلى بلاء حسنا، أخرج مسلم من طريق كثير بن العباس بن عبد المطلب عن ابنه قصة حنين قال: (فطفق النّبيّ صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار، وأنا آخذ بلجامها أكفها، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه، فقال: «يا عباس؛ ناد أصحاب الشجرة») اهـ ويقال: إنّه لم يرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إجلالا له، وحياء منه، وكان شاعرا مطبوعا حلو الشعر، أنشد في إسلامه واعتذاره:

لعمرك إنّي يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمّد
لكا لمظلم الحيران أظلم ليله ... فهذا أواني حين أهدى فأهتدي
هداني هاد غير نفسي ودلّني ... على الله من طردت كل مطرد
أصد وأنأى جاهدا عن محمّد ... وأدعى وإن لم أنتسب من محمّد

ذكر ابن إسحاق: أنّ أبا سفيان بكى النّبيّ صلى الله عليه وسلم ورثاه بقوله:

أرقت فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
فأسعدني البكاء وذاك ممّا ... أصيب المسلمون به قليل

وعنهما أعرض جرّا مأثمه ... فاستشفعا له بأمّ سلمه

الحارث، أخي عبد الله، والد النّبيّ صلى الله عليه وسلم (عزيز) بالجر صفة للعم (فئته) أي: طائفته قريش، ويجمع على: فئون، كما في «المختار» .
ولما عرضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان الإسلام.. أعرض عنهما؛ لأنّهما كانا من أكبر القائمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشدّ الناس أذى له.

شفاعة أم سلمة فيهما:

وإلى هذا يشير بقوله: (وعنهما أعرض) وصدّ؛ لأنّهما (جرّا) على أنفسهما (مأثمة) أي: إثما بذلك الأذى والهجو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والهاء للسكت؛ إذ وبال ذلك راجع إليهما، (فاستشفعا) أي: طلبا الشفاعة (له)

روى الحاكم عن عروة مرفوعا: «أبو سفيان بن الحارث. سيد فتيان أهل الجنة، قال: أي: عروة «حلقه الحلاق بمنى، وفي رأسه ثؤلول فقطعه، فمات، قال فيرون أنّه مات شهيدا» . وعن عمر بن شبة في «أخبار المدينة» عن عبد العزيز بن عمران قال: (بلغني أنّ عقيل بن أبي طالب رأى أبا سفيان يجول بين المقابر، فقال: يابن عمي؛ ما لي أراك هنا؟ قال: أطلب موضع قبري، فأدخله داره وأمره بأن يحفر في قاعها قبرا، ففعل، فقعد عليه أبو سفيان ساعة ثمّ انصرف، فلم يلبث إلّا يومين حتى مات، فدفن فيه، يقال: إنّه مات سنة خمس عشرة، فصلّى عليه عمر) اهـ من «الإصابة» . وذكر النووي في «شرح مسلم» أنّه قال عند موته: لا تبكوا عليّ؛ فإنّي لم أشطف– أي: أتلطخ– بخطيئة منذ أسلمت. اهـ

(1/612)

أي: عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليقبلهما (بأم سلمة) أم المؤمنين رضي الله عنها، فكلمته أم سلمة، فقالت: يا رسول الله؛ ابن عمك، وابن عمتك وصهرك، قال: «لا حاجة لي بهما؛ أمّا ابن عمي.. فهتك عرضي، وأمّا ابن عمّتي وصهري.. فهو الذي قال لي بمكة ما قال» يعني قوله: والله؛ لا آمنت بك حتى تتّخذ سلّما إلى السماء، فتعرج فيه وأنا أنظر، ثمّ تأتي بصكّ وأربعة من الملائكة، يشهدون أنّ الله أرسلك، فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك.
وقال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه لأبي سفيان فيما حكاه أبو عمر: (ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا وَإِنْ كُنَّا لَخاطِئِينَ فإنّه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا، ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له صلى الله عليه وسلم: «لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ») .

خروج الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلى مكة بجيشه:
هذا: ولمّا رجع أبو سفيان إلى مكة ولم ينل مطلوبه، وقبل عليه الصّلاة والسّلام عذر حاطب في كتابه لأهل مكة..
خرج قاصدا مكة لعشر مضين من رمضان بعد العصر سنة ثمان، وهو صائم والناس معه صيام، ولمّا بلغ الكديد– ماء

(1/613)

وأقبلت جنود صفوة الأمم ... أمامه حتّى انتهوا إلى الحرم
بين قديد وعسفان– أفطر؛ وذلك بعد أن استخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين بن عتبة الغفاريّ، على الصحيح الذي رواه ابن إسحاق وغيره.

وأشار الناظم إلى مسيره إلى مكة تتقدمه جنود الله وعسكر الإسلام، حتى وصل إلى بيت الله الحرام بقوله:

(وأقبلت جنود) جمع جند، هو: العسكر والأعوان (صفوة) مثلث الأول، ككلّ ما كان على هذا الوزن واويّ اللام.

والمراد بصفوة (الأمم) : رسول الله الأعظم صلى الله عليه وسلم، وصفه بالصفوة وليست من أسمائه المشهورة؛ لأنّ الله تعالى اصطفى العرب من الناس، واصطفى قريشا من العرب، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم، فمن ثمّ كان الصفوة، والصفوة: خلاصة الشيء، فهو خلاصة الشرف، بل والكمالات كلها (أمامه) صلى الله عليه وسلم.

قال في «الإمتاع» : (وكان المهاجرون سبع مئة، ومعهم ثلاث مئة فرس، وكانت الأنصار أربعة آلاف، ومعهم خمس مئة فرس، ومزينة ألفا، ومعها مئة فرس، ومئة درع، وأسلم أربع مئة، ومعها ثلاثون فرسا، وجهينة ثمان مئة، ومعها خمسون فرسا، وبنو كعب بن عمرو خمس مئة، وخرج يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر) اهـ

وضربت له هناك قبّه ... أرضى بها الله وأرضى حزبه

وأخذوا في السير (حتى انتهوا إلى الحرم) أي: مكة شرفها الله تعالى؛ لأنّه صلى الله عليه وسلم حرّمها بقوله:

«مكة حرام، لا تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنّما أحلّت لي ساعة من نهار» .

(وضربت له هناك) أي: بالحجون من أرض الحرم بمكة (قبة) يستظل «1» بها (أرضى بها الله، وأرضى حزبه) جنده أو قومه الذين هم على رأيه، أو طائفته.

قال في «روض النّهاة» : (وكل ذلك محتمل هنا؛ إذ يصح أن يكون أراد قريشا؛ لأنّه صلى الله عليه وسلم أرضاهم ذلك اليوم بأفعاله الكريمة وأقواله الحميدة. كقوله: «اليوم يوم المرحمة» وقوله: «ما تروني فاعلا بكم؟» قالوا:

خيرا؛ أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا، فأنتم الطّلقاء» ولأنّه صلى الله عليه وسلم لم يسبّ أحدا، ولم يغنم ناطقا ولا صامتا وهو فيما هو فيه من المقدرة، وجهد أصحابه في المعيشة، وقد ردّ المفتاح على أهله قبل من بني عبد الدار.

ويصح أن يكون المراد بالحزب الأنصار، وهم قومه الذين

---

(1) لأنّه عليه الصّلاة والسّلام دخل مكة على الصحيح من أعلاها، ودخل خالد من أسفلها كما سيأتي، قال في «شرح المواهب» : (ولم يزل بالحجون، لم يدخل بيتا، وكان يأتي المسجد لكل صلاة من الحجون، وكان أبو رافع ضرب له به قبة من أدم، ومعه أم سلمة وميمونة) .

فاحترم الحرم إذ هو الحرم ... محرّم مؤمّن ممّن هجم

على رأيه، وأرضاهم أيضا ذلك اليوم بقوله صلى الله عليه وسلم: «المحيا محياكم، والممات مماتكم» وأن يكون المراد به المهاجرين والأنصار؛ لأنّهم جنده.

وأرضى المهاجرين أيضا بعفوه عن قريش، وقد شفّع عثمان، وعبد الرّحمن بن عوف منهم، هذا كله على أنّ الضمير في (حزبه) يعود على النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ويحتمل عوده على لفظ الجلالة قال تعالى: فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ وقد ظهر لقريش اليوم استمرار الغلب عليهم منذ يوم بدر، فأذعنوا وأسلموا.

(فاحترم الحرم) أي: مكة، فلم يسفك بها دما (إذ هو) أي: مكة، وذكّر الضمير؛ مراعاة للخبر الذي هو (الحرم) وقوله: (محرّم) خبر بعد خبر، كقوله: (مؤمّن ممّن هجم) «1» وأغار عليه.

والآيات في القرآن على تأمينه كثيرة، قال تعالى:

وَقالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ.

وقال تعالى: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.

---

(1) هجم من باب دخل، يقال: هجم على الشيخ: دخل بغير إذن. اهـ

وقال عليه الصّلاة والسّلام في اليوم الثّاني من يوم الفتح، بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه بما هو أهله: «أيّها الناس؛ إنّ الله حرّم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، أو يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخّص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فقولوا له: إنّ الله قد أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنّما أحلّت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب» .

تاريخ أنصاب الحرم:

قال العلّامة أبو الوليد محمّد بن عبد الله الأزرقيّ، بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه: (أوّل من نصب أنصاب الحرم إبراهيم عليه السّلام، يريه ذلك جبريل عليه السّلام، فلمّا كان يوم فتح مكة.. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم بن أسد الخزاعيّ، فجدد ما رثّ منها) .

وذكر أيضا أبو الوليد بالسند إلى عبيد الله بن عتبة: (أنّ إبراهيم عليه السّلام نصب أنصاب الحرم، يريه جبريل عليه السّلام، ثمّ لم تحرّك حتى كان قصيّ فجدّدها، ثمّ لم تحرك حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث عام الفتح تميم بن أسد الخزاعي فجدّدها، ثمّ لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبعث أربعة من قريش، كانوا يتبدّون

وحين حلّ بإزاء الحرم ... أمر أن يوقد كلّ مسلم
نارا فأبصر أبو سفيانا ... وكان يرتقبه النّيرانا

في بواديها، فجدّدوا أنصاب الحرم، منهم مخرمة بن نوفل، وأبو هود سعيد بن يربوع المخزوميّ، وحويطب بن عبد العزّى، وأزهر بن عبد عوف الزهريّ) .

إرهاب قريش بإيقاد عشرة آلاف نار:

ثمّ أراد الناظم أن يذكر ما أمرهم به النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وسلم حينما قارب مكة؛ ممّا جعل قريشا في رعب منهم، فقال: (وحين حلّ) ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم (بإزاء) أي: بمقابل (الحرم) بموضع يسمى مرّ الظّهران:

بفتح الميم، وتشديد الراء، هو المعروف اليوم بوادي فاطمة مسيرة ليلة من مكة على الجمال، وساعة بالسيارة (أمر أن يوقد كل مسلم نارا) لتراها قريش، فترعب من كثرتها، فأوقدوا عشرة آلاف نار (فأبصر أبو سفيانا) بالألف الزائدة لإطلاق القافية قوله: (وكان يرتقبه) أي: النّبيّ صلى الله عليه وسلم؛ أي: يخاف أن يخرج في أصحابه لقتاله، جملة معترضة بين أبصر، ومفعوله الذي هو (النيرانا) أي: فأبصر أبو سفيان هذه النيران الكثيرة حتى قال: ما هذه النيران؟

لكأنّها نيران عرفة، وكانت قد جرت عادتهم بإيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة.

فارتاع فانسلّ إذن عمّ النّبي ... فالتقيا فجا به عن كثب

فزع أبي سفيان من جيش المسلمين:

وقد كان أبو سفيان يرتقب النّبيّ صلى الله عليه وسلم أن يغزوه مع قومه (فارتاع) أي: أصاب أبا سفيان الروع والخوف.

قال الشهاب: (ولم يبلغ قريشا مسيره، وهم مغتمّون خائفون من غزوه، فبعثوا أبا سفيان، فقالوا: إن لقيت محمّدا.. فخذ لنا منه أمانا، فخرج أبو سفيان، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء- وقد أسلموا كلّهم رضي الله عنهم- حتى أتوا مرّ الظهران، فلمّا رأوا العسكر.. أفزعهم) .

قصة إسلام أبي سفيان وما كان من العباس معه:

وفي «صحيح الإمام البخاري» : فإذا هم بنيران كأنّها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه النيران؟ والله لكأنّها نيران عرفة، فقال له بديل: نيران بني عمرو (أي: خزاعة) فقال أبو سفيان: بنو عمرو أقل من ذلك، فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأدركوهم، فأخذوهم، فأتوا بهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم أبو سفيان؛ أي: انقاد إذ ذاك، وخضع لرسول الله عليه الصّلاة والسّلام (فانسلّ) بتشديد اللام؛ أي: فخرج (إذن) أي: حين رأى تلك النيران، وذلك الجيش العرموم العباس (عمّ النّبيّ) صلى الله عليه وسلم، فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذته الرقّة والشفقة لأهل مكة، حتى جاء الأراك لعلّه يجد بعض الحطّابة، أو ذا الحاجة، يخبر أهل مكة بمكان

(1/619)

رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة، قال العباس: فو الله؛ إنّي لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانا قطّ ولا عسكرا، قال: يقول بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب، فيقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال: فعرفت صوته، فقلت: أبا حنظلة؟ فعرف صوتي، فقال: أبو الفضل؟ قلت: نعم، قال: مالك فداك أبي وأمّي، قال: قلت: والله: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، قد جاءكم بما لا قبل لكم به، فقال:
واصباح قريش والله! قال: فما الحيلة فداك أبي وأمّي؟ قال:
قلت: والله لئن ظفر بك.. ليضربنّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة، حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأستأمنه لك، فركب خلفي ورجع صاحباه، وهذا هو المشار إليه بقول الناظم: (فالتقيا) أي: العباس وأبو سفيان (فجا) بالقصر: لغة في (جاء) بالمد؛ أي: فجاء العباس (به) أي: بأبي سفيان وقد أردفه على عجز الدابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن كثب) بفتح الكاف والمثلثة؛ أي: عن قرب، وكان كلّما مرّ به العباس على نار من نيران المسلمين.. قالوا: من هذا؟ وإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عليها قالوا: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته.

(1/620)

قال العباس: حتى مررت بنار عمر بن الخطاب، فقال:
من هذا؟ وقام إليّ، فلمّا رأى أبا سفيان على عجز الدابة..
قال: أبو سفيان عدوّ الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثمّ خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وركضت البغلة، فسقت، فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل عليه عمر، فقال:
يا رسول الله؛ هذا أبو سفيان، فدعني فلأضرب عنقه، قال:
قلت: يا رسول الله؛ إنّي قد أجرته، ثمّ جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذت برأسه، فقلت: والله، لا يناجيه الليلة رجل دوني، فلمّا أكثر عمر في شأنه.. قلت:

مهلا يا عمر، فو الله؛ لو كان من رجال بني عديّ بن كعب..
ما قلت مثل هذا، قال: مهلا يا عباس، فو الله؛ لإسلامك يوم أسلمت كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلّا أنّي قد عرفت أنّ إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت.. فأتني به» فذهبت به، فلمّا أصبح.. غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قال: «ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلّا الله؟» قال:
بأبي أنت وأمّي، ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك! لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئا بعد، قال:

«ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟» قال: بأبي أنت وأمّي، ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك! أمّا والله هذه؛ فإنّ في النفس حتى الآن منها شيئا، فقال له العباس: ويحك أسلم، واشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحقّ، فأسلم.
قال العباس: قلت يا رسول الله؛ إنّ أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئا «1» ، قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان.. فهو آمن، ومن أغلق بابه عليه.. فهو آمن، ومن دخل المسجد.. فهو آمن» .
ثمّ أمر العبّاس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الجبل، عند خطم الجبل؛ حتى تمر به جنود الله فيراها، ففعل، فمرّت القبائل على راياتها، كلّما مرّت قبيلة.. قال: يا عباس من هذه؟ فأقول: سليم، قال: ما لي ولسليم، ثمّ تمر به القبيلة فيقول: يا عباس؛ من هؤلاء؟ فأقول مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، حتى نفدت القبائل، ما تمر به قبيلة.. إلّا سألني عنها، فإذا أخبرته بهم.. قال: ما لي ولبني فلان، حتى مرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، لا يرى منهم إلّا الحدق من الحديد،

---

(1) قصد العباس بذلك تثبيت إسلام أبي سفيان؛ لئلا يدخل عليه شيطان، بأنّه كان متبوعا فأصبح تابعا، ليس له من الأمر شيء، ولذا قال العباس: إنّه رجل يحب الفخر. اهـ

وإنّما قيل لها: الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها، قال:
سبحان الله يا عباس! من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار،

قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة!
وفي «صحيح البخاريّ» : أنّ كتيبة الأنصار جاءت مع سعد بن عبادة ومعه الراية، قال: ولم ير مثلها، ثم جاءت كتيبة هي أقل الكتائب «1» – أي: عددا– وأكثرها إجلالا، فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وراية النّبيّ صلى الله عليه وسلم مع الزّبير، فقال أبو سفيان: والله يا أبا الفضل؛ لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما، قال:
قلت: يا أبا سفيان، إنّها النبوة، قال: فنعم إذن، قال:
قلت: النجاء إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش؛ هذا محمّد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان.. فهو آمن، فقامت إليه زوجه هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت «2» الدّسم الأحمس، قبح من طليعة قوم! قال: ويلكم! لا تغرنّكم هذه من أنفسكم؛ فإنّه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، من دخل دار أبي سفيان.. فهو آمن، قالوا: قاتلك الله،

---

(1) قال الحافظ اليعمري في «العيون» : (كذا وقع عند جميع الرواة– يعني بلفظ «أقل» – ورواه الحميدي في «كتابه» : «هي أجل الكتائب» وهو الأظهر) .
(2) الحميت: الزق، أو وعاء السمن، والأحمس الذي لا خير فيه عنده. اهـ من «روض النهاة» .

وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه داره.. فهو آمن، ومن دخل المسجد.. فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.
وذكر الطبريّ: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم وجّه حكيم بن حزام مع أبي سفيان بعد إسلامهما إلى مكة، وقال:
من دخل دار حكيم.. فهو آمن، وهي بأسفل مكة، ومن دخل دار أبي سفيان.. فهو آمن، وهي بأعلى مكة، فكان هذا أمانا منه لكل من لم يقاتل من أهل مكة.
قال ابن إسحاق: (فحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا انتهى إلى ذي طوى.. وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة حمراء، وإنّ رسول الله ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إنّ عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل) اهـ والعثنون: اللحية.
وقال في «روض النّهاة» : (إنّ أبا سفيان قال لمّا احتمله العباس إلى قبته، فأصبح عنده، رأى الناس قد ثاروا إلى ظهورهم «1» .. فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل؛ ما للناس؟
أمروا فيّ بشيء؟ قال: لا، ولكنهم قاموا إلى الصلاة، فأمره العباس فتوضّأ، ثمّ انطلق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلمّا دخل به عليه الصّلاة والسّلام في الصّلاة وكبّر،

---

(1) أي: إلى دوابهم؛ لأنّها كالظهر لهم. اهـ

وزعم ابن قيس ان سيحفدا ... رجالهم خلّته وأنشدا
فكبّر الناس بتكبيره، وركع فركعوا، ورفع فرفعوا.. قال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم طاعة قوم، جمعهم من ههنا وههنا، ولا فارس ولا الروم ذوات القرون بأطوع منهم له!
ولمّا عرض عليه الإسلام.. قال: كيف أصنع بالعزّى؟
فسمعه عمر من وراء القبة، فقال له: تخرأ عليها! فقال أبو سفيان: ويحك يا عمر! إنّك رجل فاحش، دعني وابن عمي فإياه أكلم.
ولمّا قالت هند المقالة السابقة، وقد أخذ الإسلام من قلبه كل مأخذ.. قال لها: والله؛ لتسلمنّ أو لأضربنّ عنقك، فأسلمت قبل انقضاء عدّتها، وبايعت، وأقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على نكاحهما) .

استعداد حماس بن قيس لقتال الرسول صلّى الله عليه وسلّم ثمّ انهزامه:
(وزعم) حماس (بن قيس) بن خالد، بكسر أوله، وتخفيف ثانيه، وآخره مهملة، على ما ضبطه الحافظ في «الإصابة» وذكره في القسم الأول من حرف الحاء وقال:
(إنّه الأصح من تسمية ابن عبد البر له خناس بن قيس) .
والزعم يطلق على القول الحق، ومنه حديث: «زعم جبريل» وعلى القول الكذب، ومنه قوله تعالى: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ويطلق أيضا على القول غير الموثوق به ومنه قوله:

إن يغلبوا اليوم فما لي علّه ... هذا سلاح كامل وألّه
نبّئت قيسا ولم أبله ... كما زعموا خير أهل اليمن
وحديث الترمذيّ: «بئس مطية الكذب زعموا» فجعله ابن عطية من الثاني، قاله الأبيّ في «شرحه على مسلم» ولعلّ الثاني، أو الثّالث هو المراد هنا؛ أي: كذب في (أن سيحفدا) أي: يخدم (رجالهم) أي: رجال المسلمين (خلّته) بضم الخاء؛ أي: زوجته، أي يأسرهم؛ فيكونوا خولا وخدما لزوجته، ولم تسمّ؛ وذلك أنّه كان يشحذ سلاحه ويصلحه قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له امرأته: لماذا تعدّ سلاحك؟ فيقول: لمحمّد وأصحابه، فتقول: لا أرى محمّدا وأصحابه يقوم لهم شيء، فيقول:
أرجو أن أخدمك منهم.
(وأنشدا) عند ذلك: (إن يغلبوا) بالبناء للفاعل؛ أي:
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (اليوم فما لي) أي:
فليس لي (علّة) ولا سبب؛ لأنّ (هذا سلاح كامل وألّه) بفتح الهمزة، وبعدها لام مشددة: جمع ألّ

بالفتح أيضا، بمعنى: السلاح العريض، يقول في زعمه: إنّه لم يكن هناك سبب لغلبهم لنا؛ فإنّ لدينا من أسباب النصر ما يكفينا من أداة القتال، وما درى أنّ الله ناصر نبيه والمسلمين لا محالة، مهما كان العدوّ، ومهما كانت المعدّات الحربية، قال الله تعالى:
هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ* وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وقال تعالى: وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ.

(1/626)

وشهد المأزق فيه حطما ... رمز (يب) من قومه فانهزما
وجاء فاستغلق بابه البتول ... فاستفهمته أين ما كنت تقول
ثمّ شهد الخندمة مع صفوان بن أميّة، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، فلمّا لقيهم المسلمون من أصحاب خالد.. ناوشوهم شيئا من القتال، فقتل كرز بن جابر الفهري، وحبيش بن خالد الخزاعي– وكانا في خيل خالد فشذا عنه وسلكا طريقا غير طريقه فقتلا– وأصيب من المشركين نحو اثني عشر، ثمّ انهزموا، فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته، ثمّ قال لامرأته: أغلقي عليّ بابي، قالت: فأين ما كنت تقول؟ فأنشد الأبيات، وإلى هذا أشار بقوله:
(وشهد) حماس (المأزق) بوزن مجلس، أصله:
المضيق، واستعاره الناظم لموضع القتال، قال في «الصحاح» : (المأزق: المضيق، ومنه سمي موضع الحرب مأزقا) «1» (فيه) أي: في موضع القتال (حطما) بالبناء للمفعول؛ أي: كسر (رمز «يب») أي: اثنا عشر (من قومه) المشركين، يرمز إليهم، ويشار بالياء والباء من حروف الجمّل (فانهزما) بألف الإطلاق مع قومه.
(وجاء) ابن قيس مبادرا من ساحة القتال إلى داره (فاستغلق) أي: طلب أن تغلق عليه (بابه) بالنصب، معمول لاستغلق (البتول) أي: زوجه البتول، وهو وصف

---

(1) مادة أزق.

(1/627)

فقال والفزع زعفر دمه: ... إنّك لو شهدت يوم الخندمه
إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمه ... واستقبلتنا بالسّيوف المسلمه
مدح، قال في «روض النّهاة» : (ولعلّ هذه المرة أسلمت؛ لوصفه إيّاها به) .
(فاستفهمته أين ما كنت تقول) من وعدك أنّك تهزم جماعة محمّد، وتجعل لي منهم خدما وخولا.
(فقال) في جواب ذلك (والفزع) أي: والحال أنّ الخوف (زعفر دمه) أي: جعله كلون الزعفران، وإنّما يعتري الإنسان ذلك من أجل شدة الذعر والخوف، والجملة معترضة بين القول ومقوله الذي هو:
(إنّك) مخاطبا لامرأته، وهو بكسر الهمزة (لو شهدت يوم الخندمه) اسم جبل بمكة، وقع عنده القتال

مع خالد بن الوليد (إذ فرّ صفوان) نجل أميّة (وفرّ عكرمه) بن أبي جهل، ومكانهما في الشجاعة والبسالة بالمقام المعروف، وقد أسلما بعد رضي الله عنهما، وبعد البيت:

وأبو يزيد قائم كالمؤتمه ... (واستقبلتنا بالسيوف المسلمه)

يقطعن كل ساعد وجمجمه ... ضربا فلا تسمع إلّا غمغمه

لهم نهيت خلفنا وهمهمه ... لم تنطقي باللوم أدنى كلمه

وأبو يزيد: هو سهيل بن عمرو، وتقدم أنّه أسلم رضي الله عنه، والمؤتمة: المرأة ذات أيتام، والمسلمة:

وفاز من لاذ به واسترحمه ... يومئذ إذ هو يوم المرحمه

المسلمون، والغمغمة: الأصوات التي لا تفهم من اختلاطها، والنهيت مكبرا: صوت الصدر، والهمهمة:

الكلام الخفيّ.

*** ثمّ أراد الناظم أن يذكر بعض مظاهر شفقة نبينا نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، بقبول من استجار به في ذلك اليوم مع القدرة عليه، وعظيم ما صدر منه من جناية فقال:

(وفاز من لاذ) أي: لجأ (به، واسترحمه) أي: طلب رحمته وعطفه (يومئذ) أي: يوم الفتح لمكة (إذ هو) أي:

ذلك اليوم (يوم المرحمة) «1» لقريش، أعزّها الله فيه.

واعلم: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان قد عهد إلى أمرائه حين أمرهم بدخول مكة، أن لا يقاتلوا إلّا من قاتلهم إلّا نفرا سمّاهم؛ فإنّهم يقتلون ولو وجدوا تحت أستار

---

(1) هذا اليوم سمّاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنّ الكتائب لمّا كانت تمر يوم الفتح بأبي سفيان.. فأقبلت كتيبة لم ير مثلها، فقال: من هذه؟ قال العباس: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة بيده الراية، فقال سعد لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة أي: يوم الحرب، أو يوم القتال– اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشا، فقال أبو سفيان لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت بقتل قومك؟ قال: «لا» فذكر له قول سعد، فقال: «يا أبا سفيان؛ اليوم يوم المرحمة، اليوم يعز فيه الله تعالى قريشا» وأرسل إلى سعد، فأخذ الراية من يده، فدفعها إلى ابنه قيس، ورأى صلى الله عليه وسلم أنّ اللواء لم يخرج عنه؛ إذ صار لابنه.

كابن أبي سرح وزير الخلفا ... وناخس البكر ببنت المصطفى

الكعبة، منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، لكن لمّا لاذ بحضرة الرسول، بشفاعة أخيه عثمان من

الرضاعة.. فاز بالرضا والقبول.

قصة ابن أبي سرح رضي الله عنه:

وإليها يشير الناظم بقوله: (كابن أبي سرح) بفتح السين وسكون الراء، وبالحاء المهملات، وهو عبد الله بن سعد القرشي العامريّ؛ فإنّه كان ممّن أهدر النّبيّ صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح؛ لأنّه كان أسلم بمكة، وكان يكتب للنّبيّ صلى الله عليه وسلم بها، ثمّ ارتد ولحق بالكفار.

قال في «شرح المواهب» : (روى أبو داوود والحاكم عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن سعد يكتب للنّبيّ صلى الله عليه وسلم، فأزلّه الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله، فاستجار بعثمان، فأجاره، وأخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله تعالى: وَمَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ أنّها أنزلت فيه، كان يكتب للنّبيّ صلى الله عليه وسلم فيملي عليه «عزيز حكيم» فيكتب «غفور رحيم» ثمّ يقرأ عليه، فيقول هو: نعم، سواء، فرجع عن الإسلام، ولحق بقريش.

وروى الحاكم عن سعد بن أبي وقّاص: أنّه اختبأ عند عثمان، فجاء به حتى أوقفه على النّبيّ صلى الله عليه وسلم

وهو يبايع الناس، فقال: يا رسول الله؛ بايع عبد الله، فبايعه بعد ثلاث، ثمّ أقبل على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين كففت يدي عن مبايعته فيقتله؟» فقال رجل: هلّا أو مأت إليّ؟ فقال: «إنّ النّبيّ لا ينبغي أن تكون له خائنة الأعين») اهـ

ثمّ أدركته العناية الأزلية، وأتته السعادة الأبدية، فأسلم وحسن إسلامه، وعرف فضله وجهاده في سبيل الله تعالى، وكان وزيرا لسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عثمان بن عفان، كما يشير الناظم بقوله: (وزير) أي: معين (الخلفا) ء الراشدين؛ فإنّه ولّاه سيدنا عمر، وكان على ميمنة عمرو بن العاصي حين افتتح مصر، ثمّ ولّاه عثمان، وافتتح إفريقيا عام سبع وعشرين.

قال في «شرح المواهب» : (وكان من أعظم الفتوح، بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، واعتزل الفتنة حتى توفي سنة سبع وخمسين؛ أي: بعسقلان) .

وروى البغويّ بإسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب، قال: (لمّا كان عند الصبح.. قال ابن أبي سرح: اللهمّ؛ اجعل آخر عملي الصبح، فتوضّأ، ثمّ صلّى، فسلّم عن يمينه، ثمّ ذهب يسلم عن يساره، فقبض الله روحه، رضي الله عنه) .

قال السّهيلي في «الروض» : وهو القائل في حصار عثمان رضي الله عنه:

وهلكت لنخسه وألقت ... ذا بطنها والبرح منه لاقت
أرى الأمر لا يزداد إلّا تفاقما ... وأنصارنا بالمكّتين قليل
وأسلمنا أهل المدينة والهدى ... إلى أهل مصر، والذليل ذليل

قصة هبّار بن الأسود رضي الله عنه:
وممّن أهدر دمه، ثمّ لاذ بالنبي المعظّم وفاز: هبّار بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ القرشيّ الأسديّ، وهو المراد بقوله: (وناخس) بالجر، عطف على (ابن أبي سرح) أي: طاعن (البكر) بفتح الباء: هو الفتيّ من الإبل أي: طاعن الجمل (ببنت المصطفى) صلى الله عليه وسلم وهي زينب؛ فإنّه عرض لها حين هاجرت، وردها زوجها أبو العاصي للنّبيّ صلى الله عليه وسلم على العهد الذي عهد إليه، فنخس بها الجمل حتى سقطت على صخرة، وأسقطت جنينها، وأهراقت الدماء، ولم تزل مريضة حتى ماتت سنة ثمان، كما قال:
(وهلكت لنخسه وألقت) بكسر تاء التّأنيث؛ للرويّ (ذا بطنها) أي: جنينها (والبرح منه) بالنصب معمول لقوله:
(لاقت) أي: ولاقت زينب من هبّار وأفعاله القبيحة البرح والشدة، والشر ممّا لا يليق بشرفها؛ فلذا أهدر عليه الصّلاة والسّلام دمه، وأمر بقتله، بعد أن أمر بحرقه، ثمّ رجع إلى قتله فقط، لكن تداركته العناية الرّبّانية، فأسلم وحسن إسلامه، وفي هذا يقول الناظم:

بحرقه أمر ثمّ رجعا ... لقتله والنّار عنه دفعا
وبعد ما أشفى على الإحراق ... تداركته رحمة الخلّاق
(بحرقه) يتعلّق بقوله: (أمر) أي: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرق هبّار، فقال: «إن وجدتم هبارا..
فأحرقوه بالنار» ثم قال: «اقتلوه؛ فإنّه لا يعذّب بالنار إلّا ربّ النار» .
(ثمّ رجعا) بألف الإطلاق، والضمير للنّبيّ صلى الله عليه وسلم (لقتله) أي: عن قتل هبار؛ أي رجع عن حرقه إلى قتله– ولو عبر بعن.. لكان أولى (والنار) بالنصب معمول ل (دفع) (عنه) يتعلق بقوله: (دفعا) أي: دفع عنه التعذيب لما ذكر.
(وبعد ما) هي مصدرية داخلة على الفعل الذي هو:
(أشفى) أي: أشرف (على الإحراق تداركته) أي: هبّارا (رحمة الخلّاق) فحبّب إليه الإسلام، فأسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه، وصحب النّبيّ صلى الله عليه وسلم.
وقال في «شرح المواهب» : (أخرج الواقديّ عن جبير بن مطعم قال: كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الجعرّانة، فطلع هبّار، فقالوا:
يا رسول الله؛ هبّار بن الأسود، قال: «قد رأيته» فأراد رجل القيام إليه، فأشار إليه: أن اجلس، فوقف هبّار، فقال:

السلام عليك يا نبيّ الله، أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّدا رسول الله، وقد هربت منك في البلاد، وأردت

(1/633)

فحقن الله بالاسلام دمه ... سبحانه من راحم ما أرحمه
اللّحاق بالأعاجم، ثمّ ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمّن جهل عليك، وكنّا يا رسول الله أهل شرك، فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة، فاصفح عن جهلي، وعمّا كان يبلغك عني؛ فإنّي مقرّ بسوء فعلي، معترف بذنبي فقال صلى الله عليه وسلم: «قد عفوت عنك، وقد أحسن الله إليك حيث هداك إلى الإسلام، والإسلام يجبّ ما قبله») .
(ف) من أجل ذلك (حقن) أي: منع (الله) تعالى رسوله (بالاسلام دمه) أن يسفك (سبحانه) تنزّه الله عن كل ما لا يليق به (من راحم ما أرحمه) !
قلت: ويشير بهذا إلى الحديث الصحيح، الذي رواه البخاريّ ومسلم في «صحيحيهما» واللفظ لمسلم، بسنده إلى عمر بن الخطاب، قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي، فإذا امرأة من السّبي تبتغي، إذ وجدت صبيا في السّبي فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا والله، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال صلى الله عليه وسلم: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها» .
وروى مسلم بسنده إلى سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مئة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء

(1/634)

أحنى وأرأف من الأمّ بنا ... وهكذا رسوله كان لنا
والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة.. أكملها بهذه الرحمة» .
نسأل الله تعالى أن يشملنا برحمته الواسعة– فإنّا فقراء– منّا وفضلا، إنّ لله رحمة، وأحق الناس بالرحمة الضعفاء.
وفي الباب أحاديث كثيرة تدل على سعة رحمة الله تعالى، وإذا كانت رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار، التي منها الإسلام والقرآن والصّلاة والرّحمة في قلبه، وغير ذلك ممّا أنعم الله به..
فكيف الظن بمئة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء؟!
(أحنى) من الحنوّ؛ أي: أعطف (وأرأف) من الرأفة، وهي أشد الرحمة، فعطفها من عطف الخاص على العام؛ أي: أكثر رحمة (من الأمّ) المشفقة (بنا وهكذا) أي: مثل هذا (رسوله) صلى الله عليه وسلم (كان لنا) قال الله تعالى:

لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ وقال تعالى: وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ.
ومن طالع أحواله وسيره ومعاملته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه والوافدين إليه من جهلة الأعراب والبوادي يقضي العجب من شفقة نبيّ الرحمة ورأفته، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وفرّحنا به في عرصات القيامة ويوم الجزاء بمنّه وكرمه، آمين.

(1/635)

مثل من رأفة الرسول صلّى الله عليه وسلّم وحسن معاملته:
فمن ذلك ما هو مشهور عند أهل السير: أنّ أعرابيا جاء يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه، ثمّ قال:
«أحسنت إليك؟» قال الأعرابي: لا، ولا أجملت، فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار إليهم: أن كفّوا، ثمّ قام، ودخل منزله، وأرسل إلى الأعرابي شيئا وزاده شيئا، ثمّ قال:
«أحسنت إليك؟» قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنّك قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء؛ فإن أحببت.. فقل بين أيديهم ما قلت بين يديّ؛ حتى يذهب ما في صدورهم عليك» قال:
نعم، فلمّا كان الغد أو العشيّ.. جاء فقال صلى الله عليه وسلم: «إنّ هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنّه رضي، أكذلك؟» قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثل هذا، مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتّبعها الناس، فلم يزيدوها إلّا نفورا، فناداهم صاحبها: خلوا بيني وبين ناقتي؛ فإنّي أرفق بها منكم. وأعلم، فتوجّه لها بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردّها حتى جاءت واستناخت، وشدّ عليها رحلها واستوى عليها، وإنّي لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه.. دخل النار» .
قال أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبيّ: (ومن شفقته على أمّته صلى الله عليه وسلم: تخفيفه وتسهيله عليهم،

(1/636)

وكراهته أشياء؛ مخافة أن تفرض عليهم؛ كقوله عليه الصّلاة والسّلام: «لولا أن أشقّ على أمّتي.. لأمرتهم بالسّواك مع كل وضوء» وخبر صلاة الليل، ونهيهم عن الوصال، وكراهة دخول الكعبة؛ لئلّا يعنت أمّته، وأنّه كان يسمع بكاء الصبيّ فيتجوز في صلاته) .
ومن شفقته صلى الله عليه وسلم: أن دعا ربه وعاهده، فقال: «أيّما رجل سببته أو لعنته.. فاجعل ذلك له زكاة، ورحمة، وصلاة، وطهورا، وقربة تقرّبه بها إليك يوم القيامة» .
ولمّا كذبه قومه.. أتاه جبريل عليه السّلام، فقال له: إنّ الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا

عليك، وقد أمر ملك الجبال؛ لتأمر بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال، وسلّم عليه، وقال: مرني بما شئت؛ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئا» .
وإن شئت المزيد..، فعليك ب «الشفاء» للقاضي عياض و «المواهب» و «شرحها» وغير ذلك من الدواوين التي تبحث عن أحواله صلى الله عليه وسلم ورحمته لأمته، ومع ذلك فما ذكر إنّما هو قلّ من كثر، وغيض من فيض. نسأل الله تعالى أن يعمّنا برحمته وشفقته، آمين.

(1/637)

يدخلنا الجنّة إلّا من شرد ... عنه وعن توحيده أبى وصد
يقرب بالذّراع أو بالباع ... للمدّني بشبر أو ذراع
ومن أتى يمشي أتاه هروله ... فضاعف الأجر له وأجز له

جزاء المطيعين لله الجنة:
(يدخلنا) الله تبارك وتعالى معشر الموحّدين (الجنّة) بفضله المحض (إلّا من شرد) أي: فرّ ونفر (عنه وعن توحيده) يتعلق بقوله: (أبى) أي: امتنع عن توحيده (وصدّ) أي: أعرض.
ثمّ ذكر الناظم من تنزلات مولانا عزّ وجلّ لعباده المؤمنين، ما يحثّهم على المبادرة لطاعاته، والمسارعة إلى مرضاته، فقال:

قرب العبد من ربه وقرب الرب من عبده:
(يقرب بالذراع) لمن تقرّب إليه شبرا (أو بالباع) لمن تقرّب إليه ذراعا، والباع: قدر مدّ اليدين، ولذا قال:
(للمدّني) بضم الميم وتشديد الدال المفتوحة اسم فاعل، مأخوذ من: ادّنى مشدد الدال، قال السيد محمّد مرتضى في «تاج العروس» : (وادّنى ادّناء: افتعل، من الدنوّ؛ أي:
قرب) (بشبر أو ذراع) وفيه لف ونشر مرتب.
(ومن أتى يمشي) من المتقرّبين إليه (أتاه هرولة) بفتح الهاء: ما بين العدو والمشي، ولفظ الحديث بسند مسلم إلى أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال:

(1/638)

«قال الله عزّ وجلّ: إذا تقرب عبدي مني شبرا.. تقرّبت منه ذراعا، وإذا تقرّب مني ذراعا.. تقرّبت منه باعا– أو بوعا– وإذا أتاني يمشي.. أتيته هرولة» ذكره في موضوع (من أحبّ لقاء الله.. أحب الله لقاءه) .

وذكر في (كتاب الذكر والدعاء) بسنده إلى أبي هريرة، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«يقول الله عزّ وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه.. ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ..
ذكرته في ملأهم خير منهم، وإن تقرّب مني شبرا.. تقربت منه ذراعا، وإن تقرّب مني ذراعا.. تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي.. أتيته هرولة» وهذا الحديث كسابقه من أحاديث الصفات، يجب الإيمان به، ويصرف عن إرادة ظاهره؛ لقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.
قال الإمام أبو زكريا النوويّ في «شرح مسلم» :
(ومعناه: من تقرب إليّ بطاعتي.. تقربت إليه بالرحمة، والتوفيق، والإعانة، وإن زاد.. زدت، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي.. أتيته هرولة؛ أي: صببت عليه الرحمة، وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، والمراد: أنّ جزاءه يكون تضعيفه له على حسب تقربه) ولذا قال الناظم: (فضاعف الأجر له وأجز له) أي:
أكثره.

يضاعف الأجر لسبع مئة ... ففوق يؤجر بحسن النّيّة
ثمّ بيّن أنّ المضاعفة تكون على حسب حال العاملين، وحسن نياتهم وإخلاصهم بقوله:
(يضاعف الأجر لسبع مئة ففوق) بالبناء على الضم؛ أي: ففوق السبع مئة ضعف (يؤجر) العامل (بحسن النية) قال الله عزّ وجلّ: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ.
وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن ربه تبارك وتعالى: «إنّ الله كتب الحسنات والسيئات» ثمّ بيّن ذلك بقوله: «فمن همّ بحسنة فلم يعملها.. كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها.. كتبها الله عنده عشر حسنات، إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيئة فلم يعملها.. كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها.. كتبها الله عنده سيئة واحدة» رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» .
وهذا الحديث عظيم شريف، بيّن النّبيّ صلى الله عليه وسلم به مقدار تفضّل الله عزّ وجلّ على خلقه، قال الإمام أبو زكريا النووي: (فانظر يا أخي– وفقنا الله وإيّاك– إلى عظيم لطف الله تعالى، وتأمل هذه الألفاظ، وقوله: «عنده» إشارة إلى الاعتناء بها، وقوله: «كاملة» للتأكيد وشدة الاعتناء بها، وقال في السيئة التي همّ بها ثمّ تركها: «كتبها الله

من لطفه أنّ صحائف الذّنوب ... وهي عظيمة تروّع القلوب
لا تزن التّهليل في بطاقه ... كأنّها الظّفر في الدّقاقه
عنده حسنة كاملة» فأكّدها بكاملة، وإن عملها.. كتبها سيئة واحدة، فأكّد تقليلها ب «واحدة» ولم يؤكدها ب «كاملة» فلله الحمد والمنّة، سبحانه لا نحصي ثناء عليه، وبالله التوفيق) .

حديث البطاقة:

(من لطفه) أي: رفق الله تعالى بعباده وبرّه بهم (أنّ صحائف الذنوب وهي عظيمة تروّع) بضم المثنّاة وتشديد الواو المكسورة؛ أي: تخوف (القلوب) وتفزعها لعظمها، وكل ذنب إذا قوبل بجلال الله وعظمته.. فهو عظيم، وهذه الجملة معترضة، وقعت بين اسم إن وخبرها الذي هو: (لا تزن التهليل) أي: كلمة «لا إله إلّا الله» الثابتة (في بطاقة) بكسر الباء؛ أي: رقعة صغيرة، قال في «النهاية» : (سميت بذلك؛ لأنّها تشد بطاقة في الثوب) فتكون الباء حينئذ زائدة (كأنّها) أي: البطاقة (الظفر) بالضم، وبضمّتين، والكسر شاذ، يكون للإنسان وغيره، قاله أبو البقاء في «كلياته» وذكر الناظم وجه الشبه بين البطاقة والظفر بقوله: (في الدقاقه) بضم الدال؛ أي: الدقة.

ويشير بهذا إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله عزّ وجلّ يستخلص رجلا من أمّتي على

رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مدّ البصر، يقول: أتنكر من هذا شيئا؟

أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا ربّ، قال: أفلك عذر؟ قال: فبهت الرجل، فيقول: لا يا ربّ، فيقول: بلى إنّ لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّدا رسول الله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب؛ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنّك لا تظلم، قال:

فتوضع السجلات في كفّة، والبطاقة في كفّة، قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، قال: ولا يثقل شيء مع اسم الله» رواه الترمذيّ وابن ماجه من حديث الليث بن سعد، وقال الترمذي: حسن.

السجلات: جمع سجل، وهو الصك والكتاب، وطاش من الطيش، وهو الخفة؛ أي: خفت السجلات.

*** وبعد ما فرغ الناظم من هذه الأبيات الاستطرادية؛ لمناسبة تدارك الله تعالى هبارا بالعناية، وبسط يد رسوله صلى الله عليه وسلم بالعفو.. أراد أن يذكر ما ناله هبار من سوء المعاملة بالمدينة؛ لما فعله مع البضعة الطاهرة الزّكية، وكيف ردّهم رسول الله ونبيّ الرحمة صلى الله عليه وسلم عنه رأفة به فقال:

بسبّه من سبّه آنسه ... نبيّنا أن عيّروه نخسه
صلّى عليه الله ما أحلمه ... عن سيّىء الحوب وما أكرمه

عطف الرسول صلّى الله عليه وسلّم على هبار بن الأسود:
(بسبّه) أي: هبار، وهو مضاف إلى فاعله، ومتعلق بقوله (آنسه) يعني: آنسه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإذن في أن يسب هبّار (من سبّه) وعيّره بنخس جمل السيدة زينب ونحو ذلك، قالوا: وكان هبار سبابا في الجاهلية (آنسه) وهو ضد أوحشه؛ أي: أدخل عليه الأنس بذلك، (نبينا) ب (أن عيّروه) عابوه بذلك (نخسه) أي: طعنه الجمل بزينب رضي الله عنها.
والحاصل: أنّه لما أسلم هبار، وأمّنه النّبيّ صلى الله عليه وسلم.. قدم المدينة، فجعلوا يسبّونه؛ لنخسه بزينب بنته صلى الله عليه وسلم يوم خروجها من مكة إلى المدينة، فشكى ذلك لحضرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، فقال له: «سبّ من سبّك، فكفّوا عنه» قال في «شرح المواهب» : (رواه ابن شاهين من مرسل الزّهريّ) .
(صلّى عليه الله ما أحلمه) أي: أكثر حلمه، وصفحه (عن سيئ الحوب) أي: الإثم الصادر قديما من هبار، ومن غيره (وما أكرمه) فقد عفا وصفح عن أعدائه مع المقدرة منه في حال السلم والحرب، بما لم يعرف من غيره، كما يعلم ذلك من درس أحواله صلى الله عليه وسلم.

وكأبي سفيان وابن عمّته ... وكابن عمّه وأهل بكّته
وحسبك قوله عليه الصّلاة والسّلام يوم فتح مكة في عشرة آلاف من أصحابه الصناديد الأسود، وقد خضعت تلك الرقاب التي كانت تؤذيه وتحاربه، ونكست من رؤوسها: «ماذا ترون أنّي فاعل بكم؟» قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم، قال:
«اذهبوا فأنتم الطلقاء» إلى غير ذلك ممّا تجده في هذه الورقات، وغيرها من الأسفار والمجلدات.

رضاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم عن أبي سفيان بعد إسلامه وإكرامه إياه:
(وكأبي سفيان) صخر بن حرب، وهو معطوف على قوله سابقا: (كابن أبي سرح) أي: وفاز من لجأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كابن أبي سرح، وكأبي سفيان؛ فإنّه ممّن لاذ به مع العباس عمه، وفاز بالإسلام، وكان تولى بعد بدر رياسة قريش وحرب النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ولمّا أسلم..
كان يمازح النّبيّ صلى الله عليه وسلم ويقول: تركتك وتركتك العرب ولم تنتطح فيّ عنزان، فجعل النّبيّ صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول: «أنت تقول هذا يا أبا حنظلة» .
وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من المسجد على أبي سفيان، فلمّا رآه.. قال في

نفسه: ليت شعري بم غلبني؟ فضرب صلى الله عليه وسلم بين كتفيه فقال: بالله غلبتك يا أبا حنظلة، فقال أشهد أنّك رسول الله.
وفقئت عيناه: الأولى يوم الطائف، والثانية يوم اليرموك، تحت لواء ابنه يزيد.

(1/644)

وعن سعيد بن المسيب قال: خفتت الأصوات يوم اليرموك إلّا صوتا ينادي: يا نصر الله اقترب، فنظرت، فإذا صوت أبي سفيان تحت لواء ابنه يزيد.
وتوفي في خلافة عثمان، وتوفيت هند زوجه في خلافة أبي بكر، رضوان الله عليهم أجمعين، وتقدم الكلام على كثير من حياة أبي سفيان وقصة إسلامه.

عطف الرسول صلّى الله عليه وسلّم على عبد الله بن أبي أميّة وأبي سفيان بن الحارث وأهل مكة:
(و) ك (ابن عمته) وهو عبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة، أمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، (وك) أبي سفيان (ابن عمه) الحارث بن عبد المطلب؛ فإنّهما ممّن لاذ بالنّبي صلى الله عليه وسلم، ففازا بالقبول، وسبق الكلام عليهما آنفا.
(و) ك (أهل بكّته) بفتح الباء وتشديد الكاف، من أسماء مكة؛ لأنّها تبك؛ أي: تدق أعناق الجبابرة؛ فإنّهم فازوا به لما لجأوا إليه، وقال لهم: «يا معشر قريش؛ ماذا ترون أنّي فاعل بكم؟» قالوا: خيرا؛ أخ كريم، وابن أخ كريم، وقد قدرت، فقال صلى الله عليه وسلم: «فإنّي أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الرّاحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء» .

(1/645)

واختلفوا فيها فقيل أمّنت ... والحقّ عنوة وكرها أخذت

هل فتح مكة كان عنوة أو صلحا؟

ثمّ شرع يذكر الخلاف بين العلماء في مكة، هل كان فتحها عنوة أو صلحا؟ فقال:
(واختلفوا فيها) أي: في مكة (فقيل: أمنت) بالبناء للمجهول؛ أي: فتحت أمنا على أهلها وصلحا، وإليه ذهب الإمام الشافعيّ؛ لقوله عليه الصّلاة والسّلام: «من دخل دار أبي سفيان.. فهو آمن، ومن أغلق عليه داره.. فهو آمن» حيث أضيفت الدور إلى أهلها، ولأنّها لم تقسم، ولأنّ الغانمين لم يملكوا دورها، وإلّا.. لجاز إخراج أهل الدور منها، وينبني على هذا القول: أنّ لأهلها بيع دورهم، وإكرائها (والحق عنوة) أي: فتحت بالاستعانة بالسلاح (وكرها أخذت) بالكره من قريش بالخيل والركاب، وإنّما كان هذا هو الحق.. لأنّه قول الجمهور، ولقوة الدليل.
قال في «المواهب» و «شرحها» : (وحجتهم ما وقع التصريح به في الأحاديث الصحيحة من الأمر

بالقتال، ووقوعه من خالد بن الوليد، وتصريحه عليه الصّلاة والسّلام بأنّها أحلّت له ساعة من نهار، ونهيه عن التأسّي به في ذلك؛ لأنّه من خصائصه، فهذه أربع حجج قوية، كل منها بانفراده كاف في الحجّية) اهـ

وعلى هذا القول: لا يجوز لأهل مكة بيع دورهم وكراؤها، بل هي مناخ لمن سبق، كما روي ذلك عن أمنا

عائشة رضي الله عنها، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاج، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن كراء دورها إذا جاء الحاج؛ فإنّ ذلك لا يحلّ لهم، وقال الإمام مالك رحمه الله: إن كان الناس ليضربون فساطيطهم بدور مكة، لا ينهاهم أحد.

قال السّهيليّ بعد هذا: (وهذا كله منتزع من أصلين:

أحدهما: قوله تبارك وتعالى: وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَالْبادِ قال ابن عمر وابن عباس: الحرم كله مسجد.

والأصل الثّاني: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم دخلها عنوة، غير أنّه منّ على أهلها بأنفسهم وأموالهم، ولا يقاس عليها غيرها من البلاد، كما ظنّ بعض الفقهاء؛ فإنّها مخالفة لغيرها من وجهين:

أحدهما: ما خصّ الله به نبيه؛ فإنّه قال: قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ.

والثّاني: ما خصّ الله به مكة؛ فإنّه جاء: «لا تحل غنائمها، ولا تلتقط لقطتها، وهي حرم الله تعالى وأمنه» فكيف تكون أرضها أرض خراج؟ فليس لأحد افتتح بلدا أن يسلك به سبيل مكة، فأرضها إذن ودورها لأهلها، ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموها،

ولا يأخذوا منهم كراء في مساكنها، فهذا حكمها، فلا عليك بعد هذا؛ فتحت عنوة أو صلحا، وإن كانت ظواهر الأحاديث أنّها فتحت عنوة) اهـ

مناظرة الإمام الشافعي مع ابن راهويه في مكة:

ويحسن هنا أن نذكر مناظرة الإمام الشافعي مع ابن راهويه في هذا الموضوع، وقد ذكرها الإمام النووي في «مجموعه» في (كتاب البيوع) مع مذاهب العلماء في ذلك، وذكر حجج كل فريق؛ قال: (روى الإمام البيهقيّ بإسناده عن إبراهيم بن محمّد الكوفي قال: رأيت الشافعي بمكّة يفتي الناس، ورأيت إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل حاضرين فقال أحمد لإسحاق: تعال حتى أريك رجلا لم تر عيناك مثله، فقال إسحاق: لم تر عيناي مثله؟ فقال: نعم، فجاء به فوقفه على الشافعيّ ... فذكر

القصة إلى أن قال: ثمّ تقدم إسحاق إلى مجلس الشافعيّ، فسأله عن كراء بيوت مكة، فقال الشافعيّ: هو عندنا جائز، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وهل ترك لنا عقيل من دار؟» فقال إسحاق: حدّثنا يزيد بن هارون عن هشام، عن الحسن: أنّه لم يكن يرى ذلك، وعطاء وطاووس لم يكونا يريان ذلك، فقال الشافعيّ لبعض من عرفه: من هذا؟ قال:
هذا إسحاق بن راهويه الحنظليّ الخراسانيّ، فقال له الشافعيّ: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنّك فقيههم؟ قال

(1/648)

وأخبر النّبيّ بارىء النّسم ... بقولهم يسكن بعدها الحرم
إسحاق: هكذا يزعمون، قال الشافعي: ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك، فكنت آمر بفرك أذنيه، أنا أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت تقول: قال طاووس والحسن وعطاء، وهؤلاء لا يرون ذلك، وهل لأحد مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم حجة ... وذكر كلاما طويلا.
ثمّ قال الإمام الشافعيّ: قال الله تعالى: لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ أفتنسب الديار إلى مالكين أو غير مالكين؟ فقال إسحاق: إلى مالكين، قال الشافعيّ: قول الله أصدق الأقاويل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«من دخل دار أبي سفيان.. فهو آمن» وقد اشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار الحجامين ...
وذكر الإمام الشافعيّ له جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له إسحاق: سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَالْبادِ قال الشافعي: قال الله تعالى: وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَالْبادِ والمراد المسجد خاصة، وهو الذي حول الكعبة، ولو كان كما يزعم.. لكان لا يجوز لأحد أن ينشد في دور مكة وفجاجها ضالّة، ولا ينحر فيها البدن، ولا يلقي فيها الأرواث، ولكن هذا في المسجد خاصة، فسكت إسحاق ولم يتكلم، فسكت عنه الشافعي) اهـ

إخبار الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم بما قاله الأنصار بعد الفتح:
(وأخبر النّبيّ) صلى الله عليه وسلم، وهو مفعول مقدم

(1/649)

وبالّذي قالوه إذ لم يرهقا ... تداركته رحمة فأشفقا
ل (أخبر) على فاعله الذي هو (بارئ) أي: خالق (النسم) والبارئ من أسمائه تعالى البالغة مئة إلّا واحدا، من أحصاها.. دخل الجنة، والنسم، بتشديد النون المفتوحة، جمع نسمة: الإنسان.
والمعنى: أنّه بينما تتحدث الأنصار بعضها مع بعض في شأن سكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببلده التي فتحها اليوم، وقومه الذين تربّى بينهم، ونشأ فيهم، إذ جاءه الوحي بما تحدثوا به، والمخبر به

هو (بقولهم) فهو يتعلق بقوله:
(أخبر) والضمير المضاف إليه عائد للأنصار المعلومين من المقام (يسكن بعدها) أي: بعد هذه الغزوة (الحرم) أي:
مكة؛ لأنّها مسقط رأسه.
(و) أخبره بارىء النسم أيضا (بالذي) أي: بالقول الذي (قالوه) أي: الأنصار؛ ضنا برسوله صلى الله عليه وسلم (إذ لم يرهقا) أي: لم يدخل الإرهاق والكلفة على قومه، ومقول قولهم: (تداركته) أي: الرسول الأعظم (رحمة) في عشيرته، ورغبة في قريته (فأشفقا) عليهم، وأطلقهم من الأسر، وقال لهم: «أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم، وهو أرحم الرّاحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء» .
وهذا مأخوذ ممّا رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّه صلى الله عليه وسلم لمّا فرغ من طوافه.. أتى

وبالّذي قالوه في المؤذّن ... وبالّذي به فضالة عني
الصفا، فعلا منه حتى يرى البيت، فرفع يديه، وجعل يحمد الله ويذكره، ويدعو بما شاء الله أن يدعو، والأنصار تحته، فقال بعضهم لبعض: أمّا الرجل.. فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته، قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء الوحي.. لم يخف علينا، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إليه، فلمّا قضى الوحي.. قال: «يا معشر الأنصار» قالوا:
لبّيك يا رسول الله، قال: «قلتم: أمّا الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته؟» قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قال: «فما اسمي إذا؟ كلّا، إنّي عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، المحيا محياكم، والممات مماتكم» فأقبلوا إليه يبكون، يقولون: والله يا رسول الله، ما قلنا الذي قلنا إلّا الضّن «1» بالله ورسوله، فقال صلى الله عليه وسلم: «فإنّ الله ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم» .

إخبار الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم بما تحدثت به قريش عند أذان بلال:
(و) أخبر بارىء النسم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ب) الكلام (الذي قالوه) أي: قريش (في) سيدنا بلال بن

---

(1) قوله: (إلّا الضن) بكسر الضاد المعجمة، وشد النون؛ أي: البخل والشح به أن يشركنا فيه أحد غيرنا، قال في «شرح المواهب» لمّا نقل هذا الضبط عن الشامي: (ولعلّه الرواية، وإلّا.. ففتحها لغة أيضا، وكان ذلك وقع لطائفتين، فبادر بإخبار إحداهما لجزمها، وتلطّف في سؤال الأخرى لكونها لم تجزم، بل قالت: أترى ... إلخ، و «يعذرانكم» بكسر الذال المعجمة: يقبلان عذركم) اهـ

رباح «1» (المؤذن) بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على

(1) واسم أمه حمامة، مولاة لبني جمح، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عبدا لأميّة بن خلف، فأسلم مع أبي بكر، وزيد بن حارثة، وعلي، والسيدة خديجة. وأشار الحافظ السيوطي إلى الخلاف في أول من أسلم منهم مع الجمع بين الأقوال بقوله:

واختلفوا أوّلهم إسلاما ... وقد رأوا جمعهم انتظاما

أول من أسلم في الرجال ... صديقهم وزيد في الموالي

وفي النسا خديجة وذي الصغر ... علي، والرق بلال اشتهر

وكان أميّة لعنه الله يعذّب بلالا، حتى كان يضجعه في الرمضاء ببطحاء مكة، ويطرح عليه الحجارة، ويقول له: لا تزال كذلك، أو تكفر بمحمّد وإلهه، وبلال يقول: أحد أحد، وقد نهى ورقة بن نوفل عن تعذيبه، ولمّا رأى أبو بكر ذلك عظم عليه الأمر، فكلم أميّة أن يعطيه نسطاسا عبدا لأبي بكر كثير الخراج، إلّا أنّه متمرد إذ ذاك ويأخذ بدله بلالا، ففعل، فأعتق أبو بكر بلالا لوجه الله تعالى، لا لنعمة عنده تجزى، إلّا ابتغاء وجه ربه الأعلى، قال سيدنا عمر رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا أعتق سيدنا. قال بعضهم:

أبو بكر حباه الله مالا ... فمذ دعى أجاب نعم بلا: لا

فكم واسى النبي بكل خير ... وأعتق من ذخائره بلالا

فلو أنّ البحر يبغضه اعتقادا ... لما أبقى الإله به بلالا

وكان من قضاء الله وقدره أنّ نسطاسا أسر يوم بدر، ثمّ أسلم بعد أحد رضي الله عنه، وأنّ بلالا قتل أميّة هذا الذي كان يعذبه، وولده عليا، ولذا هنّأه أبو بكر بقوله:

هنيئا زادك الرّحمن فخرا ... لقد أدركت ثأرك يا بلال

وكان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حضرا وسفرا، وهو أول من أذن في الإسلام، واستمرّ حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثمّ-

ظهر الكعبة للظهر؛ ليغيظ المشركين، وقريش فوق رؤوس الجبال، وقد فرّ جماعة من وجوههم وتغيّبوا، وأبو سفيان، وعتاب بن أسيد- بفتح الهمزة- وأخوه خالد، والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، وقد أسلموا بعد رضي الله عنهم، فقال عتاب وخالد: لقد أكرم الله أسيدا أن لا يسمع هذا فيغيظه، وقال الحارث: أما والله؛ لو أعلم أنّه محق..

لاتّبعته، إن يكن الله يكره هذا.. فسيغيره، وقال أبو سفيان:

ذهب إلى الشام مجاهدا، قال النووي في «التهذيب» : (فأقام بها إلى أن توفي، وقيل: أذن لأبي بكر مرة، وأذن لعمر مرة، حين قدم عمر الشام، فلم يرباك أكثر من ذلك اليوم، وأذن في قدمة قدمها إلى

المدينة لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، طلب ذلك الصحابة، فأذن ولم يتم الأذان) . ثبت في «الصحيحين» : أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «أخبرني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإنّي سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة؟» قال: ما عملت عملا أرجى عندي من أنّي لم أتطهّر طهورا في ساعة ليل أو نهار.. إلّا صلّيت بذلك الطهور ما كتب أن أصلي، ولمسلم بلفظ: «حشف نعليك» . وفي «الترمذي» : «يا بلال؛ بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قط.. إلّا سمعت خشخشتك أمامي! ... » إلخ. قال في «عمود النسب» :

ممّن عليه منّ بالشراء ... والعتق فارتثّ من السواء
بلال السابق جيل الحبشة ... ومن له وسط الجنان خشخشة
أذن للنّبيّ والعتيق ... ومرة أذن للفاروق
فذكر النّبي فانهلت له ... دموعهم لذاك ما استعمله

ومناقبه كثيرة، وفضائله شهيرة، توفي على الصحيح بالشام سنة عشرين، ولمّا حضره الموت.. جعل أهله يبكون ويقولون: واكرباه، فيقول بلال: واطرباه، غدا ألقى الأحبّه محمّدا وحزبه. رضي الله عنه، ولقانا به وأحبابنا، بمنّه وكرمه، آمين.

(1/653)

لا أقول شيئا، لو تكلمت.. لأخبرت عني هذه الحصى، وقال بعض بني سعيد بن العاصي: لقد أكرم الله سعيدا أن قبضه الله قبل أن يرى هذا الأسود على ظهر الكعبة، وقال الحكم بن أبي العاصي: هذا والله هو الحدث العظيم، أن يصبح عبد بني جمح على بنية بني طلحة.

هذا الذي قالوه في شأن سيدنا بلال، وهو ما أراده الناظم، ورواه أبو يعلى عن ابن عباس، والبيهقي عن ابن إسحاق، وعروة وابن أبي شيبة عن أبي سلمة، كما في «شرح المواهب» وبعده: (فأتى جبريل فأخبره صلى الله عليه وسلم خبرهم، فخرج عليهم، وقال: «قد علمت الذي قلتم» وأخبرهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنّك رسول الله، وما اطّلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك) .

إخبار الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم بما قاله فضالة بن عمير:

(و) أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أيضا (بالذي) همّ (به فضالة) بفتح الفاء، ابن عمير بن الملوح الليثي، فقوله:

(به) يتعلق بقوله: (عني) كرضي، ويصح بناؤه للمجهول، والذي قصده فضالة هو قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت، فلمّا دنا منه.. قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضالة؟» قال: نعم يا رسول الله، قال: «ماذا كنت تحدّث به نفسك؟» قال:

لا شيء، كنت أذكر الله، فضحك رسول الله صلى الله عليه

(1/654)

وسلم، ثمّ قال: «استغفر الله» ثمّ وضع يده المباركة الميمونة على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله؛ ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا أحبّ إليّ منه، قال فضالة: فرجعت إلى أهلي، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هلمّ إلى الحديث، فقلت: لا، وانبعث فضالة يقول:

قالت هلمّ إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليّ الله والإسلام
لو ما رأيت محمّدا وقبيله ... بالفتح يوم تكسّر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بيّنا ... والشرك يغشى وجهه الإظلام

تحطيم الأصنام حول الكعبة:

ويشير «1» بقوله: (يوم تكسر الأصنام) إلى أنّه عليه الصّلاة والسّلام لمّا وصل إلى البيت الحرام.. وجد حوله ثلاث مئة وستين صنما، ملزقة بالرصاص والنحاس، فكان كلّما مرّ بصنم.. أشار إليه بقضيبه وهو يقول: جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً فيقع الصنم مكسرا لوجهه.
قال الشهاب في «المواهب» : (وفي تفسير العلّامة أبي

---

(1) أي: فضالة.

وأخذ المفتاح ثمّ ردّه ... عن رغم قومه الّذين عنده

عبد الله بن محمّد النقيب المقدسيّ: إنّ الله تعالى لمّا أعلم رسوله صلى الله عليه وسلم بأنّه قد أنجز له وعده بالنصر على أعدائه، وفتحه مكة، وإعلاء كلمة دينه، أمره إذا دخل مكة.. أن يقول: وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الأصنام التي حول الكعبة بمحجنه «1» ويقول: «جاء الحق، وزهق الباطل» فيخر ساقطا، مع أنّها كلها كانت مثبتة بالحديد والرصاص، وكانت ثلاث مئة وستين صنما، بعدد أيام السنة) .

خلود سدانة الكعبة في بني طلحة:

(وأخذ) النّبيّ صلى الله عليه وسلم من عثمان بن طلحة على الأصح- يوم الفتح (المفتاح) للكعبة، وكان عند أمه محفوظا، وقد أبت أن تسلّمه إيّاه، فقال عثمان: والله لتعطينّه، أو ليخرجنّ هذا السيف من صلبي، فأعطته إياه، فجاء به إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فدفعه إليه، ففتح الباب، (ثمّ ردّه) أي: ردّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم المفتاح إلى عثمان بن طلحة، وقال: «خذوها- أي: سدانة الكعبة- خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلّا ظالم» .
ولمّا خرج صلى الله عليه وسلم من البيت.. سأله العباس

---

(1) المحجن بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الجيم: عصا محنية الرأس.

أن يعطيه المفتاح، ويجمع له بين السقاية «1» والسدانة فأبى، وإليه أشار بقوله: (عن رغم) بالراء مثلثة؛ أي: عن كره (قومه) وهم: العباس، وعلي، وبنو هاشم (الذين) كانوا (عنده) صلى الله عليه وسلم لمّا فتح البيت وخرج منه.

قال في «عيون الأثر» : (روينا عن سعيد بن المسيّب:

أنّ العباس تطاول يومئذ لأخذ المفتاح، في رجال من بني هاشم، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان) .

وقال الشهاب في «المواهب» : (عن ابن سعد في «طبقاته» عن عثمان بن طلحة، قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس، فأقبل النّبيّ صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له ونلت منه، فحلم عني، ثمّ قال: «يا عثمان؛ لعلّك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت» فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذلّت، قال: «بل عمرت وعزّت يومئذ» ودخل الكعبة، فوقعت كلمته مني موقعا ظننت أنّ الأمر سيصير إلى ما قال.

قال: فلمّا كان يوم الفتح.. قال: «يا عثمان؛ ائتني بالمفتاح» فأتيته به، فأخذه مني ثمّ دفعه إليّ، وقال:

---

(1) السقاية: هي أحواض من جلد، يوضع فيها الماء العذب لسقاية الحاج، وربما يطرح فيها التمر والزبيب، فعل ذلك عبد المطلب لما حفر زمزم، وقام بها بعده العباس. والسدانة بفتح السين المشددة: هي خدمة البيت الحرام. اهـ

«خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلّا ظالم، يا عثمان:

إنّ الله استأمنكم على بيته، فكلوا ممّا يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف» «1» قال: فلمّا وليت.. ناداني، فرجعت إليه فقال: «ألم يكن الذي قلت لك؟ فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة: «لعلّك سترى هذا المفتاح يوما بيدي، أضعه حيث شئت» قلت: بلى، أشهد أنّك رسول الله) .

ومن شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه يهجو المشركين، ويمدح النّبيّ صلى الله عليه وسلم والأصحاب الكرام، ويذكرهم بفتح مكة، قوله رضي الله عنه:

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء

ديار من بني الحسحاس قفر ... تعفّيها الروامس والسّماء

---

(1) هذا إن صحّ.. احتمل معناه: ما يأخذونه من بيت المال على خدمته والقيام بمصالحه، ولا يحل لهم إلّا قدر ما يستحقونه، وما يقصدون به من البر والصلة على وجه التبرر.. فلهم أخذه، وذلك

أكل بالمعروف، فلا يذهب إلى الوهم جواز أخذ الأجرة على دخول الكعبة؛ فإنّه لا خلاف في تحريمه، كما حكاه في «شرح المواهب» عن المحب الطبري، وأقرّه، وقال: إنّ ذلك من أشنع البدع. قال الشمس الحطاب المالكي: والمحرم إنّما هو نزع المفتاح منهم، لا منعهم من انتهاك حرمة البيت وما فيه قلّة أدب، فهذا واجب لا خلاف فيه، لا كما يعتقد الجهلة أن لا ولاية لأحد عليهم، وأنّهم يفعلون في البيت ما شاؤوا، فهذا لا يقوله أحد المسلمين.

(1/658)

وكانت لا يزال بها أنيس ... خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا، ولكن من لطيف ... يؤرّقني إذا ذهب العشاء
لشعثاء الّتي قد تيّمته ... فليس لقلبه منها شفاء
كأنّ سبيئة من بيت راس ... يكون مزاجها عسل وماء
على أنيابها أو طعم غضّ ... من التفّاح هصّره الجناء
إذا ما الأشربات ذكرن يوما ... فهنّ لطيّب الراح الفداء
نولّيها الملامة إن ألمنا ... إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا ... وأسدا ما ينهنهنا اللّقاء
عدمنا خيلنا إن لم تروها ... تثير النّقع موعدها كداء
يبارين الأعنّة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظّماء
تظلّ جيادنا متمطّرات ... تلطّمهنّ بالخمر النّساء

(1/659)

فإمّا تعرضوا عنّا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلّا فاصبروا لجلاد يوم ... يعزّ الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا ... يقول الحقّ إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدّقوه ... فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيّرت جندا ... هم الأنصار عرضتها اللّقاء
لنا في كلّ يوم من معدّ ... سباب، أو قتال، أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أبا سفيان عنّي ... مغلغلة فقد برح الخفاء

بأنّ سيوفنا تركتك عبدا ... وعبد الدّار سادتها الإماء
هجوت محمّدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

(1/660)

أتهجوه ولست له بكفء ... فشرّكما لخيركما الفداء
هجوت مباركا برّا حنيفا ... أمين الله شيمته الوفاء
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
فإنّ أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمّد منكم وقاء
فإمّا تثقفنّ بنو لؤيّ ... جذيمة إنّ قتلهم شفاء
أولئك معشر نصروا علينا ... ففي أظفارنا منهم دماء

قال بعض من علّق على هذه القصيدة، عن مصعب الزّبيريّ: كان حسان قد ابتدأ هذه القصيدة في الجاهلية، ثمّ أكملها في الإسلام من عند قوله: (عدمنا خيلنا إن لم تروها) .

قلت: ويؤيده ما جاء أنّه مرّ بفتية يشربون الخمر في الإسلام فنهاهم، فقالوا: والله؛ لقد أردنا تركها، فيزينها لنا قولك: (ونشربها فتتركنا ملوكا) فقال: والله؛ لقد قلتها في الجاهلية، وما شربت منذ أسلمت.

(1/661)

(28) غزوة حنين في شوال سنة ثمان

حنين: واد قرب ذي المجاز، وهو سوق كان للعرب على فرسخ من عرفة «1» ، سميت الغزوة به.

ويقال لها: غزوة أوطاس، سميت بالموضع الذي كانت فيه الموقعة، ويقال لها أيضا: غزوة هوازن، بفتح الهاء وكسر الزاي: قبيلة كبيرة من العرب، فيها عدة بطون، ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة، سميت بذلك؛ لأنّهم الذين أتوا لقتاله صلى الله عليه وسلم.

سبب هذه الغزوة:

قال الشهاب في «المواهب» : (وسببها: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم لمّا فرغ من فتح مكة وتمهيدها، وأسلم عامة أهلها.. مشت أشراف هوازن وثقيف بعضهم إلى بعض، وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين، وكان رئيسهم مالك بن عوف بن سعد النصري، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكّة سنة ثمان، يوم السبت، لستّ

---

(1) قال الواقدي: ذو المجاز خلف عرفة، ومجنة بمر الظهران، وعكاظ بين نخلة والطائف، وهو أعظم

هذه الأسواق، يقيمون بها شوالا، ثمّ ينتقلون إلى سوق مجنة عشرين يوما من ذي القعدة، ثمّ ينتقلون إلى سوق ذي المجاز أيام الحج. اهـ ملخصا من «معجم ياقوت» .

(1/662)

ثمّ إلى وادي حنين انحدر ... عن مكّة من الألوف اثنا عشر
فوجدوا هوازنا تأهّبوا ... بكلّ مخرم لهم وألّبوا
خلون من شوال، في اثني عشر ألفا من المسلمين، وأشار الناظم إلى هذا بقوله:
(ثم) بعد أن فرغ من مكة وفتحها، وأخرج الأصنام منها، وطهّر ساحتها.. انحدر عن مكة (إلى وادي حنين) بالتصغير (انحدر) أي: هبط (عن مكة) بالتنوين للضرورة، واستعمل عليها عتاب بن أسيد بالتكبير أميرا، وكان معه (من الألوف اثنا عشر) : عشرة آلاف من أهل المدينة، منهم من الأنصار أربعة آلاف، ومن جهينة ألف، ومن مزينة ألف، ومن أسلم ألف، ومن غفار ألف، ومن أشجع ألف، ومن المهاجرين وغيرهم ألف، وألفان ممّن أسلم من أهل مكة (فوجدوا هوازنا) وعددهم يربو على عشرين ألفا (تأهّبوا) أي: استعدوا (بكل مخرم) يتعلق بقوله: (ألبوا) آخر البيت، وهو بفتح الميم، وبعدها خاء معجمة ساكنة وراء مكسورة؛ أي: طريق (لهم) قال في «اللسان» : (مخارم الطرق: جمع مخرم- بكسر الراء- وهو الطريق في الجبل أو الرمل) .
(وألبوا) بفتح الهمزة وشد اللام المفتوحة؛ أي: جمعوا وهيّؤوا لقتال النّبيّ صلى الله عليه وسلم بكل ما لديهم من قوة وعتاد، ورئيسهم مالك بن عوف النصريّ، وهو الذي جمعهم للقتال، وعمره ثلاثون سنة، وقد أسلم بعد، وحسن إسلامه رضي الله عنه، وضمّ إلى الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم.

(1/663)

معارضة دريد بن الصمّة لمالك بن عوف النصري:
فلمّا نزل بأوطاس.. اجتمع إليه الناس، وفيهم دريد بن الصّمة شيخ كبير مجرّب، زاد عمره على المئة، وعمي بصره، فلمّا نزل.. قال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل، لا حزن «1» ضرس، ولا سهل دهس، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟
قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم، ونساءهم، وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل:
هذا مالك، ودعي له فقال: يا مالك؛ إنّك قد أصبحت رئيس قومك، وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟
قال: سقت مع الناس أموالهم، وأبناءهم، ونساءهم، قال:
ولم ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله؛ ليقاتل عنهم، قال: فانقضّ به دريد «2» ، ثمّ قال:
راعي ضأن والله، ما له وللحرب، وصفّق بإحدى يديه على الأخرى تعجّبا، وقال: هل يرد المنهزم

شيء؟ إنّما إن كانت لك.. لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك..
فضحت في أهلك ومالك.

---

(1) الحزن: ما غلظ من الأرض، والضرس: ما صلب من الأرض، والسهل: ضد الحزن، والدهس: اللين كثير التراب.
(2) يريه أنّه نقر بلسانه في فيه، كما يزجر الشاة أو الحمار.

ثمّ قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قال: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحدّ والجدّ «1» ، ولو كان يوم علاء ورفعة..
لم تغب عنه كعب ولا كلاب، ولوددتم أنّكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟
قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال: ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضرّان، يا مالك؛ إنّك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم، وعليا قومهم، ثمّ الق الصّبّاء «2» على متون الخيل، فإن كانت لك..
لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك.. ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك، قال: لا والله؛ لا أفعل ذلك؛ إنّك قد كبرت وكبر عقلك، والله؛ لتطيعني يا معشر هوازن، أو لأتكئنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد بن الصمّة فيها ذكر أو رأي، قالوا: أطعناك، فقال دريد بن الصمّة: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني:
يا ليتني فيها جذع ... أخبّ فيها وأضع
أقود وطفاء الزّمع ... كأنّها شاة صدع

---

(1) الحد والجد: الأول بفتح الحاء المهملة، والثّاني بالمعجمة المكسورة: ضد الهزل، وبفتحهما: الحظ.
(2) جمع صابئ، يريد: جماعة المسلمين؛ لأنّهم صبئوا عن دينهم الجاهلي إلى الإسلام.

ثمّ قال مالك للناس: إذا رأيتموهم ... فاكسروا جفون سيوفكم، ثمّ شدّوا شدّة رجل واحد.

الملائكة وعيون مالك بن عوف:

ثمّ إنّ مالك بن عوف بعث عيونا من رجاله، فأتوه وقد تفرّقت أوصالهم رعبا وخوفا، فقال: ويلكم، ما شأنكم؟
فقالوا: رأينا رجالا بيضا على خيل بلق، فو الله؛ ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فو الله؛ ما نقاتل أهل

الأرض، إن نقاتل إلّا أهل السماء، وإن أطعتنا.. رجعت بقومك؛ فإنّ الناس إن رأوا مثل الذي رأينا.. أصابهم مثل الذي أصابنا، فقال: أفّ لكم، بل أنتم أجبن أهل العسكر، فحبسهم عنده خوفا أن يشيع ذلك الرعب في العسكر، وقال: دلّوني على رجل شجاع، فأجمعوا له على رجل، فخرج ثمّ رجع إليه قد أصابه كنحو ما أصاب من قبله، قال: ما رأيت؟ قال: رأيت رجالا بيضا على خيل بلق ما يطاق النظر إليهم، فو الله؛ ما تماسكت أن أصابني ما ترى، فلم يرد ذلك مالكا عن وجهه.

تعرّف الرسول صلّى الله عليه وسلّم أخبار القوم:
ووجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي حدرد الأسلميّ، وأمره أن يدخل معهم، ويقيم حتى يعلم خبرهم ويأتيه به، فانطلق فدخل عسكرهم، فطاف بهم وجاء بخبرهم، وممّا سمعه من مالك أنّه يقول لأصحابه: إنّ محمّدا لم يقاتل قوما قط قبل هذه المرة، وإنّما كان يلقى قوما أغمارا

لا علم لهم بالحرب، فيظهر عليهم، فإذا كان السّحر..
فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم، ثمّ صفوا، ثمّ تكون الحملة منكم، واكسروا جفون سيوفكم، فتلقونه بعشرين ألف سيف مكسورة الجفون، واحملوا حملة رجل واحد، واعلموا أنّ الغلبة لمن حمل أولا.
فأقبل عبد الله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره الخبر، فقال لعمر: «ألا تسمع ما يقول؟» فقال:
كذب، قال ابن أبي حدرد: لئن كذّبتني يا عمر، فربّما كذبت بالحق.. فقد كذبت من هو خير مني، فقال عمر:
يا رسول الله؛ ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟
فقال صلى الله عليه وسلم: «قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر» .

استعارة الرسول صلّى الله عليه وسلّم أدرعا وسلاحا من صفوان بن أميّة:
ولمّا أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن.. ذكر له أنّ عند صفوان بن أميّة أدرعا وسلاحا، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك، فقال: «يا أبا أميّة؛ أعرنا سلاحك نلق فيه عدونا» فقال صفوان: أغصبا يا محمّد؟
فقال: «بل عارية مضمونة حتى نردها إليك» قال: ليس بهذا بأس، فأعطى له مئة درع بما فيها من السلاح، فسأله صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها، فحملها إلى أوطاس.

وبينما الجيش إليهم ينحدر ... بغلس شدّوا إليه وهو غر
ثمّ سار صلى الله عليه وسلم وقد ركب بغلته دلدل، ولبس درعين والمغفر والبيضة «1» ، واستقبل الصفوف، فطاف عليهم ينحدرون من الوادي، فحضّهم على القتال، وبشّرهم بالفتح إن صدقوا وصبروا، وقدم خالد بن الوليد في بني سليم وأهل مكة، وجعل ميمنة وميسرة، وقلبا كان صلى الله عليه وسلم فيه.
(وبينما الجيش) أي: جيش المسلمين (إليهم) أي:
إلى هوازن (ينحدر) أي: يهبط من واد من الأودية (بغلس) بفتح المعجمة واللام مفتوحة؛ أي: في وقت الغلس، وهو ظلمة آخر الليل (شدوا) أي: حملت هوازن (إليه) أي:
إلى جيش المسلمين، حملة رجل واحد (وهو) أي: والحال أنّ جيش المسلمين (غر) بكسر الغين المعجمة؛ أي: غافل.

التحام القتال وثبات الرسول صلّى الله عليه وسلّم وبعض أصحابه:
وحاصل المعنى: ما رواه ابن إسحاق بسنده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (لمّا استقبلنا وادي حنين..
انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف ذي خطوط، له مضايق وشعوب، وإنّما نتحدر فيه انحدارا، قال: وكان في عماية

---

(1) الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، فسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم قد تدرع بدرعين، ولبس المغفر والبيضة في هذا اليوم، ولمّا دخل مكة.. كانت البيضة على رأسه وقد لبس المغفر، وفي أحد لبس اللأمة، وقد قال الله تعالى: وَخُذُوا حِذْرَكُمْ وقال تعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ.

الصبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيّؤوا وأعدّوا، فو الله؛ ما راعنا ونحن منحطون إلّا الكتائب قد شدّوا علينا شدّة رجل واحد، وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين، ثمّ قال:
«أيّها الناس؛ هلمّوا إليّ، أنا محمّد بن عبد الله» قال:
«فلأيّ شيء حملت الإبل بعضها على بعض» فانطلق الناس، إلّا أنّه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، وفيمن ثبت معه من المهاجرين: أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته: علي، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه جعفر، والفضل بن عباس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أم أيمن، قتل يومئذ) .
واعلم: أنّ هذا يبين سبب انكشاف المسلمين، وأن انكشافهم كان بمجرد التلاقي، وهو ما وقع عند ابن سعد، وهو مخالف لما رواه البخاري من حديث البراء، وهو: (أنّ هوازن كانوا رماة، ولمّا حمل

المسلمون عليهم.. كشفوهم، فأكبّوا على المغانم، فاستقبلوهم بالسهام) وهذا صريح في أنّهم لم يفروا بمجرد التلاقي، بل قاتلوا المشركين حتى كشفوهم، واشتغلوا بالغنيمة، قال في «شرح المواهب» إثر هذا: (وذكر الحافظ السببين، ولم يجمع بينهما) .

(1/669)

فاستنفروا بهم لذلك الرّكاب ... وأدبرت تخدي بهم غلب الرّقاب
واستنزلوا وادّرعوا وهي تمر ... مرّ جهام بالبهاليل نفر
قلت: وسكت عنه الزرقاني، وسكوته يدل على أنّه لم يظهر له وجه الجمع، وقد نصّوا على أنّه عند عدم إمكان الجمع يصار إلى الترجيح، ومعلوم أنّ ما في الصحيح مقدم على ما في غيره، والله أعلم.
ثمّ فرّع الناظم على ما تضمّنه هذا البيت، فقال:
(فاستنفروا) أي: هوازن؛ أي: فعلوا ما أوجب النفور للإبل (بهم) أي: بالمسلمين (لذلك) أي: لأجل شدهم عليهم والمسلمون غافلون، ومفعول (استنفروا) قوله:
(الركاب) أي: فعلوا بالمسلمين ما أوجب نفور الإبل بهم (وأدبرت) غلب الرقاب (تخدي) أي: تسرع (بهم) أي:
بالمسلمين وهم عليها (غلب) بضم الغين المعجمة، وسكون اللام، وإضافته إلى (الرقاب) أي: الإبل الغلاظ، وهو فاعل تنازع فيه (أدبر) و (تخدي) .
(واستنزلوا) أي: وطلب المسلمون النزال، أي: دعوا نزال نزال (وادّرعوا) أي: لبسوا دروعهم، وأخذوا أسلحتهم، وأصله: اتدرعوا (وهي) أي: غلب الرقاب (تمر) أي: حال كونها تسير (مرّ) أي: سيرا كسير (جهام) بفتح الجيم؛ أي: السحاب الذي أهرقت ماؤها (بالبهاليل) جمع بهلول؛ أي: بالسادة الكرام، وقوله: (نفر) بضم

(1/670)

فاقتحموا عنها وآبوا للنّبي ... وزحزحوا عنه زحوف العرب
النون والفاء، خبر قوله: (وهي) أي: فعلوا ما ذكر وهي باقية على نفورها، كما علم من التقرير.

رجوع المسلمين إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم بعد التفرق ثمّ انتصارهم:
(فاقتحموا) «1» أي: رمي المسلمون بأنفسهم (عنها) أي: عن الإبل لما أبصروا رسول الله عليه الصّلاة والسّلام (وآبوا) أي: رجعوا (للنّبي) صلى الله عليه وسلم، ومعه الذين ثبتوا (وزحزحوا) أي: دفعوا (عنه) أي: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (زحوف) جمع زحف؛ أي:
جيش (العرب) أي: هوازن.
ويشير الناظم إلى ما رواه ابن إسحاق قال: (حدّثني الزّهري عن كثير بن العباس عن أبيه العباس بن

عبد المطلب رضي الله عنه قال: إنّي لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحكمة «2» بغلته البيضاء، قد شجرتها بها، قال: وكنت امرأ جسيما شديد الصوت، قال: ورسول الله صلى الله عليه

---

(1) قال في «الصحاح» : (قحم في الأمر قحوما: رمى بنفسه فيه من غير روية) . (مادة قحم) .
(2) حكمة: بفتحات، قال في «الصحاح» : حكمة اللجام: ما أحاط بالحنك، تقول منه: حكمت الدابة حكما، وأحكمتها أيضا، وكانت العرب تتخذها من القد والأبق؛ لأنّ قصدهم الشجاعة لا الزينة، وقال زهير:
القائد الخيل منكوبا دوابرها ... قد أحكمت حكمات القد والأبقا
والقد بالكسر: سير قدّ من جلد غير مدبوغ. والأبق بالتحريك: القنب.

وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس: «أين أيّها الناس؟» فلم أر الناس يلوون على شيء، فقال: «يا عباس؛ اصرخ:
يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة» قال: فأجابوا لبّيك، لبّيك، قال: فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله، فيؤم الصوت، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة.. ، استقبلوا الناس، فاقتتلوا.
وكانت الدعوة أول ما كانت: يا للأنصار، ثمّ خلصت أخيرا: يا للخزرج، وكانوا صبرا عند الحرب، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه، فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون فقال: «الآن حمي الوطيس» «1») اهـ

---

(1) أي: اشتد الحرب، وهذا من الأمثال التي قالها صلى الله عليه وسلم ولم يسبق إليها. قال الحافظ مغلطاي: (وأمثاله صلى الله عليه وسلم التي لم يسبق إليها كثيرة، كقوله عليه السّلام: «حمي الوطيس» ، و «لا ينتطح فيها عنزان» و «الولد للفراش، وللعاهر الحجر» ، و «كل الصيد في جوف الفرا» و «الحرب خدعة» و «لا تجني على المرء إلّا يده» و «الشديد من غلب نفسه» و «ليس الخبر كالمعاينة» و «المجالس بالأمانة» و «اليد العليا خير من اليد السفلى» و «البلاء موكل بالمنطق» و «الناس كأسنان المشط» و «ترك الشر صدقة» و «أي داء أدوأ من البخل» و «الأعمال بالنيات» ، و «الحياء خير كله» و «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» و «سيد القوم خادمهم» و «فضل العلم خير من فضل العبادة» و «الخيل

وما زال القوم يجتلدون حتى أسفرت الهزيمة على هوازن، ورجعت راجعة الناس حتى وجدوا الأسارى مكبولين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قصة أم سليم بنت ملحان:

قال ابن إسحاق: (وحدّثني عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أم سليم بنت ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة، وهي حازمة وسطها ببرد لها، وإنّها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة وقد خشيت أن يعزّها الجمل «1» ، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته «2» مع الخطام، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أم سليم» قالت: نعم، بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك؛ فإنّهم لذلك أهل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو يكفي الله يا أم سليم؟» قال:

ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك

في نواصيها الخير» و «عدة المؤمن دين» وفي رواية: «كأخذ باليد» و «أعجل الأشياء عقوبة البغي» و «إنّ من الشعر لحكمة» و «الصحة والفراغ نعمتان» و «نية المؤمن خير من عمله» و «من غشنا.. فليس منا» و «المستشار مؤتمن» و «الندم توبة» و «حبك الشيء يعمي ويصم» و «الدال على الخير كفاعله» إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم) .

(1) أي: يغلبها.

(2) الخزامة: حلقة من شعر تجعل في أنف البعير.

فأرسل الله جنود الفرج ... وقبضة التّرب قضت بالفلج

يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذته، إن دنا مني أحد من المشركين.. بعجته به، قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميصاء) .

مدد الملائكة للمسلمين:

ثمّ أشار الناظم إلى نصر الله رسوله والمؤمنين في هذا اليوم، بإرسال جند الملائكة، وبما أظهره على يد حضرة الرسول من المعجزة الكبيرة، فقال:

(فأرسل الله) مددا: الملائكة الكرام (جنود الفرج) سموا بذلك؛ لأنّهم السبب في كشف ما نزل بالمؤمنين من الهزيمة أول الأمر.

قال ابن إسحاق: (وحدّثني أبي إسحاق بن يسار عن جبير بن مطعم، قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، لم أشك أنّها الملائكة، ثمّ لم يكن إلّا هزيمة القوم) .

قال الإمام السهيلي: (وقول جبير: لقد رأيت مثل البجاد، يعني: الكساء من النمل مبثوثا، يعني: رآه

ينزل من السماء، قال: لم أشك أنّها الملائكة.
وقد قدم ابن إسحاق قول الآخر: رأيت رجالا بيضا على خيل بلق، وكانت الملائكة، فأراهم الله لذلك الهوازني على

(1/674)

صور الخيل والرجال ترهيبا للعدو، وأراهم جبير على صورة النمل المبثوث إشعارا بكثرة عددها؛ إذ النمل لا يستطاع عدها، مع أنّ النمل يضرب بها المثل في القوة فيقال: أقوى من النملة؛ لأنّها تحمل ما هو أكبر من جرمها بأضعاف، وقد قال رجل لبعض الملوك: جعل الله قوتك قوة النملة، فأنكر عليه، فقال: ليس في الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلّا النملة، وهذا المثل ذكره الأصبهاني في كتاب «الأمثال» مقرونا بهذا الخبر، وقد أهلك بالنمل أمة من الأمم وهم جرهم) .
قال في «المواهب» عن الدمياطي في «سيرته» : (إنّ سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر، أرخوها بين أكتافهم) .

رمي الرسول صلّى الله عليه وسلّم وجوه المشركين بالحصباء:
(وقبضة الترب) بضم القاف، على أنّ المراد ما حوته الكف من الحصباء، وعلى أنّ المراد المصدر بفتح القاف (قضت) وحكمت (بالفلج) بفتح الفاء واللام؛ أي: بالظفر والنصر للمؤمنين، وبالهزيمة للمشركين، وذلك أنّه لما نظر إلى القوم وهم يجتلدون وقال: «الآن حمي الوطيس» ، وزاد في رواية: «أنا النّبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» .. أخذ حصيات من الأرض وكان على بغلته البيضاء، فرمى بها أوجه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمّد» قال العباس فما زلت أرى حدهم كليلا، وأمرهم مدبرا.

(1/675)

قال في «شرح المواهب» : (روى أبو القاسم البغوي والبيهقي وغيرهما عن شيبة قال صلى الله عليه وسلم:
«يا عباس؛ ناولني من الحصباء» ، فأقعد الله البغلة، فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الأرض، فتناول من البطحاء، فحثا به في وجوههم، وقال: «شاهت الوجوه، حم لا ينصرون» .
وفي رواية لمسلم: (ثم قبض قبضة من تراب الأرض، ثمّ استقبل به وجوههم فقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنسانا.. إلّا ملأت عينه ترابا تلك القبضة، فولوا منهزمين) .
وروى البخاري في «التاريخ» والبيهقي عن عمرو بن سفيان قال: (قبض صلى الله عليه وسلم يوم حنين قبضة من الحصى، فرمى بها وجوهنا، فما خيل إلينا إلّا أنّ كل حجر وشجر وفارس يطلبنا) .

معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم:
قلت: وفي هذا من المعجزات وجوه:
منها: تسخير البغلة له صلى الله عليه وسلم، ووقوفها تحت إرادته، حتى إذا قصد الأرض ليأخذ منها الحصيات..
انخفضت له، وفي ضمن هذا ما هو معلوم من كمال شجاعته عليه الصّلاة والسّلام؛ إذ البغلة ليست من مركوب الحرب، ولا تصلح للكر والفر.

(1/676)

ومنها: نداؤه بمسمع من عدوه بقوله: «أنا النّبيّ لا كذب ... » إلخ؛ لأنّ العدو إنما أدار رحى الحرب عليه ومن أجله، وهو المقصود عندهم بالقتال، ثمّ هو يريهم مكانه ولا يبالي؛ اعتمادا على مولاه الذي عوده النصر على عدوه في غير موضع.
ومنها: ذلك الأثر الكبير الذي فعلته الحصباء لمّا انتشرت في وجه العدوّ على قلة الحصباء.
ومنها: إخباره عليه الصّلاة والسّلام بهزيمة القوم، وقد وقعت. وأشار العارف «1» إلى ما فعلت تلك الحصيات بقوله:
رمى بالحصى فأقصد جيشا ... ما الحصى عنده وما الإلقاء
قال في «الإمتاع» : (وكان الرعب الذي قذف الله في قلوب المشركين يومئذ كوقع الحصاة في الطست له طنين، فيجدون في أجوافهم مثل ذلك، ولمّا رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الكف من الحصى.. لم يبق أحد من المشركين إلّا وهو يشكو القذى في عينيه، ويجدون في صدورهم خفقانا كوقع الحصى في الطساس ما يهدأ ذلك، ورأوا رجالا بيضا على خيل بلق عليهم عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم، وهم بين السماء والأرض كتائب كتائب، فما كانوا يستطيعون أن يتأمّلوهم من الرعب) .

---

(1) يعني البوصيري رحمه الله.

(1/677)

حكم الرسول صلّى الله عليه وسلّم بأنّ من قتل قتيلا فله سلبه:
وفي هذا اليوم قال صلى الله عليه وسلم: «من قتل قتيلا له عليه بينة.. فله سلبه» فعن ابن إسحاق قال: (حدّثني عبد الله بن أبي بكر، أنّه حدث عن أبي قتادة الأنصاري، قال: وحدّثني من لا أتهم من أصحابنا، عن نافع مولى بني غفار أبي محمّد، عن أبي قتادة قالا: قال أبو قتادة:
رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان: مسلما ومشركا، قال: وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم، قال: فأتيته فضربت يده فقطعتها، واعتنقني بيده الأخرى، فوالله؛ ما أرسلني

حتى وجدت ريح الدم ويروى: ريح الموت- وكاد يقتلني، فلولا أنّ الدم نزفه..
لقتلني، فسقط فضربته فقتلته، وأجهضني عن القتال، ومرّ به رجل من أهل مكة فسلبه، فلمّا وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قتل قتيلا.. فله سلبه» قلت: يا رسول الله؛ والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب، فأجهضني عنه القتال، فما أدري من استلبه، فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله، سلب ذلك القتيل عندي، فأرضه عني من سلبه، فقال أبو بكر رضي الله عنه:
لا والله لا يرضيه منه، تعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلبه؟! اردد عليه سلب قتيله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صدق، اردد عليه سلبه» فقال أبو قتادة: فأخذته منه، فبعته، فاشتريت بثمنه مخرفا، فإنّه

(1/678)

لأوّل مال اعتقدته) اهـ، أي: جعلته عقدة، وفي الصحيح:
(فكان أول مال تأثّلته في الإسلام) .

هزيمة المشركين:
قال في «روض النّهاة» : (ولمّا انهزمت هوازن..
استحر القتل من ثقيف في بني مالك قتل منهم سبعون رجلا، واستمرّ أيضا في بني نصر بن معاوية، ثمّ في بني رباب قبيلة مالك بن عوف، فذكر ذلك للنّبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: «اللهمّ اجبر مصيبتهم» ولعل ذلك بعد أن أسلموا؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يدعو للمشركين، بل يدعو عليهم.
وقتل دريد بن الصمّة كافرا، ويروى: أنّ الذي قتله من الأنصار، وأنّه قال: ضربته بسيفي فلم يغن شيئا، فناولني سيفه، فقال: اضربني بهذا، وارفع عن العظام، واحفظ الدماغ؛ فإنّي كنت كذلك أضرب الرجال، قال: ورأيت بين رجليه كركبة البعير من طول ركوب الخيل، وأنّ الذي قتله ربيعة بن رفيع السلميّ، وأنّ دريدا قال له لما علمه الضرب:
وإذا أتيت أمك.. فقل لها: أنا قتلت دريد بن الصمّة، فربّ يوم والله منعت فيه نساءك، فلمّا رجع ربيعة إلى أمه وأخبرها.. قالت: لقد أعتق أمّهات لك ثلاثا، وقيل: إنّ الذي قتله الزّبير بن العوام.

(1/679)

وثبتت مع النّبيّ طائفه ... من أهل بيته وممّن ألفه
حيدرة والعمران وأبو ... سفيان جعفر ابنه المنتخب
وعمّه ربيعة العبّاس ... وفضله أسامة الأكياس

ذكر بعض من ثبت مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم يوم هوازن:
ثمّ أراد الناظم أن يذكر من وقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم هوازن فقال: (وثبت مع النّبيّ) صلى الله عليه وسلم في يوم هوازن (طائفة) ، في الأصل القطعة من الشيء، قال في الصحاح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الطائفة:
الواحد فما فوقه. والمراد هنا جماعة (من أهل بيته) الكرام، قال في «روض النّهاة» : (وعنى بهم هنا: بني عبد المطلب ومواليهم) (وممّن ألفه) بكسر اللام من مهاجري قريش، ثمّ أخذ في تعيينهم، لا على سبيل اللف والنشر المرتب فقال:
(حيدرة) وهو: لقب لسيدنا علي رضي الله عنه كما تقدم (والعمران) : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، (وأبو سفيان) بن الحارث ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقدم الكلام عليه وترجم آنفا، و (جعفر ابنه) أي ابن أبي سفيان بن الحارث (المنتخب) المختار، صفة مدح.
(وعمه) أي: عم جعفر بن أبي سفيان، وهو (ربيعة) بن الحارث، أخو أبي سفيان المذكور، و (العباس) بن عبد المطّلب عم النّبيّ صلى الله عليه وسلم،

وأيمن ابن أمّه والعبدري ... شيبة رام غدر خير مضر
وهو الذي نادى بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عالي الصوت: (يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السّمرة) كما تقدم.
(وفضله) أي: فضل بن العباس، أضيف إليه؛ لأنّه أكبر أولاده، وبه كان العباس يكنى، وهو من أبهى قريش، ومن ثمّ قيل: من أراد البهاء والسخاء والفقه.. فليأت دار العباس، فالبهاء للفضل، والسخاء لعبيد الله، والفقه لعبد الله.
و (أسامة) بن زيد، الحب بن الحب (الأكياس) جمع كيّس بتشديد الياء المكسورة، صفة مدح لأولئك السادة، بمعنى الظرفاء العقلاء، ومن أجل ذلك ثبتوا، فكان ثباتهم وثبوتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرا من مظاهر كياستهم.
(وأيمن ابن أمه) أي: ابن أم أسامة؛ لأنّ أيمن بن عبيد وأسامة، أمهما بركة الحبشية مولاته عليه الصّلاة والسّلام، وقتل يومئذ كما قاله ابن إسحاق، يعني: بعد أن ثبت.

قصة شيبة بن عثمان العبدري وإسلامه بعد قصده الغدر بالرسول صلّى الله عليه وسلّم:
(و) ممّن ثبت: (العبدري) «1» المنسوب إلى بني عبد الدار واسمه (شيبة) بن عثمان بن أبي طلحة بن

(1) هذا يسمى عندهم بالنحت كالعبشمي لبني عبد شمس، وعبقسي لعبد قيس وغير ذلك.

فصدّه عمّا نوى فضربه ... نبيّنا في صدره فجذبه
عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار؛ فإنّه (رام) أي: طلب وقصد، و (بابه: قال) (غدر) هو ترك الوفاء؛ أي: أن يغدر بالنّبيّ (خير مضر) صلى الله عليه وسلم.
(فصده) أي: منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم (عمّا) أي: عن الغدر الذي (نوى) أي: قصده بالنّبيّ صلى الله عليه وسلم، والفتك به، حين خرج إلى هوازن، حتى يكون بزعمه قد أخذ بثأر قريش جميعها، فأعلم الله النّبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك (فضربه نبينا) أي: وضع يده الميمونة، ومسحها على شيبة (في صدره) أي: صدر شيبة (فجذبه) أي: جذب شيبة إليه، وأعاذه بالله من الشيطان، فما هي إلّا لحظة وقد هدى الله شيبة إلى الإسلام بتلك اليد المباركة، حتى كان في صفوف الثابتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحمون الإسلام.
قال شيبة محدثا عن إسلامه: (ما رأيت أعجب ممّا كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات، قال: لمّا كان يوم الفتح.. دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة قلت:
أسير مع قريش إلى هوازن بحنين، فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمّد غرّة، فأثأر منه، فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول لم يبق من العرب والعجم أحد إلّا اتّبع محمّدا..
ما اتّبعته أبدا، وكنت مرصدا لما خرجت له، لا يزداد الأمر في نفسي إلّا قوة.

فلمّا اختلطت الناس.. اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته، وأصلتّ السيف فدنوت أريد منه ما أريد، ورفعت سيفي حتى كدت أسوره، فرفع لي شواظ من النار كالبرق يكاد يمسحني، فوضعت يدي على بصري خوفا عليه، والتفتّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديني: «يا شيب؛ ادن مني» فدنوت منه، فمسح صدري، ثمّ قال: «اللهمّ؛ أعذه من الشيطان» قال: فو الله؛ لهو كان ساعتئذ أحبّ إليّ من سمعي، ومن بصري ونفسي، وأذهب الله ما كان بي.
ثمّ قال: «يا شيب؛ ادن مني فقاتل» فتقدمت أمامه أضرب بسيفي، والله أعلم أنّي أحب أن أقيه بنفسي كل شيء، ولو لقيت أبي تلك الساعة حيا.. لأوقعت به السيف، فجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون، فكروا كرة رجل واحد، وقربت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستوى عليها فخرج في إثرهم، حتى تفرّقوا في كل وجه، ورجع إلى معسكره، فدخل خباءه، فدخلت عليه، ما دخل عليه غيري؛ حبا لرؤية وجهه، وسرورا به، فقال: «يا شيب؛ الذي أراد الله بك خير ممّا أردت بنفسك» ثمّ حدّثني بكل ما أضمرته في نفسي ممّا لم أكن أذكره لأحد قط، فقلت:
فإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله، ثمّ قلت:
استغفر لي، قال: «غفر الله لك» ودفع إليه وإلى ابن عمه عثمان مفاتيح الكعبة وقال: «خذوها خالدة تالدة إلى يوم القيامة، لا ينزعها منكم إلّا ظالم») .

واعلم: أنّ هذه الأبيات الخمسة هي المثبتة في نسختي التي قرأتها وصححتها على شيخي، المرحوم الشيخ محمّد بن عبد الله زيدان، وعليها شرحت، وفي نسخة الشيخ حمّاد الذي شرح عليها مخالفة في اللفظ، أمّا المآل.. فواحد، غير أنّ في النسخة الأولى زيادة في سبب إسلام شيبة لم تكن في النسخة الثانية، كما هو ظاهر، ولفظ النسخة الثانية:

وثبتت مع النّبيّ طائفه ... من أهل بيته وممّن ألفه
عمر ذي الخلال شيبة، أبي ... سفيان وابنه وعمّه الأبي
حيدرة أسامة أيمنه ... ثمّ أبو الفضل وفضل وابنه

وقوله: (عمر) وما بعده بالجر بدل من المجرور في قوله: (من أهل بيته وممّن ألفه) وقوله: (وعمه) أي: عم جعفر بن أبي سفيان، وهو ربيعة بن الحارث أخو أبي سفيان بن الحارث، و (الأبيّ) معناه: الممتنع من الضيم.

القول في فرار من فرّ من الصحابة في هذه الغزوة:

واعلم: أنّ فرار الباقين من الصحابة في هذه الغزوة ليس فيه عار؛ لأنّه إنّما كان في بادئ الأمر ولم يستمر، أو أنّه كان صوريا؛ فإنّه فرار عن عود.

قال الطبري– كما في «المواهب» –: (الانهزام المنهي عنه، ما وقع على غير نية العود، وأمّا الاستطراد للكرّة.. فهو كالمتحيز إلى فئة) .

وقال ابن سيد الناس في «العيون» : (فرارهم قد أعقبه رجوعهم إليه بسرعة، وقتالهم معه حتى كان الفتح، ففي ذلك نزل قوله تعالى: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ* ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ كما قال الله تعالى فيمن تولّى يوم أحد: وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ وإن اختلف الحال في الوقعتين) .

وفي «الروض» للسّهيليّ: (لم يجمع العلماء على أنّه من الكبائر إلّا في يوم بدر، وهو ظاهر قوله تعالى: وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ الآية، ثمّ أنزل التخفيف في الفارين يوم أحد، وهو قوله تعالى: وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ) .

وفي «تفسير ابن سلام» : (كان الفرار يوم بدر من الكبائر، وكذا يكون في ملحمة الروم الكبرى، وعند الدجال) .

والحاصل: أنّ هذه المعركة أسفرت عن نصر كبير للمسلمين، وفتح مبين، فقد رجع الجيش بعد التفرق إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرهم بطلب العدوّ، فانتهى بعضهم إلى الطائف، كمالك بن عوف في جماعة من أشراف قومه.
قال في «شرح المواهب» : (إنّهم لمّا انهزموا.. وقف مالك على ثنية في شبان أصحابه فقال: قفوا حتى يمضي ضعفاؤكم، ويتتام آخركم، فبصر بهم الزّبير، فحمل عليهم حتى أهبطهم من الثنية، وهرب مالك إلى الطائف، ويقال:
تحصن في قصر بليّة على أميال من الطائف، فغزاهم صلى الله عليه وسلم بنفسه كما يأتي، وهدم القصر) .
قال في «المواهب» : (واستشهد من المسلمين أربعة، ومنهم أيمن، وقتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلا) ا
هـ

الغنائم والسبي:
ونال المسلمون من الغنائم الشيء الكثير، فمن الإبل أربعة وعشرون ألفا، ومن الغنم أكثر من أربعين ألفا، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية، وسبوا نساءهم وأبناءهم، وأمر عليه الصّلاة والسّلام بجمع ذلك في الجعرانة إلى أن يرجعوا من الطائف.
قال في «الإمتاع» : (وانتهى عليه الصّلاة والسّلام إلى الجعرانة ليلة الخميس، لخمس خلون من ذي القعدة، والسبي والغنائم بها محبوسة) وإليه الإشارة بقوله:

ووقف السّبي إلى أن رجعا ... من طائف لعلّ أن يسترجعا
(ووقف) أي: حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم (السبي) الذي سباه من هوازن، وكانوا ستة آلاف آدمي، سوى الغنم، والنعم، والأموال، فلم يقسمه، وإطلاق السبي على الجميع على التغليب.
قال ابن التلمساني: (ولا يكون السبي إلّا في النساء) نقله عن الخفاجي في «شرح الشفاء» وأمر بالجميع أن يجمع بالجعرانة (إلى أن رجعا) بألف الإطلاق للقافية (من طائف) أي: من غزوة الطائف، وإنّما فعل ذلك (لعلّ) أي: رجاء (أن يسترجعا) بالبناء للمجهول؛ أي: يسترجع السبي أهله، فيرده لهم، ولكنه عليه الصّلاة والسّلام لمّا ترجى ذلك، وانتظر أهل السبي بضعة عشر يوما.. لم يفعلوا حتى قسمه في مستحقيه، ووقعت المقاسم مواقعها.

قدوم وفد هوازن على الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وردّه السبي إليهم:
وبعد ذلك قدم وفد هوازن، وهم أربعة عشر رجلا مسلمين، ورأسهم زهير بن صرد الخشمي، وأبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، فقالوا: يا رسول الله؛ إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك.
وقال زهير: يا رسول الله؛ إنّما في الحظائر عماتك وخالاتك، وحواضنك اللّاتي كنّ يكفلنك؛ أي: لأنّ مرضعته صلى الله عليه وسلم حليمة كانت من هوازن، وقال له

(1/687)

أيضا: ولو ملحنا– أي: أرضعنا– للحارث بن أبي شمر أي: ملك الشام– أو للنعمان بن المنذر ملك العراق، ثمّ نزل منا بمثل ما نزلت به.. رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين، وأنشده أبياتا يستعطفه صلى الله عليه وسلم بها، وهي:

أمنن علينا رسول الله في كرم ... فإنّك المرء نرجوه وننتظر
أمنن على بيضة قد عاقها قدر ... ممزّق شملها في دهرها غير
يا خير طفل ومولود ومنتخب ... في العالمين إذا ما حصّل البشر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلما حين تختبر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك تملؤه من محضها الدّرر
إذ كنت طفلا صغيرا كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنّا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنّا معشر زهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشّرر

(1/688)

إنّا لنشكر آلاء وإن كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدّخر
إنّا نؤمل عفوا منك تلبسه ... هذي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عمّا أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

فقال صلى الله عليه وسلم: «إنّ أحسن الحديث أصدقه، أبناؤكم ونساءكم أحبّ إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئا، اردد علينا نساءنا وأبناءنا؛ فهم أحبّ إلينا، ولا نتكلم في شاة ولا بعير، فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أنا صلّيت الظهر بالناس.. فقوموا فقولوا: إنّا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا» .
فلمّا صلّى الظهر.. قاموا فتكلّموا بما أمروا به، فقال صلى الله عليه وسلم بعد أن أثنى على الله بما

هو أهله:
«أمّا بعد: فإنّ إخوانكم هؤلاء جاؤوا تائبين، وإنّي رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحبّ أن يطيب بذلك.. فليفعل، ومن أحبّ منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا.. فليفعل» .
وقال صلى الله عليه وسلم: «أمّا ما كان لي ولبني عبد المطّلب.. فهو لكم» فقال المهاجرون والأنصار

(1/689)

رضوان الله تعالى عليهم: ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الأقرع بن حابس: أمّا أنا وبنو تميم..
فلا، وقال عيينة بن حصن: أمّا أنا وبنو فزارة.. فلا، وقال العباس بن مرداس: أمّا أنا وبنو سليم.. فلا، فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال العباس بن مرداس: وهّنتموني- أي:
أضعفتموني حيث جعلتموني منفردا- ثمّ ردّ جميع السبي لأهله، إلّا عجوزا صارت إلى عيينة بن حصن، وقال حين أخذها: أرى عجوزا، إني لأحسب أنّ لها في الحي نسبا، وعسى أن يعظم فداؤها، ثمّ ردها بعد ذلك بعشر من الإبل، أخذ ذلك من ولدها بعد أن ساومه فيها مئة من الإبل، وقال له ولدها: والله؛ ما ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا فوهها ببارد، ولا صاحبها بواجد- أي: بحزين لفراقها- ولا درها بناكد- أي: ليس لبنها بغزير- فقال عيينة: خذها، لا بارك الله لك فيها.
قال ابن برهان في «الحلبية» : (وذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم على من أبى أن يرد من السبي شيئا أن يبخس؛ فإنّ ولدها دفع له فيها مئة من الإبل فأبى، ثمّ غاب عنه، ثمّ مرّ عليه معرضا عنه، فقال: خذها بالمئة، فقال:
لا أدفع إلّا خمسين، فأبى، فغاب عنه، ثمّ مرّ عليه معرضا عنه، فقال: خذها بخمسين، فقال: لا أدفع إلّا خمسة وعشرين، فأبى، فغاب عنه، ثمّ مرّ عليه معرضا عنه فقال:

(1/690)

خذها بالخمسة والعشرين، فقال: لا آخذها إلّا بعشرة- وفي رواية: إلّا بستة- ولمّا أخذها ولدها..
قال لعيينة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كسى السبي قبطية قبطية، فقال: لا والله؛ ما ذاك لها عندي، فما فارقها حتى أخذ لها ثوبا منه، والقبطية: بضم القاف ثوب أبيض من ثياب مصر) .

قصة الشيماء بنت الحارث:

وقدمت على النّبيّ صلى الله عليه وسلم الشيماء بنت الحارث السعدية أخته من الرضاع، وذكرت له

أنّها أخته من الرضاع، بعلامة كان عليه الصّلاة والسّلام يعرفها، وهي عضة عضها في ظهرها وهي متوركته، فبسط لها رداءه، وأجلسها عليه، وخيّرها بين أن تكون عنده محببة مكرمة، وبين أن ترجع إلى قومها ممتعة، قالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي، ففعل.
قال في «العيون» : (فزعمت بنو سعد: أنّه أعطاها غلاما له اسمه مكحول، وجارية، فزوجت إحداهما الآخر، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية، أسلمت وأسلم أبوها الحارث رضي الله عنهما) .
وإلى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن، وما لقيت أخته من الرضاع من الكرامة، والبر بها حسبما يليق بخلقه الشريف، أشار العارف «1» رضي الله عنه بقوله:

---

(1) يعني البوصيري رحمه الله.

أعطى عطايا شهدت بالكرم ... يومئذ له ولم تجمجم
منّ فضلا على هوازن إذ كا ... ن له قبل ذاك فيهم رباء
وأتى السّبي فيه أخت رضاع ... وضع الكفر قدرها والسّباء
فحباها برّا توهّمت النّا ... س به أنّما السّباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء ... أيّ فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه، وهي سيدة النّس ... وة والسيدات فيه إماء

سخاؤه صلى الله عليه وسلم في عطاياه:

ثمّ أشار الناظم إلى مظهر آخر من مظاهر جوده عليه الصّلاة والسّلام في ذلك اليوم؛ بقسم الأموال العظيمة، وإعطاء المؤلفة قلوبهم أول الناس؛ ليرسخ الإيمان في قلوبهم فقال:
(أعطى عطايا) جساما (شهدت بالكرم يومئذ) أي: يوم حنين (له) أي: لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متعلق بقوله: (شهدت) والمراد بالكرم هنا: النبوة؛ فإنّه لمّا أعطى صفوان ما أعطى..
قال: أشهد أنّه نبي؛ فإنّه لا تطيب بهذا إلّا نفس نبي (ولم تجمجم) معطوف على قوله: (شهدت) مأخوذ من التجمجم، وهو أن لا يظهر المتكلم كلامه؛ أي:
شهدت بالكرم تلك العطايا شهادة فصيحة ولم تكتمها.

قال الحافظ ابن سيد الناس في «العيون» : (فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية، ومئة من الإبل، قال: ابني يزيد؟ قال: أعطوه أربعين أوقية، ومئة من الإبل، قال:
ابني معاوية؟ قال: أعطوه أربعين أوقية، ومئة من الإبل، قال أبو سفيان– كما في «الإمتاع» –: إنّك

لكريم، فداك أبي وأمي، والله؛ لقد حاربتك.. فنعم المحارب كنت، ثمّ سالمتك.. فنعم المسالم أنت، جزاك الله خيرا- وأعطى حكيم بن حزام مئة من الإبل، ثمّ سأله مئة أخرى فأعطاه.
وأعطى النّضر بن الحارث بن كلدة مئة من الإبل، وأعطى أسيد بن جارية الثقفي مئة من الإبل، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي خمسين بعيرا، وأعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعيرا.
وأعطى الحارث بن هشام مئة من الإبل، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل، وأعطى صفوان بن أمية مئة من الإبل، وأعطى قيس بن عدي مئة من الإبل. وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل.
وأعطى سهيل بن عمرو مئة من الإبل، وأعطى حويطب بن عبد العزّى مئة من الإبل، وأعطى هشام بن عمرو العامري خمسين من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مئة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مئة من الإبل، وأعطى مالك بن عوف مئة من الإبل.

وكيف لا ومستمدّ سيبه ... من سيب ربّ ذي عناية به
وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل، فقال في ذلك شعرا، فأعطاه مئة من الإبل، ويقال: خمسين.
وأعطى ذلك كله من الخمس، وهو أثبت الأقاويل عندنا، ثمّ أمر زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثمّ فضها على الناس، فكانت سهمانهم لكل رجل أربعا من الإبل أو أربعين شاة، فإن كان فارسا.. أخذ اثنتي عشرة من الإبل، أو عشرين ومئة شاة، وإن كان معه أكثر من فرس واحد.. لم يسهم له.
(وكيف لا) يعطي هذا العطاء الجم وأشباهه (ومستمد) أي: والحال أنّ مأخذ (سيبه) بفتح الأوّل؛ أي: عطائه (من سيب) أي: من عطاء (رب ذي عناية به) صلى الله عليه وسلم! وإذن فلا غرابة في ذلك؛ فقد أعطاه الله الدنيا والآخرة، وهو يعطي ما شاء لمن شاء، قال الله تعالى:
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى وقال تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ وقال تعالى: لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنّ عناية الله تعالى بسيدنا ونبينا صلى الله عليه وسلم فوق عنايته بغيره من الأنبياء والمرسلين؛ فإنه تعالى لم يقل مثل ذلك لغيره من النبيين.
أقول: ولو لم يكن من كرمه وجوده عليه ألف صلاة، وألف سلام إلّا وقوفه في ذلك اليوم العظيم، الذي يكون كل واحد مهتما فيه بنفسه، والأنبياء تقول: نفسي نفسي، وهو

عليه الصّلاة والسّلام يقول: «أمّتي أمّتي» حتى يخر ساجدا لله تعالى، ويلهمه الله ما يلهمه من الثناء الحسن، فيقال له: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفّع، فعند ذلك يشفع للأمة، لا بل لجميع الخلق في ذلك اليوم لإراحتهم من ذلك الموقف الهائل العظيم.. لكفى.

وفي بعض نسخ «الشفاء» : (قد قال أبو علي الدقاق، من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم النحارير، وتكلّم في الفتوة، وهي غاية الكرم والإيثار، على رأيهم واصطلاحهم في ألفاظهم: إنّ هذا الخلق لا يكون بكماله إلّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإن كل أحد في القيامة يقول: نفسي نفسي، وهو صلى الله عليه وسلم يقول: «أمّتي أمّتي» فلو لم يكن من كرمه إلّا هذا.. لكفى، وكفى)
.
وأظن أنّه لا ينازع في هذا أحد، فنسأل الله تعالى بمنّه وكرمه وجوده، وبنبيّ الرّحمة صلى الله عليه وسلم: أن يجعلنا ووالدينا ومشايخنا وأحبابنا ممّن كتبت له العناية والسعادة، وأن يدخلنا في شفاعته الخاصة والعامّة يوم القيامة، آمين.
قال الشيخ حماد في «روض النّهاة» : (أنشد الناظم رحمه الله تعالى قوله: «وكيف لا ومستمد سيبه» البيت، الفقيه محمّد بن المختار بن الفغ موسى، فقال: أنا ضامن لك الجنة بهذا البيت ولو لم يكن لك غيره من عمل، ثمّ أوصاني

أعطى عطايا أخجلت دلح الدّيم ... إذ ملأت رحب الفضا من النّعم
زهاء ألفي ناقة منها وما ... ملأبين جبلين غنما
لرجل وبله ما لحلقه ... منها ومن رقيقه وو رقه
رحمه الله تعالى إن أنا متّ.. فاكتبه في رقعة وادفنها معي، ولم أحضر مصيبتنا به) اهـ

عطاؤه صلى الله عليه وسلم للمؤلّفة قلوبهم:
ولمّا كان المقام مقام إطناب.. أخذ الناظم في تفصيل بعض ما أجمله، فقال:
(أعطى عطايا أخجلت) وأدهشت لعظمها (دلح) بضم فسكون، جمع دلوح، قال في «الصحاح» : (وسحابة دلوح: كثيرة الماء، وسحائب دلح مثل قدوم وقدم) وهي مضافة إلى قوله: (الدّيم) بكسر الدال وفتح المثنّاة التحتية؛ أي: السحاب الغزيرة بالماء جمع ديمة؛ فإنّ تلك العطايا لعظمها وسماحة نفس معطيها، أوجبت محبته عليه الصّلاة والسّلام، والدخول في حظيرة الإسلام، فأيّ مناسبة في جوده المدرار وجود الديم الغزار (إذ ملأت) عطاياه (رحب الفضا) بالقصر للضرورة، وهو ما اتّسع من الأرض، وهو من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: ملأت الفضاء الرحب (من النعم) الإبل والبقر والغنم.
(زهاء) بضم الزاي؛ أي: مقدار (ألفي ناقة منها) أي: من النعم أعطاها للمؤلّفة قلوبهم كما تقدم، (وما) أي: وزهاء الذي (ملأ بين جبلين غنما لرجل) هو صفوان بن

أميّة؛ فإنّه أعطاه ذلك، وأعطاه مئة ناقة، وكان هرب يوم الفتح، وأمّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث إليه مع وهب بن عمير بردائه– أو ببرده– أمانا له، فانصرف صفوان مع وهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف، وناداه في جماعة الناس: يا محمّد؛ إنّ هذا وهب يزعم أنّك أمنتني على أن أسير شهرين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انزل أبا وهب» فقال: لا، حتى تبيّن لي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انزل، فلك مسيرة أربعة أشهر» ولمّا أعطاه ما أعطاه وأكثر.. قال: أشهد بالله؛ ما طابت بهذا إلّا نفس نبي، فكان سبب إسلامه.

روى مسلم في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه:

ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلّا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا؛ فإنّ محمّدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلّا الدنيا، فما يلبث إلّا يسيرا حتى يكون الإسلام أحبّ إليه من الدنيا وما عليها.

(وبله) بفتح الباء، اسم فعل أمر بمعنى: دع (ما) أي: الذي أعطاه عليه الصّلاة والسّلام (لحلقه) بكسر الحاء وفتح اللام: جمع حلقة؛ أي: لقومه وجماعته من بني هاشم وبني المطّلب (منها) أي: من الغنم (ومن رقيقه وو رقه) أي: فضته.

منها أفاد العمّ ما ناء به ... فهال منه عمّه عن ثوبه

والحاصل: أنّ حديث جوده متواتر، وخبر كرمه مستفيض مشهور، وعن البحر حدّث ولا حرج.

عطاؤه صلى الله عليه وسلم لعمّه العباس:

(منها) أي: من العطايا التي أعطاها لجماعته من بني هاشم (أفاد) أعطى وأكسب (العم) وهو العباس رضي الله عنه (ما) أي: الشيء الكثير من المال الكثير الّذي (ناء به) أي: ثقل بالعباس أن يحمله على عظيم قوته، قال في «المختار» : (ناء بالحمل: نهض به مثقلا، وناء به الحمل: أثقله)

وطلب العباس من النّبيّ صلى الله عليه وسلم أن يعينه على حمله فلم يفعل (فهال) أي: صب (منه) أي: من المال في الأرض (عمه عن ثوبه) ليستطيع حمله؛ إذ لم يجد بدّا من ذلك.

وهذا الذي ذكره الناظم هنا فيه نظر؛ فإنّ المشهور: أنّ هذه القضية كانت بالمدينة، حين ورد مال البحرين على النّبيّ صلى الله عليه وسلم من عامله بها، وهو العلاء بن الحضرميّ، وكان أكثر مال أتى فنثر في المسجد، فأتاه العباس رضي الله عنه فقال: أعطني؛ فإنّي فاديت نفسي وعقيلا، فقال له صلى الله عليه وسلم: «خذ» فحثا في ثوبه، ثمّ ذهب ليقلّه– أي: ليحمله– فلم يستطع، فقال: مر من يرفعه عليّ، فقال: «لا» فقال: ارفعه أنت عليّ، فقال: «لا»

ووكل الأنصار خير العالمين ... لدينهم إذ ألّف المؤلّفين
فوجدوا عليه أن منعهم ... فأرسل النّبيّ من جمعهم
وقال قولا كالفريد المونق ... عن نظمه ضعف سلك منطقي
فنثر منه، ثمّ ذهب يقله فلم يقدر، فقال له كالأول، فنثر منه، ثمّ احتمله على كاهله وانطلق، فأتبعه صلى الله عليه وسلم بصره تعجّبا منه! ولم يقم عليه الصّلاة والسّلام حتى فرقه، فلم يبق منه درهم.

موقف الأنصار ورضاهم بما فعل الرسول صلّى الله عليه وسلّم بعد خطبته فيهم:
(ووكل) بصيغة الماضي المعلوم؛ أي: سلم (الأنصار خير العالمين) صلى الله عليه وسلم (لدينهم) أي: لقوته ولرسوخه في قلوبهم (إذ ألّف المؤلفين) من قريش وقبائل العرب بالعطايا، ولم يعط الأنصار شيئا.
(فوجدوا عليه) ل (أن منعهم) من ذلك، وقالوا: يغفر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، يعطي قريشا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! فحدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالتهم (فأرسل النبيّ من جمعهم) وهو سعد بن عبادة.
فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله (وقال قولا) في نفاسته (كالفريد) هو الدر إذا نظم وفصل بغيره (المونق) الحسن المعجب (عن نظمه) في هذه الأرجوزة، وهو متعلق بقوله: (ضعف سلك) بكسر أوله، في الأصل: الخيط يجعل فيه اللؤلؤ، وهو مضاف إلى

قوله: (منطقي) وفيه استعارة حيث جعل لمنطقه سلكا يدخل فيه ما ينظمه من مسائل الفن، التي هي كالدرر.
وأشار بهذا إلى ما ذكره ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه، قال: (لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء.. وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله؛ إنّ هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم؛ لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء، قال:
«فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله؛ ما أنا إلّا من قومي، قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة» قال:
فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة.
قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلمّا اجتمعوا.. أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ قال:

«يا معشر الأنصار؛ ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلّالا فهداكم الله؟ وعالة

(1/700)

فأغناكم الله؟ وأعداء فألّف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى، الله ورسوله أمنّ وأفضل، ثمّ قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؛ لله ولرسوله المنّ والفضل، قال صلى الله عليه وسلم: «أمّا والله؛ لو شئتم.. لقلتم ولصدقتم: أتيتنا..– كذا وكذا– أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا، تألّفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فو الّذي نفس محمّد بيده؛ لولا الهجرة.. لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا، وسلكت الأنصار شعبا.. لسلكت شعب الأنصار، اللهمّ ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار» قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا، ثمّ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرّقوا) .

وفي الصحيح: (أنّهم لمّا سئلوا: «ما حديث بلغني عنكم؟» قال فقهاء الأنصار: أمّا رؤساؤنا.. فلم يقولوا شيئا، وأمّا ناس منا حديثة أسنانهم.. فقالوا: يغفر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا.. إلخ، ولذلك قال الحافظ في فوائد هذه المقالة، بين هذا الأب الرحيم وأبنائه البررة:

منها: حسن أدب الأنصار في تركهم المماراة، والمبالغة في الحياء، وبيان أنّ الذي نقل عنهم إنّما كان عن شبانهم، لا عن شيوخهم وكهولهم.

(1/701)

وفيه: مناقب عظيمة لهم؛ لما اشتمل عليه من ثناء الرسول البالغ عليهم، وأنّ الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه، ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق.

وفيه: المعاتبة، واستعطاف المعاتب، وإعتابه عن عتبه.

وفي الصحيح زيادة: (أنّه عليه الصّلاة والسّلام قال لهم في خاتمة كلامه معهم: «ستجدون بعدي أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإنّي على الحوض») اهـ ففيه علم من أعلام النبوة؛ إذ كان ما قال عليه الصّلاة والسّلام.

وقد صحّ عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: (بينا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين.. علقت الأعراب برسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة، فعلقت رداءه– أو كلمة تشبهها– قال: فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

«أعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاه نعما.. لقسمته بينكم، ثمّ لا تجدوني بخيلا، ولا كذوبا، ولا جبانا») انظر «صحيح البخاري» .

بعث أبي عامر الأشعري إلى أوطاس:
ولمّا دارت الهزيمة على هوازن، وفرغ عليه الصّلاة والسّلام من حنين.. بعث في طلب الفارين من هوازن إلى

وأدرك الفلّ بأوطاس السّري ... عمّ أبي موسى الشّجاع الأشعري
وغال تسع إخوة مبارزه ... وفرّ عاشر لدى المبارزه
أوطاس «1» أبا عامر الأشعري، وانتهى إليهم فإذا هم مجتمعون، فقتل منهم أبو عامر تسعة إخوة مبارزة وهرب العاشر، ورمي أبو عامر بسهم فقتل، فأخذ الراية أبو موسى، فقاتلهم حتى فتح الله عليه، وهزمهم الله، وإلى هذه الإشارة يقول الناظم رحمه الله تعالى:
(وأدرك الفلّ) بفتح الفاء؛ أي: الجماعة المنهزمين؛ أي: بعضهم، قال في «القاموس» و «شرحه» : (قوم فلّ:
منهزمون، يستوي فيه الواحد والجمع) (بأوطاس) يتعلق بأدرك (السريّ) : الشريف، وهو فاعل أدرك (عم أبي موسى) على الأشهر الذي قاله في «الفتح» واسمه:
عبيد بن سليم بتصغيرهما، ويكنى بأبي عامر (الشجاع الأشعري) صفتان للعم، وذلك أنّهم لمّا انهزموا أتوا الطائف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجّه بعضهم نحو نخلة.. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر في آثار من توجه قبل أوطاس، وناوشوه القتال.
(وغال) أي: قتل (تسع إخوة) حال كون القتال

(1) ذكر ابن إسحاق: (أنّ هوازن لما انهزموا.. سارت طائفة منهم إلى الطائف، وطائفة إلى نخلة، وطائفة إلى أوطاس، فأرسل النّبيّ صلى الله عليه وسلم عسكرا مقدمهم أبو عامر الأشعري إلى من مضى إلى أوطاس، – كما يدل عليه الحديث الصحيح في «البخاري» – ثمّ توجه هو وعساكره إلى الطائف) اهـ فوادي أوطاس، غير وادي حنين.

وإذ توى دوّخهم حفيده ... وجاء بالفلّ وهم عبيده
(مبارزة) واحدا بعد واحد (وفر عاشر لدى) أي: عند (المبارزة) .
(وإذ توى) مات أبو عامر، قيل: رمي بسهم فقتل، قال ابن سعد: قتل أبو عامر تسعة مبارزة، ثمّ برز العاشر معلما بعمامة صفراء، فضرب أبا عامر فقتله (دوّخهم) أذلهم (حفيده) ابن أخيه، وهو أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعريّ رضي الله عنه (وجاء بالفلّ) أي: المهزومين (وهم) أي:

الفلّ (عبيده) .

دعاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم لأبي عامر:
قال في «المواهب» : (لمّا قتل أبو عامر.. خلفه أبو موسى الأشعريّ، فقاتلهم حتى فتح الله عليه، وقتل قاتل أبي عامر، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهمّ؛ اغفر لأبي عامر، واجعله من أعلى أمّتي في الجنة») .
وفي «البخاري» : (قال– يعني أبا عامر لأبي موسى لمّا رمي بالسهم–: يابن أخي؛ أقرئ النّبيّ صلى الله عليه وسلم السلام، وقل له استغفر لي، ثمّ مات، فرجعت، فدخلت على النّبيّ صلى الله عليه وسلم في بيته وهو على سرير مرمّل وعليه فراش، قد أثر رمال السرير في ظهره وجنبه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وأنّه قال: قل له استغفر لي، فدعا بماء فتوضّأ، ثمّ رفع يديه، وقال: «اللهمّ؛ اغفر لعبيد أبي عامر» ورأيت بياض إبطيه، ثمّ قال: «اللهمّ؛ اجعله يوم

القيامة في الجنة فوق كثير من خلقك من الناس» فقلت: ولي فاستغفر، قال: «اللهمّ، اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما»
قال أبو بردة– يعني ابن أبي موسى راوي الحديث–:
إحداهما– أي الدعوتين– لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى) اهـ
والمرمل– براء مهملة، ثمّ ميم مثقلة– أي: معمول بالرمال، وهي حبال الحصر التي تضفر بها الأسرة.
ويستفاد من هذا الحديث: استحباب الطهارة لإرادة الدعاء، ورفع اليدين في الدعاء. اهـ

(29) غزوة الطائف

الطائف: هي بلد كبير على ثلاث مراحل بسير الإبل من مكة، وعلى خمس ساعات بسير السيارات الحديثة، على طريق وعر غير معبّد، واليوم مهّد الطريق إليه من عرفة إلى جبل الكر الذي حطم لتعبيد الطريق إلى جبل الهدى، ومنه النزول إلى وادي محرم، ولو تمّ هذا العمل «1» .. تكون المسافة إلى الطائف نحو ساعة أو أقل.

---

(1) قد تمّ العمل بطريق الهدا منذ عام (1385 هـ) تقريبا، وتقطع المسافة في نحو الساعة بالسير المعتدل بالسيارة الصغيرة.

وهي مدينة بناحية المشرق، طيبة الهواء، كثيرة الفواكه، ترتفع عن سطح البحر بمقدار ألف قدم، قيل: سميت بالطائف؛ لأنّها كانت بالشام، فنقلها الله إلى الحجاز بدعوة إبراهيم عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام، أو لأنّ رجلا من الصّدف أصاب دما بحضرموت، ففرّ إلى وجّ «1» ، وحالف مسعود بن معتّب، وكان له مال عظيم؛ فقال: هل لكم أن أبني لكم طوفا عليكم يكون لكم ردءا من العرب؟ فقالوا:

نعم، فبناه، وهو الحائط المطيف به، أو لأنّه طاف على الماء في الطوفان، أو لأنّ جبريل طاف بها على البيت، ذكر هذه الأقوال صاحب «القاموس» .

وقال السهيليّ: (ذكر بعض المفسّرين وجها آخر في تسميتها بالطائف، فقال في الجنة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في «سورة ن» حيث يقول: فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نائِمُونَ قال: كان الطائف جبريل عليه السّلام، اقتلعها من موضعها، فأصبحت كالصّريم، وهو الليل، أصبح موضعها كذلك، ثمّ سار بها إلى مكة، فطاف بها حول البيت، ثمّ أنزلها حيث الطائف اليوم، فسميت باسم الطائف الذي طاف عليها وطاف بها، وكانت تلك الجنة بصوران على فراسخ من صنعاء، ومن ثمّ كان الماء والشجر بالطائف دون ما حولها من الأرضين، وكانت قصة أصحاب الجنة بعد عيسى ابن مريم

---

(1) بفتح الواو وتشديد الجيم: اسم لموضع بالطائف، وقيل: اسم للوادي كله.

فلثقيف وهي في حصون ... بطائف أقبل من حنين

صلّى الله عليه وعلى نبينا وسلّم بيسير، ذكر هذا الخبر النقاش وغيره) اهـ

قلت: فهذه وجوه خمسة في التسمية، ولم أر من اعتمد واحدا منها وردّ الآخر، أو اعتمد غيرها.

تحصن ثقيف بحصنهم في الطائف:

وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثمان، على ما قاله جمهور أهل المغازي.

واعلم: أنّه عليه الصّلاة والسّلام لمّا فرغ من حنين منصورا مظفرا، وبعث بغنائمها إلى وادي الجعرانة كما تقدم.. توجه لثقيف كما قال الناظم:

(فلثقيف) أي: فبعد حنين أقبل عليه الصّلاة والسّلام لثقيف، فالجار والمجرور يتعلق ب (أقبل) وقوله: (وهي) أي: ثقيف متحصنة (في حصون بطائف) جملة معترضة بين قوله فلثقيف وقوله: (أقبل من) وادي (حنين) .

قال في «العيون» عن ابن سعد: (قالوا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين يريد الطائف، وقدّم خالد بن الوليد على مقدمته، وقد كانت ثقيف رمّوا حصنهم، وأغلقوه عليهم، وتهيّؤوا للقتال،

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل قريبا من حصن الطائف- قال الزرقانيّ:
ولا مثل له في حصون العرب- وعسكر هناك، فرموا

(1/707)

فسألوه الكفّ عن قطع الكرم ... بالله والرّحم فارتادوا الكرم
المسلمين بالنّبل رميا شديدا كأنّه رجل جراد «1» ، حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، وقتل منهم اثنا عشر رجلا، فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم «2» ، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب، فضرب لهما قبتين، وكان يصلي بين القبتين حصار الطائف كله، فحاصرهم ثمانية عشر يوما، وأمر بقطع أعنابهم ونخلهم، فقطع المسلمون قطعا ذريعا- أي: سريعا- ثمّ سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقالوا: لم تقطع أموالنا؟ إمّا أن تأخذها إن ظهرت علينا، وإمّا أن تدعها لله وللرحم، فقال عليه الصّلاة والسّلام: «إنّي أدعها لله وللرحم» «3») ، وإليه الإشارة بقوله:
(فسألوه الكف) أي: المنع (عن قطع الكرم) أي:
العنب، والراء في الأصل ساكنة، وحركت بالفتح للضرورة (بالله والرحم) يتعلق ب (سألوه)

---

(1) بكسر الراء وسكون الجيم، يعني: أنّ السهام لكثرتها صارت كجماعة الجراد المنتشر.
(2) قال في «شرح المواهب» : (وهو الذي بناه عمرو بن أميّة بن وهب مسجدا لما أسلمت ثقيف، وكان فيه سارية فيما يزعمون لا تطلع عليها الشمس يوما من الدهر إلّا سمع لها نقيض- أي: صوت- أكثر من عشر مرات، وكانوا يرون أنّ ذلك نبيح) اهـ
(3) لأنّ أمه عليه الصّلاة والسّلام آمنة، أمها برة بنت عبد العزّى بن قصي، وأم برة هذه أم حبيب بنت أسعد، وأمها برة بنت عوف، وأمّها قلابة بنت الحارث، وأم قلابة هند بنت يربوع من ثقيف، كما قاله ابن قتيبة.

(1/708)

فهابه والمنجنيق ضربا ... وسئل الدّعا عليهم فأبى
(فارتادوا) أي: فطلبوا من النّبيّ صلى الله عليه وسلم (الكرم) الذي هو ضد اللؤم، يقال: ارتاد الكلأ: طلبه، فلا إيطاء.
فإن قيل: قد سمى الناظم العنب كرما، وقد نهى عنه في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تسموا العنب الكرم» أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه؟
قلت: النهي محمول على التنزيه، وعلة النهي: كونه يتخذ منه الخمر، ولأنّ فيها تقريرا لما كانوا يتوهمونه من تكريم شاربها.

(فهابه) أي: هاب الله تعالى لما سألوه به، وقال:
«أدعها لله وللرحم» وكفّ عزّ وجلّ.

ضرب المسلمين حصونهم بالمنجنيق:
(والمنجنيق) بفتح الميم وتكسر: آلة ترمى بها الحجارة قال في شرح المواهب: (مؤنث عند الأكثر، ويذكر، معرب، والميم أصلية عند سيبويه والنون زائدة، ولذا أسقطت في الجمع، قال كراع: كل كلمة فيها جيم وقاف أو جيم وكاف مثل كيلجة.. فهي أعجمية، ذكره في «الروض») اهـ وهو بالنصب على حذف الخافض؛ أي: وبالمنجنيق (ضربا) عليه الصّلاة والسّلام ثقيفا، وهو أول منجنيق رمى به في الإسلام، وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من

سرية ذي الكفين «1» ، فرمتهم ثقيف بالنبل، فقتل من المسلمين اثنا عشر رجلا.

إباء الرسول صلّى الله عليه وسلّم الدعاء على ثقيف:
(و) لمّا أحرقتهم نبال ثقيف (سئل) أي: سأل الصحابة النّبيّ صلى الله عليه وسلم (الدعا عليهم) فقالوا:
يا رسول الله؛ ادع على ثقيف، (فأبى) عليه الصّلاة والسّلام؛ لعظيم حلمه، وكريم أخلاقه، ولنظره السامي أن يخرج الله من أصلابهم من يؤمنون بالله عزّ وجلّ، ورجاء أن يهديهم الله للدخول في حظيرة الإسلام، ومن ثمّ لمّا سئل ذلك.. أبى، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «اللهمّ؛ اهد ثقيفا، وائت بهم مسلمين» .
ومن ألقى نظرة إلى سوء ما عاملت به ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنّهم آذوه أشد الأذى يوم أتاهم للدعوة إلى دين الله، وإلى ما يقوله عليه الصّلاة والسّلام في شأنهم في هذا اليوم يرى سموّ أخلاقه، وكرم نفسه الشريفة؛ فقد قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله؛ هل مرّ عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال: «ما لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت

(1) تثنية كف، وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حمة.

وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك،

وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ، ثم قال:
يا محمّد؛ ذلك لك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين..
فعلت، – فقال صلى الله عليه وسلم– بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»
وقد حقق الله ما رجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من هداية ثقيف، وقدوم وفدهم على النّبيّ صلى الله عليه وسلم مسلمين طائعين.
وهذا الحديث موافق لقوله تعالى: فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وقوله تعالى: وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ وإلى هذا المعنى أشار سيدي عبد العزيز الفاسي في «قرّة الأبصار» وأجاد بقوله:
وكان قادرا على التدمير ... لو شاء لكن جاد بالتأخير
حتى هدى الله به من شاء ... منهم ومن أصلابهم أبناء
ثم أعزّ دينه ونصره ... وأيّد الحق به وأظهره

ونوفل استشاره في أمره ... فقال هم كثعلب في جحره
ولم يؤذن له عليه الصّلاة والسّلام في فتح الطائف ذلك العام.
(ونوفل) هو ابن معاوية الدّؤلي، وعدّ من المؤلّفة قلوبهم (استشاره) رسول الله صلى الله عليه وسلم (في أمره) أي:
الطائف: أيرجع عن أهله أم لا؟ (فقال) يا رسول الله، صلّى الله عليك وسلم (هم كثعلب في جحره) بتقديم الجيم على الحاء؛ أي: ثقبه، إن أقمت عليه.. أخذته، وإن تركته..
لم يضرك.

تحرير الرسول صلّى الله عليه وسلّم من خرج إليه مسلما من عبيدهم:
ثمّ أمر عليه الصّلاة والسّلام مناديا ينادي: «أيّما عبد خرج إلينا.. فهو حر» فخرج منهم بضعة عشر عبدا نزلوا ببكرة، منهم نفيع بن الحارث المكنى بأبي بكرة، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه ويحمله، وأمرهم أن يقرؤوهم القرآن، ويعلّموهم السنن، فشقّ ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة، ثمّ لمّا أسلمت ثقيف.. كلّم أشرافهم فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوهم إلى الرق، فقال: «أولئك عتقاء الله» .
ولمّا قدم وفدهم، وأسلموا.. ولى عليهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاصي، وله المقام المحمود يوم قبض النّبيّ صلى الله عليه وسلم؛ فإنّه قام خطيبا وقال:
(يا معشر ثقيف؛ لا تكونوا آخر العرب إسلاما، وأوّلهم ارتدادا) فلم يرتد منهم أحد.

أمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم بالرحيل إذ لم يؤذن له في الفتح هذا العام:
وأمر عليه الصّلاة والسّلام عمر بن الخطاب، فأذن في الناس بالرحيل، فضجّ الناس من ذلك، فقالوا: نرحل ولم يفتح علينا الطائف؟! فقال عليه الصّلاة والسّلام: «فاغدوا على القتال» فغدوا، فأصاب المسلمين جراحات، فقال عليه الصّلاة والسّلام: «إنّا قافلون إن شاء الله تعالى» فسروا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك.
قال النووي: (قصد النّبيّ صلى الله عليه وسلم الشفقة عليهم، والرفق بهم، وبالرحيل عن الطائف؛ لصعوبة أمره، وشدة الكفار الذين هم فيه، وتقويهم بحصنهم، مع أنّه صلى الله عليه وسلم علم أو رجا أنّه سيفتحه بعد هذا بلا مشقة، فلمّا حرص الصحابة على المقام والجهاد.. أقام، وجدّ في القتال، فلمّا أصابتهم الجراح.. رجع إلى ما كان قصده أوّلا من الرفق بهم، ففرحوا بذلك لما رأوا من المشقّة الظاهرة، ووافقوا على الرحيل، فضحك صلى الله عليه وسلم تعجّبا من تغير رأيهم، ولمّا أرادوا أن يرتحلوا.. قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قولوا: لا إله إلّا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده» فلمّا ارتحلوا.. قال: «قولوا:
«آئبون، تائبون، عابدون، لربّنا حامدون» .

(1/713)

عمرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم من الجعرانة:
وهنا انتهى الكلام على غزوة الطائف، وبعدها رجع عليه الصّلاة والسّلام إلى الجعرانة؛ لقسم الأموال والسبايا.
قال في «الإمتاع» : (وأقام عليه الصّلاة والسّلام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة، وخرج ليلة الأربعاء لثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة، وأحرم- أي: بالعمرة- ولمّا كملها..
عاد إلى الجعرانة من ليلته، فكان كبائت بها، ثمّ خرج يوم الخميس على سرف إلى مرّ الظهران، واستعمل على مكة عتاب ابن أسيد، وقال له: «أتدري على من استعملتك؟» قال:
الله ورسوله أعلم، قال: «استعملتك على أهل الله» ثمّ وصل إلى المدينة المنوّرة مظفرا منصورا يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة من السنة الثامنة، والمدينة في تلهّف وتشوّق، واستطلاع لأنواره المحمّدية، عليه أفضل الصّلاة وأزكى التحية) .
وفي السنة التاسعة خرج لغزو الروم بتبوك.

(30) غزوة تبوك

تبوك: بفتح الفوقية، وضم الباء الموحدة، اسم لا ينصرف؛ للعلمية والتأنيث المعنوي: لموضع بينه وبين المدينة المنوّرة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة على الإبل

(1/714)

ثمّ لروم بتبوك استنفرا ... (لام) ألوف عام عسر اعترى

المثقلة، وبالسيارة نحو أربع أيام؛ لأنّ الطريق غير معبّد اليوم، وتسمى غزوة العسرة، وقد عبد بعد ذلك، فلله الحمد والمنّة، فالمسافة إنّما هي ساعات قلائل.

وكانت يوم الخميس في غرة رجب سنة تسع من الهجرة، قال في «المواهب» : (بلا خلاف، وهي آخر مغازيه صلى الله عليه وسلم، غزاها في حرّ شديد، وجدب كثير؛ لذلك لم يورّ عنها كعادته في سائر الغزوات، قال كعب بن مالك، كما في الصحيح: لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلّا ورّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة؛ غزاها في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا، وغزا عدوّا كثيرا، فجلّى للمسلمين أمرهم؛ ليتأهّبوا أهبة غزوتهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد) .

ولذلك يشير الناظم مبينا وجهته عليه الصّلاة والسّلام التي صرّح بها للمسلمين، مستنفرا ثلاثين ألفا من الأصحاب الكرام فقال:

(ثم) بعد فراغه عليه الصّلاة والسّلام من الطائف بنحو ستة أشهر (لروم) أي: لقتال بعض من الروم كائنين (بتبوك) لأنّهم لم يكونوا كلهم بها؛ فلذلك لم يقل للروم، ويتعلق الجار بقوله: (استنفرا) أي: طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينفر للروم هذا العدد المشار إليه بقوله: (لام ألوف) أي: ثلاثين ألفا ممّن أسلم من العرب والمهاجرين والأنصار،

ومعهم لحربه ألّب له ... غسّان لخم وجذام عامله

والخيل عشرة آلاف فرس، قال في «شرح المواهب» :

(وهذا أقل ما قيل في الجيش)

(عام عسر) أي: شدة وضيق (اعترى) أي: طرأ على المسلمين في الماء، وفي الظّهر، وفي النفقة، وحين طابت الثمار، والمسلمون يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم؛ فلذلك سميت: (غزوة العسرة) .

سبب هذه الغزوة:

وسببها- كما قاله ابن سعد في «طبقاته» : (أنّه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام، وأنّ هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلب معهم لخم، وجذام، وعاملة، وغسان، وغيرهم من متنصرة العرب، وقدّموا مقدماتهم إلى البلقاء، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخروج، وأعلمهم بالمكان الذي يقصده؛ ليتأهّبوا له) .

وأشار الناظم إلى من انضمّ من القبائل هناك إلى صفوف الروم بقوله:

(ومعهم) أي: ومع الروم (لحربه) صلى الله عليه وسلم (ألب) بفتح الهمزة وتشديد اللام المفتوحة؛ أي: جمع (له) أي: لحربه وقتاله، فهو بدل من قوله: (لحربه) (غسان) بفتح الغين المعجمة، وتشديد

السين، و (لخم) بسكون الخاء المعجمة (وجذام) و (عاملة) والأربعة قبائل من ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

(1/716)

وحضّ الاغنيا على الحملان ... ونكصوا دون مدى عثمان

حث الرسول صلّى الله عليه وسلّم الأغنياء على الإنفاق في سبيل الله:
(و) لمّا جدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره، والسير إلى تبوك، وأمر الناس بالجهاز (حض) أي: حثّ أصحابه (الأغنيا على) النفقة، و (الحملان) بضم الحاء وسكون الميم؛ أي: على حملان الفقراء، بأن يعطوهم الشيء الذي يركبون عليه، ويحملوهم في سبيل الله تعالى، فأجابوا.
قال في «شرح المواهب» عن الواقديّ: (وجاؤوا بصدقات كثيرة، فكان أول من جاء أبو بكر رضي الله عنه بماله كله، أربعة آلاف درهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «هل أبقيت لأهلك شيئا؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، وجاء عمر بنصف ماله، فسأله: «هل أبقيت لهم شيئا؟» قال: نعم، نصف مالي، وحمل العباس، وطلحة، وسعد بن عبادة، وجاء عبد الرّحمن بن عوف بمئتي أوقية إليه صلى الله عليه وسلم، وتصدّق عاصم بن عدي بسبعين وسقا من تمر) اهـ

تجهيز عثمان ثلث الجيش:
(و) مع ذلك (نكصوا) وتأخروا (دون مدى) أي: غاية سيدنا (عثمان) بالكسر للضرورة؛ فإنّه جهز ثلث الجيش، حتى كان يقال: ما بقيت لهم حاجة، حتى كفاهم

(1/717)

شنق «1» أسقيتهم.
قال ابن إسحاق: (أنفق عثمان في ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها) .
قال ابن هشام: (حدّثني من أثق به: أنّ عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار «2» ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهمّ؛ ارض عن عثمان؛ فإنّي عنه راض») اهـ
وروى عبد الرّحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفّان رضي الله عنه بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة، فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول: «ما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم» قالها مرارا. رواه الترمذيّ.
قال سيدي أبو عبد الله محمّد بن سعيد في «أم القرى» :
وابن عفان ذي الأيادي التي طا ... ل إلى المصطفى بها الإسداء
حفر البئر جهز الجيش أهدى ال ... هدي لما أن صده الأعداء

(1) شنق القربة يشنقها شنقا: إذا وكأها ثمّ ربط طرف وكائها بيديها. اهـ «قاموس»
(2) أي: غير الإبل والزاد وما يتعلق بذلك؛ فقد تصدق بمئتي بعير بأقتابها وأحلاسها ومئتي أوقية.

(1/718)

على بعير عشرة تعتقب ... وعزّ مطعم وعزّ مشرب
يقتسم النّفر تمرة ومن ... فرث الأباعر شراب قد يعن

عسرة المجاهدين:
(على بعير) واحد يتعلق بقوله: (تعتقب) أي (عشرة) من الرجال (تعتقب) على بعير؛ أي: يركب واحد ساعة، وينزل فيركب الآخر، وهو يشمل الجمل والناقة، كالإنسان للرجل والمرأة (وعزّ) أي: قل (مطعم، وعز مشرب) وكان زادهم التمر والشعير.
(يقتسم النفر) بفتح النون المشددة والفاء: الرجال من الثلاثة إلى العشرة (تمرة) واحدة (ومن فرث) بوزن فلس، مضاف إلى (الأباعر) وهو في الأصل السّرجين في الكرش، والمراد ما في الكرش من الماء (شراب قد يعن) لهم؛ أي:
يعرض، ومن هنا سميت بغزوة العسرة.
وحثّ عليه الصّلاة والسّلام المياسير على إعانة المعاسير، ويشير بهذا إلى ما رواه الحاكم في «مستدركه» بسند صحيح على شرط الشيخين: (أنّ ابن عباس قال لعمر بن الخطاب:
حدّثنا عن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش، حتى ظننا رقابنا ستنقطع، حتى إنّ الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ثمّ يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصدّيق:
يا رسول الله؛ إنّ الله قد عودك في الدعاء خيرا، فادع الله،

(1/719)

قال: «أتحب ذلك؟» قال: نعم، فرفع يديه، فلم يرجعهما حتى خالت السماء فأظلت، ثم سكبت فملؤوا ما معهم، ثمّ ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر) اهـ
وهذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم في استجابة الدعاء، وفيه منقبة ظاهرة لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه؛ حيث أشار على النّبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك، واستشاره صلى الله عليه وسلم.
قال في «شرح بهجة المحافل» عن البغويّ: (كان زادهم التمر المسوس «1» ، والشعير المتغير، وكان النفر منهم يخرجون ما معهم إلّا التمرات بينهم، فإذا بلغ الجوع أحدهم.. أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها، ثمّ يعطيها صاحبه فيمصّها فيشرب عليها جرعة ماء كذلك، حتى تأتي على آخرهم، فلا يبقى

من التمرة إلّا النواة) .

البكاؤون للتخلف عن الجهاد:

ثمّ إنّ رجالا من خيار المسلمين لمّا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفر المسلمين للغزو.. جاؤوا يستحملون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلهم ذو حاجة، ولا يحب التخلف عن مشهد خرج له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصّلاة والسّلام: «لا أجد

---

(1) أي: الذي أصابه السوس؛ لأنّه من التمر الذي كاد أن يمر عليه الحول، أمّا الجديد.. فإنّ الثمار على رؤوس النخل الزهو والرطب ولمّا يك تمر بعد.

وقعد الباكون والمعذّرون ... وعسكرت فربّت المنافقون

ما أحملكم عليه» فتولّوا وأعينهم تفيض من الدمع؛ حزنا ألّا يجدوا ما ينفقون، وإلى هذا أشار الناظم بقوله:

(وقعد) عن الخروج مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلى تبوك (الباكون) لعدم قدرتهم على الخروج، ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملهم عليه، وهم:

سالم بن عمير، وعلبة بن زيد، وعبد الرّحمن بن كعب الأوسي المازنيّ، والعرباض بن سارية السلمي، وهرمي بن عبد الله الواقفي، وعمرو بن عنمة الأنصاري، وعبد الله بن مغفّل المزني، وعبد الله بن عمرو المزنيّ، وعمرو بن الحمام بن الجموح، أخو عمير المستشهد ببدر من بني سلمة، ومعقل بن يسار المزنيّ، وحرميّ بن مازن، والنعمان بن مقرّن، وسويد بن مقرّن، ومعقل بن مقرن، وعقيل بن مقرن، وسنان بن مقرن، وعبد الرّحمن بن مقرن، وعبد الله بن مقرن «1» .

---

(1) هؤلاء السبعة بنو مقرن ممّن هاجر إلى المدينة وصحب، وأمرهم الأمراء، وفتحوا الفتوحات، ولا نعرف سبعة إخوة هاجروا إلى المدينة غيرهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنّ للنفاق بيوتا، وللإيمان بيوتا، وإن بيت بني مقرن من بيوت الإيمان. ونظم بعضهم هؤلاء السبعة بقوله:

قد فاز بالهجرة للمدينة ... الإخوة السبعة من مزينه

عقيل معقل سنان وسويد ... نعيم والفارس نعمان الشهيد

سابعهم عبد الإله وهموا ... بنو مقرن الكرام إليهم

وهم الّذين قال الله تعالى فيهم: وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ ومن هنا سموا بالباكين والبكّائين.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم مرجعه من تبوك: «إنّ بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا.. إلّا وهم معكم» قالوا: يا رسول الله؛ وهم بالمدينة؟ قال: «نعم، حبسهم العذر» .
ذكر في «الإمتاع» : (أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا قدم المدينة من تبوك في رمضان.. قال: «الحمد لله على ما رزقنا في سفرنا هذا من أجر وحسبة، ومن بعدنا شركاؤنا فيه» فقالت عائشة رضي الله عنها:
أصابكم العسر والشدة في السفر، ومن بعدكم شركاؤكم فيه؟! فقال: «إنّ بالمدينة لأقواما ما سرنا ... »
الحديث، ثمّ قال: «أو ليس الله يقول في كتابه: وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فنحن غزاتهم، وهم قعدتنا، والذي نفسي بيده؛ لدعاؤهم أنفذ في عدونا من سلاحنا» وفي قول عائشة رضي الله عنها دعابة وإدلال واضح يدل على ذكائها وفطنتها) .

موقف المعذّرين والمنافقين:
(و) قعد (المعذّرون) بشد الذال المكسورة، جمع معذر: من عذّر في الأمر، إذا قصر فيه موهما أنّ له عذرا ولا عذر له.

وهم كما قال ابن سعد: (اثنان وثمانون رجلا، استأذنوا النّبيّ صلى الله عليه وسلم في التخلّف عن الغزو، وتعلّلوا بالجهد وكثرة العيال، فأذن لهم في التخلّف، ولكن لم يقبل عذرهم لكذبهم، وفيهم نزل قوله تعالى: وَجاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ثمّ نزل فيهم: سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ.
وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر؛ جراءة على الله ورسوله، وقد عناهم الله تعالى بقوله: وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ.
قال العلّامة السّهيلي: (وأهل التفسير يقولون: إنّ آخر «براءة» نزل قبل أولها، وإنّ أول ما نزل منها: انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالًا) .
(وعسكرت) أي: اجتمعت المنافقون، (فربت) بتشديد الباء؛ أي: أقامت (المنافقون) مع رئيسهم عبد الله بن أبيّ وحلفائه من اليهود على ثنية الوداع، وكان عليه الصّلاة والسّلام ضرب عسكره أيضا على ثنية الوداع.
قال ابن إسحاق: (وضرب عبد الله بن أبيّ معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب «1» ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل

(1) جبل بالمدينة أمام باب الشامي.

(1/723)

وقعد الثّلاثة الّذينا ... تاب عليهم ربّنا يقينا
العسكرين– أي عددا– فلمّا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم..
تخلّف عنه عبد الله بن أبيّ فيمن تخلّف من المنافقين) .
قال ابن هشام: (واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة وعلى عياله علي بن أبي طالب) كما في «الصحيحين» ورجحه جهابذة الحفاظ، ومنهم ابن عبد البر، وناهيك به كما سيأتي.
فتحصل: أنّ الذين قعدوا عن الخروج للغزو ما بين مؤمن رسخ الإيمان في قرارة قلبه، باك لعدم الحملان، ومنافق متثاقل ملتمس للأعذار، ومنافق لم يأت أصلا وكذب الله ورسوله، ومنافق أظهر الخروج ثمّ نكص على عقبيه، فدخل المدينة، وهناك فريق ثالث من المسلمين ليس إيمانهم بأقل من الرعيل الأول، ولكن أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلّفوا عنه ولا شكّ ولا نفاق لديهم، وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الرّبيع، وهلال بن أميّة.

الثّلاثة المؤمنون المتخلفون:
وإليهم الإشارة بقول الناظم: (وقعد الثلاثة الذين تاب عليهم ربنا) توبة (يقينا) نزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال تعالى عطفا على قوله: لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ الآية: وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا أي: عن التوبة، لا عن الغزو؛ لما سيأتي، وهم:

(1/724)

كعب بن مالك مرارة الرّبيع ... وابن أميّة هلال الرّفيع
(كعب بن مالك) الأنصاري السّلمي و (مرارة) بن (الرّبيع) بضم الميم بعدها راء مخففة، الأنصاري العمري، بسكون الميم نسبة إلى بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وسبب تخلفه: أنّه كان له حائط زها، فقال في نفسه: قد غزوت قبلها، فلو أقمت عامي هذا، فلمّا تذكر ذنبه.. قال: اللهمّ؛ إنّي أشهدك أنّي قد تصدّقت به في سبيلك (وابن أميّة) وهو (هلال الرفيع) الدرجة، وكلهم كذلك، وهلال ينسب إلى بني واقف، فهو واقفي، وقد جمعهم مع آبائهم القائل:
أسما الذين خلفوا عن الرسول ... في (مكة) نظمها بعض الفحول
مرارة، كعب، هلال، واسما ... آبائهم في (عكة) خذ بالقبول
قال في «شرح المواهب» : (ذكر في مرسل الحسن: أنّ سبب تخلفه أنّه كان له أهل تفرّقوا، ثمّ

اجتمعوا، فقال: لو أقمت هذا العام عندهم، فلمّا تذكّر.. قال: اللهمّ؛ لك عليّ ألّا أرجع إلى أهل ولا مال) .
وحديث هؤلاء السادة في تخلّفهم ومعاملتهم الحق تعالى بالصدق، والرجوع إليه في «صحيح الإمام أبي عبد الله البخاريّ» وهو ما رواه من طريق عبد الرّحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: (أنّ عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد

كعب من بنيه حين عمي، قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلّف عن قصة تبوك قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلّا في غزوة تبوك، غير أنّي كنت تخلّفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدا تخلّف عنها، إنّما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أنّ لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.
كان من خبري: أنّي لم أكن قطّ أقوى ولا أيسر حين تخلّفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلّا ورّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا، ومفازا «1» ، وعدوا كثيرا، فجلّى «2» للمسلمين أمرهم؛ ليتأهّبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ- يريد الديوان- قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلّا ظنّ أنّه سيخفي أمره ما لم ينزل فيه وحي من الله عزّ وجلّ.

---

(1) بفتح الميم؛ أي: فلاة لا ماء فيها.
(2) فجلى- بتشديد اللام وتخفيفها- أي: أوضح وكشف لهم الأمر.

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهّز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهّز معهم، فأرجع ولم أقض شيئا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتدّ بالناس الجدّ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئا، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثمّ ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهّز، فرجعت ولم أقض شيئا، ثمّ غدوت، ثمّ رجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت، فلم يقدّر لي ذلك، فكنت

إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم.. أحزنني أنّي لا أرى إلّا رجلا مغموصا عليه النفاق، أو رجلا ممّن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة، وهو عبد الله بن أنيس السّلمي:
يا رسول الله؛ حبسه برداه ونظره في عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله؛ ما علمنا عليه إلّا خيرا، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال كعب بن مالك: فلمّا بلغني أنّه توجه قافلا..
حضرني همي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي،

(1/727)

فلمّا قيل: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلّ قادما..
زاح عني الباطل، وعرفت أنّي لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما، وكان إذا قدم من السفر.. بدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثمّ جلس للناس: فلمّا فعل ذلك.. جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه– صلوات الله وسلامه عليه– ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته، فلمّا سلّمت عليه..
تبسّم تبسّم المغضب، ثمّ قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» فقلت: بلى، إنّي والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا.. لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني.. ليوشكنّ الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدّثتك حديث صدق تجد عليّ فيه.. إنّي لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفت عنك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمّا هذا.. فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك» فقمت.
وثار رجال من بني سلمة فأتبعوني، فقالوا لي: والله؛ ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت ألّا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اعتذر

(1/728)

المتخلفون؛ فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، فو الله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثمّ قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا:
نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الرّبيع

العمري، وهلال بن أميّة الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا، فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي.
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيّها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيّروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأمّا صاحباي.. فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأمّا أنا.. فكنت أشبّ القوم وأجلدهم، وكنت أخرج فأشهد الصّلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، ولا يكلّمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصّلاة، فأقول في نفسي: هل حرّك شفتيه برد السّلام عليّ أم لا؟ ثمّ أصلّي قريبا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي.. أقبل إليّ، وإذ التفت نحوه.. أعرض عني.
حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس.. مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة– وهو ابن عمي، وأحبّ الناس إليّ– فسلّمت عليه، فوالله؛ ما ردّ عليّ السلام، فقلت:
يا أبا قتادة، أنشدك بالله: هل تعلمني أحب الله ورسوله؟

فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتولّيت حتى تسوّرت الجدار، قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطيّ من أنباط أهل الشام، ممّن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول:
من يدلّني على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتابا من ملك غسّان، فإذا فيه: أمّا بعد:
فإنّه قد بلغني أنّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك.
فقلت: لمّا قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت بها التنور، فسجرته بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين.. إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبيّ مثل ذلك. فقلت لامرأتي:
الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أميّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله؛ إنّ هلال بن أميّة شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا، ولكن لا يقربك، قالت: إنّه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أميّة أن تخدمه، فقلت: والله؛

لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يدريني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو استأذنته فيها وأنا رجل شاب؟
فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، فلمّا صلّيت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت عليّ نفسي، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت.. سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك؛ أبشر، قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا، حين صلّى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبيّ مبشرون، وركض إليّ رجل فرسا، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على ذروة الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس.
فلمّا جاءني الذي سمعت صوته يبشرني.. نزعت له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنّئونني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنّأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلمّا سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك» قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال «لا، بل من عند الله» .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ.. استنار وجهه كأنّه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلمّا جلست بين يديه.. قلت: يا رسول الله: إنّ من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك بعض مالك.. فهو خير لك، قلت: فإنّي أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله؛ إنّ الله إنّما نجّاني بالصدق، وإنّ من توبتي أن لا أحدّث إلّا صدقا ما بقيت، فوالله؛ ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم.. أحسن ممّا أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذبا، وإنّي لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت، وأنزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم: لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ إلى قوله:
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام.. أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألّا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين

كذبوا، فإنّ الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إلى قوله: فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ
قال كعب: وكنا تخلّفنا أيّها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له، فبايعهم، واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله: وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنّما هو تخليفه إيّانا، وإرجاؤه أمرنا عمّن حلف له) .
قال العلّامة أبو القاسم السهيليّ في «الروض» : (وإنّما اشتدّ غضبه صلى الله عليه وسلم على من تخلف، ونزل فيهم من الوعيد ما نزل، حتى تاب الله على الثلاثة منهم، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية لا من فروض الأعيان.. لكونه «1» في حق الأنصار خاصة كان فرض عين، وعليه بايعوا النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ألا تراهم يقولون يوم الخندق وهم يرتجزون:
نحن الذين بايعوا محمّدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا
ومن تخلّف منهم يوم بدر إنّما تخلّف؛ لأنّهم خرجوا لأخذ عير، ولم يظنوا أن سيكون قتال، فكذلك كان تخلفهم

---

(1) في الأصل و «الروض» : (لكنه) ، ولعل الصواب ما أثبت.

وأبوا خيثمة وذرّ ... قد لحقا وجاء أرض الحجر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة كبيرة؛ لأنّه كالنكث لبيعتهم، كذلك قال ابن بطّال رحمه الله في هذه المسألة، ولا أعرف لها وجها غير الذي قال) .
وذكر الحافظ وجها غير هذا في تغليظ الأمر على هؤلاء، وهو أنّهم تركوا الواجب بلا عذر؛ لأنّ الإمام إذا استنفر الجيش عموما لزمهم النفير، ولحق اللوم بكل فرد فرد [أن لو تخلف] ، ونقله في «شرح المواهب» عنه، قائلا: فهذا وجه ثان غير الذي ذكر؛ أي: عن ابن بطّال.
قلت: ولمّا كان هؤلاء شاركوا المنافقين في صورة التخلّف عن الغزو بلا عذر وهم برآء من النفاق.. كانت توبتهم على الحال الذي ذكر في الحديث؛ ليميز الله الخبيث من الطيّب، ويظهر قوة إيمان هؤلاء الأصحاب السادة الغرّ الميامين، رضي الله عنهم أجمعين، وجمعنا بهم في مستقر رحمته ودار كرامته بمنّه وفضله، آمين.

قصة إبطاء أبي خيثمة وأبي ذرّ في الخروج:
وأشار الناظم إلى إبطاء أبي خيثمة وأبي ذرّ عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم في المسير، ولحوقهما له بعد فقال:

(وأبوا خيثمة) بالتنوين للضرورة (وذر) قد أبطأا عن السير، ولكنهما (قد لحقا) بالنّبيّ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك:

(1/734)

أمّا أبو خيثمة- واسمه سعد من بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج-: فذكر خبره ابن إسحاق، وهو: (أنّه رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين في حائطه، قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيّأت له فيه طعاما، فلمّا دخل.. قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضّح والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهيّأ، وامرأة حسناء في ماله مقيم؟ ما هذا بالنّصف! ثمّ قال: والله؛ لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فهيّئا لي زادا، ففعلتا، ثمّ قدّم ناضحه فارتحله، ثمّ خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك، وكان قد أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك.. قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إنّ لي ذنبا فلا عليك أن تخلّف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك.. قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كن أبا خيثمة «1» فقالوا: يا رسول الله؛

(1) لفظه لفظ الأمر، ومعناه الدعاء كما تقول: أسلم سلّمك الله. اهـ من «الروض»

(1/735)

هو والله أبو خيثمة، فلمّا أناخ.. أقبل فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أولى لك يا أبا خيثمة، ثمّ أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا، ودعا له بخير) .

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك شعرا:

ولمّا رأيت الناس في الدين نافقوا ... أتيت التي كانت أعفّ وأكرما

وبايعت باليمنى يدي لمحمّد ... فلم أكتسب إثما ولم أغش محرما

تركت خصيبا في العريش وصرمة ... صفايا كراما بسرها قد تحمّما

وكنت إذا شكّ المنافق أسمحت ... إلى الدّين نفسي شطره حيث يمّما

وأمّا أبو ذرّ- واسمه جندب بن جنادة على ما صححه السهيلي-: فسبب إبطائه أنّ بعيره كان أعجف فقال: أعلفه أياما، ثمّ ألحقه عليه الصّلاة والسّلام، فعلفه أياما، ثمّ خرج فلم ير به حركة، فحمل متاعه على ظهره وسار، وبينما يمشي أبو ذرّ.. إذ نظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله؛

إنّ هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال صلى الله عليه وسلم: «كن أبا ذر» فلمّا تأمّله القوم.. قالوا:

(1/736)

يا رسول الله، هو والله أبو ذرّ، فقال: «رحم الله أبا ذر؛ يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده» .

تنبيه:
قال في «شرح المواهب» : (هكذا الرواية عن ابن مسعود، عند ابن إسحاق وأتباعه، فما يقع في نسخ «يعيش» بدل «يبعث» تحريف من النساخ) .
فلمّا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره خبره، قال: «لقد غفر الله لك يا أبا ذرّ بكل خطوة ذنبا إلى أن لقيتني» ووضع متاعه عن ظهره، ثمّ استسقى، فأتي بإناء من ماء فشربه.
وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أبا ذرّ ... »
إلخ: معجزة إثر معجزة؛ فقد وقع ما أخبر به عليه الصّلاة والسّلام، وذلك أنّ أبا ذرّ أشار له الخليفة الثّالث سيدنا عثمان رضي الله عنه: أن لو اعتزلت الناس «1» ؛ لأنّه كان يريد أن

(1) هذا هو الصحيح، وسواه ممّا ينسبه بعضهم إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه من أنّه نفى أبا ذرّ ونحو ذلك من الكلمات التي لا تليق بالأدب.. فليس لها نصيب من الصحة، ولا مصدر موثوق به لدى الأئمّة. قال الإمام أبو بكر بن العربي في «العواصم والقواصم» : (معنى قول عثمان لأبي ذرّ: «لو اعتزلت..» : أنّك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس؛ فإنّ للخلطة شروطا، وللعزلة مثلها، ومن كان على طريقة أبي ذرّ.. فحاله يقتضي إمّا أن ينفرد بنفسه، أو يخالط، ويسلم لكل أحد ماله، ممّا ليس بحرام في الشريعة، فخرج إلى الربذة زاهدا

(1/737)

يحمّلهم ما لا يستطيع حمله عموم الناس، فخرج إلى الربذة، ولم يكن معه إلّا امرأته وغلامه، فأوصاهما إذا هو مات: أن غسّلاني وكفّناني، ثمّ ضعاني على قارعة الطريق، فأوّل ركب يمر بكم فقولوا: هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعينونا على دفنه، فلمّا مات.. فعلا ذلك به.
وأقبل ابن مسعود في رهط من أهل العراق عمّارا، فلم يرعهم إلّا والجنازة على ظهر الطريق، قد كادت الإبل تطؤها، وقام إليهم الغلام، فقال: هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعينونا على دفنه، فاستهلّ عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك» ثمّ نزل هو وأصحابه فدفنوه، ثمّ حدثهم ابن مسعود بالحديث.

توفي [أبو ذر] سنة (32) على ما قاله ابن إسحاق.

مرور الرسول صلّى الله عليه وسلّم بديار ثمود ونهيه عن شرب مائها:
ولمّا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى تبوك ديار ثمود.. نزل بها، وقال: «لا تشربوا من مائها شيئا، ولا يخرجنّ أحد منكم الليلة إلّا ومعه صاحب له، ففعل الناس إلّا رجلين من بني ساعدة، خرج أحدهما

فاضلا، وترك حلته فضلا، وكل على خير وبركة وفضل، وحال أبي ذرّ أفضل، ولا تمكن لجميع الخلق، فلو كانوا عليها.. لهلكوا، فسبحان مرتّب المنازل!) اهـ

(1/738)

فذبّ عن مياهه وأمرا ... أن لا يمرّ أحد كما يرى

لحاجته، والآخر في طلب بعيره، فصرع الأوّل، واحتملت الريح الثّاني، فطرحته بجبلي طيئ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا أخبر بذلك: «ألم أنهكم؟» ودعا للّذي صرع فشفي، وأهدت طيئ الآخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة، وإلى هذا أشار الناظم بقوله:
(وجاء) رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل (أرض الحجر) بكسر الحاء وسكون الجيم، وهي منازل ثمود قوم سيدنا صالح عليه وعلى نبينا الصّلاة والسّلام.
(فذبّ) بالذال المعجمة- أي: دفع- ومنع الأصحاب (عن) شرب (مياهه) فقال: «لا تشربوا من مائها شيئا» لئلّا يورثهم شربه قسوة في قلوبهم، أو ضررا في أبدانهم، قال القسطلانيّ في «شرح البخاري» : (زاد ابن إسحاق:
«ولا تتوضّؤوا منه للصّلاة، وما كان من عجين عجنتموه..
فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئا») .
نهى الرسول أصحابه عن الانفراد في السير بأرض ثمود، (وأمر) عليه الصّلاة والسّلام (أن لا يمر أحد) من الأصحاب (كما يرى) وحده، بل إن أراد.. فمع صاحب له، قال في «شرح المواهب» : (لحكمة علمها صلى الله عليه وسلم، لعلّها أنّ الجن لا تقدم على اثنين وقد روى الإمام مالك في «الموطأ» مرفوعا: «إنّ الشيطان يهم بالواحد» قال الباجي:
يحتمل أن يريد أنّه يهم باغتياله والتسلط عليه، وأنّه يهم بغيه، وصرفه عن الحق، وإغرائه بالباطل) اهـ

(1/739)

فعقّه المخنوق فوق مذهبه ... ومن وفود طيّء أتته به

وأخرج أصحاب السنن بإسناد حسن- وصححه ابن خزيمة والحاكم- مرفوعا: «الراكب شيطان،

والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب» .

قصة الرجلين اللذين خالفا النهي:

(ف) فعل الناس ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل إذعان وامتثال، غير باحثين عن حكمة ذلك، وإن كانت أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله كلها عن أسرار وحكم، و (عقّه) هو ضد بره؛ أي: خالفه (المخنوق) أي:

المصروع (فوق) أي: على (مذهبه) بفتح الميم والهاء، وهو الموضع الذي يتغوّط فيه، وقد شفاه الله تعالى ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم، فذهب عنه الصّرع (و) عقه (من) أي: الرجل الذي (وفود طيّئ) لما وفدوا على النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة (أتته به) أي: بالرجل الذي خرج في طلب بعيره، فطرحته الريح بجبلي طيئ.

قال الحلبي في «إنسان العيون» : (لمّا ارتحل عليه الصّلاة والسّلام إلى تبوك.. لا زال سائرا حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، وأخبرهم صلى الله عليه وسلم أنّها تهب عليهم الليلة ريح شديدة؛ أي: وقال: «من كان له بعير.. فليشدّ عقاله») ونهى الناس في تلك الليلة عن أن يخرج واحد منهم وحده، فخرج شخص وحده لحاجته فخنق، وخرج آخر وحده في طلب بعير له، فاحتملته الريح،

حتى ألقته بجبلي طيئ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم إلّا ومعه صاحبه» ثمّ دعا للّذي خنق فشفي، وأمّا الذي ألقته الريح بجبلي طيّئ فأرسلته طيئ له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة.

تنبيهان

الأوّل:

علم من التقرير أنّه صلى الله عليه وسلم نزل ديار ثمود، وعليه ترجم الإمام البخاريّ في «جامعه» فقال:

(نزول النّبيّ صلى الله عليه وسلم الحجر) وأخرج في أحاديث الأنبياء حديث ابن عمر: (أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا نزل الحجر في غزوة تبوك.. أمرهم ألّا يشربوا من بئرها، ولا يستقوا منها ...) الحديث.

وأخرج الشيخان عن ابن عمر: (أنّ الناس نزلوا معه صلى الله عليه وسلم أرض ثمود الحجر، فاستقوا من بئرها ...) الحديث.

قلت: فهذا تصريح من ابن عمر بالنزول، ولذلك حملت كلام الناظم عليه، وأمّا ما رواه البخاري عقب الترجمة عن ابن عمر: (لمّا مر صلى الله عليه وسلم بالحجر.. قال:

«لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم، إلّا أن تكونوا باكين» ثمّ قنّع رأسه، وأسرع السير حتى جاوز الوادي) .. فليس فيه التصريح بعدم النزول فيه،

(1/741)

فأصبح النّاس ولا ماء لهم ... فأرسل الله سحابة تؤم
فليحمل المرور على كونه بعد النزول، وقوله ذلك لهم.

الثّاني:
ما ذكره الناظم من حديث الرجلين، وأنّ ذلك كان بالحجر هو ما رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وهو لا ينافي حديث أبي حميد في «الصحيحين» :
(انطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشدّ عقاله» فهبّت ريح شديدة، فقام رجل، فحملته الريح حتّى ألقته بجبلي طيئ) لأنّه يحتمل أنّهما قصتان: إحداهما بالحجر، وهي التي ذكرها اليعمريّ تبعا لابن إسحاق، والثانية بتبوك، وهي التي في «الصحيحين» .
ويؤيّد التعدد أنّ في الأولى رجلين، وفي الثانية رجلا، وتحتمل الاتحاد، وأنّ قصة الذي خرج لحاجته كانت بالحجر، والذي ألقته الريح كانت بتبوك، فجمع بينهما في الذكر في مرسل ابن إسحاق، والله أعلم بحقيقة الحال.

آية وقعت بالحجر استجابة لدعاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم:
ثمّ أشار الناظم إلى آية وقعت وهم في الحجر أحوج ما يكونون إليها، ازداد بها المؤمنون إيمانا إلى إيمانهم، وزاد بها المنافقون نفاقا فقال:
(ف) بينما القوم بالحجر إذ (أصبح الناس و) الحال أنّه (لا ماء لهم) ، فشكوا حالهم تلك للنّبيّ صلى الله عليه

(1/742)

وسلم، فدعا (فأرسل الله) بفضله (سحابة) غزيرة بالماء (تؤم) أي: تقصدهم، حتى شربوا وحملوا ما أرادوا.
قال ابن إسحاق مفرّعا على مرورهم بالحجر: (فلمّا أصبح الناس ولا ماء معهم.. شكوا ذلك له صلى الله عليه وسلم، فدعا، فأرسل الله سحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس، وحملوا حاجتهم من الماء) .
وقال أيضا: حدّثني عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل قال: (كان

رجل معروف نفاقه يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما سار، فلمّا كان من أمر الحجر ما كان، ودعا صلى الله عليه وسلم فأرسل الله السحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس.. أقبلنا عليه نقول:
ويحك! هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابة مارة) اهـ
وقال في «شرح المواهب» : (روى الإمام أحمد، وابنا خزيمة وحبّان، والحاكم، عن عمر قال: خرجنا إلى تبوك في يوم قيظ شديد، فنزلنا منزلا، وأصابنا فيه عطش، حتى ظننا أنّ رقابنا ستنقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل، فلا يرجع حتى يظن أنّ رقبته ستنقطع، حتى إن كان الرجل لينحر بعيره، فيعصر فرثه، فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر: يا رسول الله؛ إنّ الله قد عودك في الدعاء خيرا، فادع الله لنا، قال: «أتحب ذلك؟» قال:
نعم، فرفع يديه نحو السماء، فلم يرجعهما حتى قالت السماء

فأظلت، ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثمّ ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر) .
قال العبد الضعيف: فهذا يؤيد ظاهر النظم، أنّ هذه الآية كانت بالحجر، وأمّا ما رواه ابن أبي حاتم. عن أبي حرزة قال: (نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، ونزلوا الحجر، فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن لا يحملوا من مائها شيئا، ثمّ ارتحل ونزل منزلا آخر وليس معهم ماء، فشكوا إليه صلى الله عليه وسلم، فقام فصلّى ركعتين، ثمّ دعا، فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها، فقال أنصاريّ لآخر من قومه يتّهم بالنفاق: ويحك! قد ترى ما دعا صلى الله عليه وسلم حتى أمطر الله علينا السماء، فقال: إنّما مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فأنزل الله تعالى وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) .. فيمكن الجمع بأن قول الناظم: (فأصبح الناس) أي: بعد أن ساروا ونزلوا منزلا بعد الحجر، وكذا قول ابن إسحاق يحمل عليه، وأنّه لمّا طلب منه أبو بكر الدعاء.. صلّى ثمّ مدّ يديه ودعا، والله أعلم.
هذا وقد ورد من الأحاديث والأخبار الثابتة في استسقاء النّبيّ صلى الله عليه وسلم ربّه لأمته، ومسارعته تعالى له في استجابة ما طلب لمّا دهمتهم الخطوب والنوائب، ونزل بهم ما لا يطيقون من الفزع والشكوى الشيء الكثير، فمن ذلك ما رواه الإمام البيهقي في «دلائل النبوة» عن أنس رضي الله عنه: أنّ أعرابيا جاء إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال:

يا رسول الله؛ أتيناك وما لنا بعير يئط، ولا صبي يغط، ثمّ أنشد:
أتيناك والعذراء يدمي لبانها ... وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفّيه الفتيّ استكانة ... من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلي
ولا شيء ممّا يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل

وليس لنا إلّا إليك فرارنا ... وأين فرار الناس إلّا إلى الرسل
فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه فقال:
«اللهمّ؛ اسقنا غيثا مغيثا، مريعا، غدقا، طبقا، نافعا، غير ضار، عاجلا غير رائث، تملأ به الضرع، وتنبت به الزرع، وتحيي به الأرض بعد موتها» قال: فما ردّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يديه حتى ألقت السماء بأرواقها، وجاء الناس يضجون: الغرق الغرق، فقال صلى الله عليه وسلم:
«حوالينا ولا علينا» فانجاب السحاب عن المدينة، وضحك النّبيّ صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، ثمّ قال: («لله در أبي طالب، لو كان حيا.. لقرّت عيناه، من ينشدنا قوله؟») فقال علي رضي الله عنه: كأنّك تريد قوله:
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

على تخلّف بطيبة علي ... خصّ بسهمين بسهمه العلي
يطوف به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
قال عليه الصّلاة والسّلام: «أجل» .

استخلاف علي على المدينة:

واعلم: أنّه عليه الصّلاة والسّلام استخلف علي بن أبي طالب على المدينة وعلى أهله، فكان كمن حضرها؛ فلذلك ضرب له النّبيّ صلى الله عليه وسلم بسهم، وأعطى جبريل سهمه له، وإلى هذا يشير الناظم بقوله:
(على تخلّف بطيبة علي) على الناس وعلى عياله، كما رجّحه الزرقاني في «شرح المواهب» ونقل ذلك عن الحافظ العراقي، وقال: رواه عبد الرزاق في «مصنفه» بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص: (أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا خرج إلى تبوك.. استخلف على المدينة علي بن أبي طالب) .
وروى الحاكم في «الإكليل» من مرسل عطاء أنّه قال:
«يا علي؛ اخلفني في أهلي، واضرب، وخذ، وعظ» ثمّ دعا نساءه فقال: «اسمعن لعلي وأطعن» .
وأخرج ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص قال:
(خلف صلى الله عليه وسلم عليا على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلّا استثقالا

له، وتخفّفا منه، فأخذ عليّ سلاحه، ثمّ أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال: يا نبيّ الله؛ زعم المنافقون أنّك إنّما خلفتني؛ لأنّك استثقلتني وتخففت مني، فقال: «كذبوا، ولكن

خلفتك لما تركت ورائي، فارجع في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» فرجع إلى المدينة، ومضى صلى الله عليه وسلم على سفره) .
وفي «الصحيحين» من حديث سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه: (أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك، واستخلف عليا فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟
قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي») قال في «شرح المواهب» : (زاد أحمد:
فقال عليّ: رضيت ثمّ رضيت ثمّ رضيت) فقوله: (استخلف عليا) ظاهر في أنّه على المدينة، وتأيّد هذا الظاهر بورود هذه اللفظة في نفس حديث سعد في «مصنّف عبد الرزاق» والروايات يفسّر بعضها بعضا، لا سيّما والمخرج متحد، ومن ثمّ جزم الحافظ العراقي بعزوه لهما استخلافه على المدينة، ورجّحه الحافظ ابن عبد البر، وتبعه الحافظ ابن دحية، وقطع به القسطلانيّ في «شرح البخاري» لأنّ ما في أرفع الصحيح لا معدل عنه.
وقول الناظم: (على تخلف) يتعلق بقوله: (خصّ) مبنيا للمفعول؛ أي: خصه النّبيّ صلى الله عليه وسلم على

وسهم جبريل وكان حضرا ... وبذله به النّبيّ أمرا
تخلفه، دون غيره ممّن تخلف (بسهمين بسهمه العلي) لأنّه تخلف بأمره صلى الله عليه وسلم على المدينة.
(وسهم جبريل) عليه السّلام (وكان) جبريل (حضرا) غزوة تبوك (وبذله) بالرفع على أنّه مبتدأ، وقوله: (به النّبي) بالنصب مفعول ل (أمر) مقدم عليه؛ أي: إعطاء السهم؛ أي: سهم جبريل (أمر) جبريل النّبيّ به لعليّ، فحاز عليّ رضي الله عنه السهمين: سهم على تخلفه وقيامه عنه بالمدينة على من بقي– رضي الله تعالى عنه– وسهم من جبريل.
وظهر بهذا أنّ الأجر على قدر الاتباع وامتثال– الأمر، كما نصّ عليه العلّامة الشيخ أحمد زروق في «قواعده» فقال:
(الأجر على قدر الاتباع، لا على قدر المشقة؛ لفضل الإيمان، والمعرفة والذكر والتلاوة، على ما هو أشد منها بكثير من الحركات الجسمانية) .
قلت: وهذا يدل على أنّه حصل من المسلمين قتال مع الكفار، حتى غنموهم وقسمت السهام، وهو مناف لما سيأتي، فترقّب.

جهالة الشيعة وافتراؤهم:

تنبيه:
لا دلالة للشيعة في التمسك بذلك الخبر، على أنّ علي بن

أبي طالب أحقّ بالخلافة من غيره من الصحابة؛ لأنّه عليه الصّلاة والسّلام بيّن وجه الاتصال بينه وبين عليّ في قوله:
«أنت مني بمنزلة هارون من موسى» بقوله عليه الصّلاة والسّلام: «إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» أي: فالاتصال من ناحية الخلافة، لا من ناحية النبوّة.
ونحن معشر أهل السنة والجماعة نقول: إنّ هذه الخلافة خاصة في حياته عليه الصّلاة والسّلام، كما يستفاد من هذا الحديث؛ فإنّ هارون المشبّه به، إنّما كان خليفة في حياة موسى، ويزيد هذا تأييدا: أنّ هارون المشبّه به توفي «قبل موسى عليه الصّلاة والسّلام، قيل: بأربعين سنة، كما حكاه في «شرح المواهب» عن المصنف، أو بسنة كما هو أحد قولي البيضاويّ.
وليعلم: أنّ مذهب الشيعة مبني على أوهام وعقائد لا تتفق مع العقائد السليمة الصحيحة، شأن كل بدعيّ، وأنشد بعض الشيعة بما يدل على خبث بواطنهم في الصحابة الكرام المعدلين من قبل الحق تعالى قبل بروزهم إلى عالم الوجود وحقّ لهم ذلك، فإنّ الوجود لم يشاهد مثلهم في جماعات الكمالات والخير، حتى قال بعضهم: لو لم يكن لهذا النّبيّ الكريم من الآيات على صدقه إلّا أصحابه.. لكفى، رضي الله عنهم، وجمعنا بهم في دار كرامته ومستقر رحمته آمين- فقال:

وقال إذ أضلّ راحلته ... مجرمهم ما قال فابتهته
نحن أناس قد غدا شأننا ... حبّ عليّ بن أبي طالب
يلومنا الجاهل في حبه ... فلعنة الله على الكاذب
وكشف عن ذلك بعض «1» أهل السنّة، ورد عليه بقوله:
ما عيبكم هذا ولكنه ... بغض الذي لقّب بالصاحب
وقولكم فيه وفي بنته ... فلعنة الله على الكاذب

مقالة المنافق زيد بن اللّصيت:
(و) لمّا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجر، فكان ببعض الطريق (قال إذ أضلّ) فقد (راحلته) وهي القصواء، كما قاله الواقديّ، وهو بالنصب مفعول (أضل) ، وفاعل (قال) قوله: (مجرمهم) أي: مجرم المجتمعين أو المسلمين، وهو زيد بن اللّصيت- مصغرا- كما في «الإصابة» وكان من المنافقين، ويقال: ابن لصيب بالباء، كما قال ابن هشام (ما) أي: القول الشنيع الذي (قال) وهو: أليس يزعم محمّد أنّه نبي، ويخبركم عن خبر السماء

(1) نسب البيتين في الجواب العلّامة ابن العماد في «الشذرات» للمولى أبي السعود محمّد بن محمّد

بن مصطفى العمادي المولود سنة (898) والمتوفي سنة (982) بالقسطنطينية بجوار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(1/750)

وهو لا يدري أين ناقته (فابتهته) رسول الله؛ أي: أوقعه في الحيرة، لا يدري معها ماذا يجيب؛ فإنّه عليه الصّلاة والسّلام قال: «إنّ رجلا يقول كذا وكذا– وذكر مقالته– وإنّي والله لا أعلم إلّا ما علّمني الله، وقد دلّني الله عليها، وهي في الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها» فانطلقوا فجاؤوا بها.
وذكر ابن إسحاق ذلك بتوضيح فقال: (وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه يقال له:
عمارة بن حزم عقبيّ، بدريّ، وكان في رحله زيد بن اللّصيت المنافق، فرجع إلى رحله فقال: والله؛ لعجب من شيء حدّثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا عن مقالة قائل، أخبره الله عنه بكذا وكذا، للّذي قال زيد بن اللصيت! فقال رجل ممّن كان في رحل عمارة– ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم–: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه، ويقول: إليّ عباد الله؛ إن في رحلي لداهية وما أشعر، اخرج أي عدو الله من رحلي، فلا تصحبني، قال ابن إسحاق: فزعم بعض الناس أنّ زيدا تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل متّهما بشر حتى هلك) اهـ.
وذكره الحافظ في «الإصابة» في القسم الأول، وحكى الاختلاف في توبته، والله أعلم.

(1/751)

قلت: تضمّنت هذه القضية آيتين من آيات النبوّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:
الأولى: إخباره عليه الصّلاة والسّلام عن مقالة ذلك المنافق قبل أن تصل إليه.
والثّانية: إخباره عليه الصّلاة والسّلام بأنّها في المكان الفلانيّ معرفا لهم أنّ شجرة حبستها بزمامها، كأنّه عليه الصّلاة والسّلام يشاهد ذلك، فيخبر عنه رأي عين، وقد وجدوها كما أخبر، ولا غرابة في ذلك، فكم له من آيات تلو آيات لا يأتي على عدّها الحصر!
وفيها من الفوائد: وقوفه عليه الصّلاة والسّلام أمام من أرسله وقوف الخاضع المستمطر لمزيد العلم بقوله عليه الصّلاة والسّلام: «وإنّي والله لا أعلم إلّا ما علّمني ربي» أي: وقد علمه ربه تبارك وتعالى، وهو الذي أدّبه وخلّقه بقوله تعالى:
وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً.
وفيها: زيادة ترقيه صلى الله عليه وسلم في المعارف والعلوم؛ فإنّه تعالى يفيض عليه كل وقت ما لا يعلمه إلّا هو وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ

عَظِيماً
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى.
وفيها: قيام أصحابه بما عرف من صدقهم له، ونصحهم إياه، يعرف ذلك من إخراج عمارة زيدا من رحله لمّا علم

(1/752)

ونزلت يومئذ في مخشن ... وصحبه كُنَّا نَخُوضُ فاعتن
نفاقه؛ فإنّ (من صافى عدوك فقد عاداك) :
إذا صافى صديقك من تعادي ... فقد عاداك وانقطع الكلام
يعني بالصديق: الذي صداقته مموّهة في الظاهر كصداقة المنافقين: أمّا من صداقته حقيقية قد نزلت في الأحشاء، ورسبت في الأعماق، وظهرت آثارها على اللسان.. فمحال أن يصدر منه شيء من ذلك.
وفيها من الفوائد: ترقّي الصحابة رضي الله عنهم كل يوم في الإيمان والعلوم والمعارف، بما يشاهدونه من نبيّ الرحمة، وسيد الرسل صلى الله عليه وسلم.

قصة وديعة بن ثابت ومخشن بن حمير:
(ونزلت يومئذ) أي: يوم تبوك والنّبيّ صلى الله عليه وسلم منطلق إليها (في مخشن) ، بفتح الميم وسكون الخاء بعدها شين معجمة، وهو ابن حميّر مصغرا بالتثقيل من أشجع (وصحبه) من المنافقين منهم وديعة بن ثابت (كُنَّا نَخُوضُ) الآية وهي قوله تعالى إخبارا عنهم لما سئلوا عن قولهم الباطل والكذب: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ. لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً بِأَنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ.

(1/753)

قال ابن إسحاق: (وقد كان رهط من المنافقين– منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة، يقال له: مخشن بن حمير– يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا؟ والله؛ لكأنّا بكم غدا مقرّنين في الحبال؛ إرجافا وترهيبا للمؤمنين، فقال مخشن بن حمير: والله؛ لوددت أنّي أقاضى على أن يضرب كل منا مئة جلدة، وإنّا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه.
وقال رسول الله صلى الله لعيه وسلم فيما بلغني لعمار بن ياسر: «أدرك القوم؛ فإنّهم قد احترقوا، فسلهم عمّا قالوا، فإن أنكروا.. فقل: بلى، قلتم كذا وكذا» فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم،

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله واقف على ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها: يا رسول الله؛ إنّما كنّا نخوض ونلعب، فأنزل الله عزّ وجلّ: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ وقال مخشن بن حمير:
يا رسول الله؛ قعد بي اسمي واسم أبي.
وكان الذي عفي عنه في هذه الآية: مخشن بن حمير، فتسمّى عبد الرّحمن، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيدا لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر) اهـ

وقوله صلى الله عليه وسلم لعمار: «أدرك القوم؛ فإنّهم قد احترقوا» أي: هلكوا بتلك المقالة؛ شفقة منه عليهم، وقول مخشن: (قعد بي ...) إلخ، قال ذلك لمّا تاب، وقال كما رواه ابن جرير الطبريّ في «تفسيره» : (اللهمّ؛ إنّي أسمع آية أنا أعنى بها، تقشعرّ منها الجلود، وتجل منها القلوب، اللهمّ؛ فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك، لا يقول أحد: أنا غسلت، أنا كفنت، قال: فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلّا وجد، غيره) .
قلت: ويستفاد من الآية: إطلاق الطائفة على الواحد، كما يشير إليه كلام ابن إسحاق السابق، وذكر الطبريّ ذلك في «تفسيره» كما أنّه يؤخذ من الآية: أنّ الاستهزاء بالدين كيف كان.. كفر بالله؛ لأنّ المعول عليه في الإيمان تعظيم أوامر الله عزّ وجلّ وشرائعه، ولا ينفع بعد ذلك القول بأنّ هذا وقع خوضا في الحديث ولعبا؛ فإنّه عين كلام المنافقين.

ما كان بعد الوصول إلى تبوك:

وكان على الناظم أن يذكر ماذا كان لما وصلوا إلى تبوك.
وحاصل ما ذكره أرباب السير: أنّه عليه الصّلاة والسّلام لمّا وصل إلى تبوك.. أتاه يحنّة، بضم التحية وفتح المهملة وتشديد النون، ابن رؤبة، بضم الراء، صاحب أيلة، وأهل جربى، بجيم مفتوحة وألف مقصورة، وأذرخ، بهمزة مفتوحة وراء مضمومة، فصالحهم على الجزية، وكتب ليحنة:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم: هذه أمنة من الله ومحمّد النّبيّ رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة: سفنهم، وسيارتهم في البر والبحر؛ لهم ذمة الله، وذمة محمّد النّبيّ، ومن كان معهم من أهل الشام واليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا.. فإنّه لا يحول ماله دون نفسه، وإنّه طيب لمن أخذه من الناس، وأنّه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يريدونه، من بر أو بحر» .
وأقام عليه الصّلاة والسّلام بتبوك بضع عشرة ليلة، أو عشرين ليلة، وقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في مجاوزتها، ولم يكن إذ ذاك وحي، فقال عمر:

يا رسول الله؛ إنّ للروم جموعا كثيرة، وليس بها أحد من أهل الإسلام، وقد أفزعهم دنوّك، فلو رجعنا هذه السنة، حتى نرى أو يحدث الله أمرا. اهـ
قال في «الحلبية» : (وهذا صريح في أنّ تبوك لم يقع فيها مقاتلة، ولا حصل فيها غنيمة، خلافا للزمخشري) .
ثمّ أخذ راجعا إلى المدينة، ولمّا كان ببعض الطريق..
مات الصحابيّ الجليل الشهير بذي البجادين المزنيّ ليلا، قال ابن مسعود رضي الله عنه: فرأيت النّبيّ صلى الله عليه وسلم في حفرته، وهو يقول لأبي بكر وعمر: «أدنيا إليّ أخاكما» فدلّياه إليه، فلمّا هيّأه لشقه قال: «اللهمّ؛ إنّي قد أمسيت راضيا عنه، فارض عنه» قال ابن مسعود رضي الله عنه حينئذ:
يا ليتني كنت صاحب الحفرة.

(1/756)

رضي الله عنه وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وكان قدومه عليه الصّلاة والسّلام المدينة قافلا في شهر رمضان، وبدأ بالمسجد، فصلّى فيه ركعتين، كما هي عادته الشريفة، وسنّته الحسنة المنيفة (فاعتن) أي: لتكن لك عناية بهذه المنظومة المشتملة على مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي تقوي إيمانك أيّها المؤمن، وتزيدك في محبة الرسول الأعظم، وتوصلك إلى القرب من جنابه الشريف وحضرته القدسية، رزقنا الله تعالى وأحبابنا ذلك، وسلك بنا أحسن المسالك.

(1/757)

خاتمة
نسأل الله حسن الختام في خلاصة للكشف عن بعض ما وقع من عام ولادته صلى الله عليه وسلم من الحوادث إلى عام وفاته صلى الله عليه وسلم طلعت شمس الهداية على العالم، وشعّ شعاعها، بل أشرق على الكون نورها، بولادة سيد الوجود، الذي هدى الله به من اتّبع رضوانه سبل السلام، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، وذلك عام الفيل، في فجر يوم الإثنين من شهر ربيع الأوّل، لسبع خلون منه، في بطاح مكة المشرّفة بشعب بني هاشم، مسرورا، محتونا، نظيفا، رافعا رأسه الشريف إلى السماء، شاخصا بصره إليها، وفي ذلك الرفع إلى كل سؤدد إيماء، وقد تلقّته قابلته الشفّاء أم عبد الرّحمن بن عوف، وشفتنا بقولها الشفاء، عليه ألف صلاة وألف سلام.
وفي السنة الرّابعة من مولده صلى الله عليه وسلم: شقّ صدره الشريف، عند ظئره حليمة السّعدية رضي الله عنها.
وفيها: ولد أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه.

وفي السنة السادسة: ماتت أمه آمنة بنت وهب، ودفنت بالأبواء، وتوفي أبوه عبد الله وهو حمل بالمدينة المنوّرة، ونشأ عليه الصّلاة والسّلام يتيما على أحسن الأخلاق وأكملها، ولعلّ السر في ذلك أن تظهر عناية الله به، ولئلّا يكون عليه حق

(1/758)

لسوى خالقه، وليتجلّى فيه معنى قوله صلى الله عليه وسلم:
«أدّبني ربّي فأحسن تأديبي» .
وفيها: ولد عثمان رضي الله عنه.
وفي السنة السّابعة: استقلّ بكفالته جده عبد المطلب سيد قريش.
وفي السنة الثّامنة: كانت وفاة جده عبد المطلب، وكفله عمه أبو طالب.
وفي السنة التّاسعة: سافر به عمه أبو طالب إلى بصرى بضم الباء– من أرض الشام.
وفي السنة العاشرة: كانت حرب الفجار الأولى، بكسر الفاء.
وفي السنة الحادية عشرة: شق صدره الشريف للمرة الثانية.
وفي الثّانية عشرة: كانت حرب الفجار الثانية، وسافر به صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب إلى بصرى عند الأكثر.
وفي الثّالثة عشرة: ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
وفي الرّابعة عشرة: كانت حرب الفجار الثّالثة.
وفي السّابعة عشرة: كان سفر عميه: الزّبير والعبّاس ابني عبد المطلب لليمن للتجارة، وصحبهما النّبيّ صلى الله عليه وسلم.
وفي السنة الخامسة والعشرين: سافر صلى الله عليه وسلم مع ميسرة غلام أمّنا خديجة بنت خويلد رضي الله عنها،

(1/759)

وتزوج صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد حين خطبته لنفسها، لمّا آنست نجابته وأمانته ورجحان عقله.
وفي سنة ثلاثين: ولد علي بن أبي طالب في الكعبة، رضي الله عنه.
وفي سنة أربع وثلاثين: ولد معاوية بن أبي سفيان، ومعاذ بن جبل، رضي الله عنهما.
وفي سنة خمس وثلاثين: هدمت قريش الكعبة وبنتها، وحكموه صلى الله عليه وسلم فيمن يضع الحجر الأسود محله، فحكم فيهم بالرضا والعدل.
وفي سنة سبع وثلاثين: كانت الإرهاصات، وهي مقدمة النبوّة، فكان يرى الضوء والنور، ويسمع الأصوات، وكانت تظله الغمامة من الشمس، ونبئ وعمره أربعون سنة، بنزول:

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ.

وفي السنة الثّالثة من النبوّة: توفّي ورقة بن نوفل.

وفي السنة الرّابعة من النبوة: كان إظهار الدعوة إلى الله تعالى بعد أن كانت سرّا.

وفي السنة الخامسة من النبوّة: ولدت عائشة رضي الله عنها، وكانت الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة.

وفيها: ماتت سميّة أم عمّار بن ياسر، رضي الله عنهم، وهي أوّل شهيدة في الإسلام.

وفي السّادسة من النبوة: أسلم حمزة بن عبد المطلب، ثمّ عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بثلاثة أيام بعده.

(1/760)

وفي السنة السّابعة: تقاسمت قريش على معاداة بني هاشم وبني المطلب، ومقاطعتهم في خيف بني كنانة بالمحصّب، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها بجوف الكعبة ولم يحصلوا على طائل؛ حيث نقضت بعد.

وفي التّاسعة من النبوة: كان انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم، وهي معجزة سماوية، لم تكن لغيره من إخوانه المرسلين.

وفي السنة العاشرة: مات أبو طالب وخديجة رضي الله عنها، وكان صلى الله عليه وسلم يسمي هذا العام عام الحزن لذلك.

وفيها: تزوج صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة رضي الله عنها، ودخل عليها بمكة، وعقد على عائشة رضي الله عنها، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها إلّا في المدينة.

وفي السنة الحادية عشرة من النبوّة: كان ابتداء إسلام الأنصار رضي الله عنهم.

وفي السنة الثّانية عشرة من النبوّة: كان الإسراء والمعراج، وفرض الصلوات الخمس، وبيعة العقبة الأولى.

وفي السنة الثّالثة عشرة من النبوّة: العقبة الثّانية.

وفي السنة الرّابعة عشرة من النبوّة، وهي السنة الأولى من الهجرة: هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، وفي صحبته أبو بكر الصدّيق، وكان الدليل عبد الله بن أريقط.

(1/761)

وفيها: بناء مسجد قباء، وبناء المسجد الأنور ومساكنه صلى الله عليه وسلم، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، واستخدام أم أنس ولدها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره عشر سنين.

وفيها: جعلت صلاة الحضر أربع ركعات، وكانت ركعتين، بعد مقدمه المدينة بشهر.

وفيها: صلّى الجمعة ببني سالم في طريقه من قباء إلى المدينة، وهي أول جمعة جمعت، وأول خطبة

خطبها في الإسلام.
وفيها: بدأ الأذان.
وفيها: أسلم عبد الله بن سلام.
وفيها: مات النقيبان: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور «1» .
وفيها: بعث حمزة رضي الله عنه في ثلاثين من المهاجرين يعترضون عير قريش، وبعث ابن عمه عبيدة بن الحارث رضي الله عنه على مئتين من المهاجرين ليس فيهم أنصاريّ، وهو أول بعث في الإسلام.
وفي السنة الثّانية من الهجرة: حولت القبلة إلى البيت الحرام، وذلك في النصف من شعبان.
وفيها فرض صوم رمضان.

---

(1) ودفنا بالبقيع وهما من الأنصار، أمّا أول من دفن به من المهاجرين: فهو عثمان بن مظعون، فتنبه.

وفيها: فرض زكاة الفطر، وزكاة المال، ومشروعية العيد.
وفي سابع عشر يوم الجمعة من رمضان: كانت غزوة بدر الكبرى.
وفيها: تزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بفاطمة رضي الله عنها، وسنها خمس عشرة سنة، وغزوة بواط والعشيرة، وسرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى بطن نخلة، وغزوة قرقرة الكدر، وسرية سالم بن عمير رضي الله عنه، وغزوة بني قينقاع، وغزوة السويق.
وفيها: موت عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وهو أوّل من مات من المهاجرين بالمدينة المنوّرة، وكان ذلك بعد رجوعه من بدر، وهو أول من دفن ببقيع الغرقد، وقبله النّبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ميت بين عينيه، وعيناه تذرفان، ودفن إلى جنبه ولده إبراهيم، وقال: «الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون» .
وفيها: وفاة رقية بنته عليه الصّلاة والسّلام ورضي الله عنها.
وفي شوال منها: دخل النّبيّ صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها.
وفيها: ولد عبد الله بن الزّبير، والنعمان بن بشير رضي الله عنهما؛ الأول: أول مولود للمهاجرين، والثّاني:
أول مولود للأنصار.

وفي السنة الثّالثة من الهجرة: ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما.
وفي رمضان منها: دخل النّبيّ صلى الله عليه وسلم بحفصة، ودخل بزينب بنت خزيمة العامرية الملقبة

بأم المساكين، وعاشت عنده ثلاثة أشهر ثم توفيت.
وفيها: تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وفيها: تحريم الخمر.
وفي شوال منها: غزوة أحد.
وفيها: استشهد سيدنا حمزة عم النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ورضيع النّبيّ صلى الله عليه وسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد، من ثويبة مولاة أبي لهب، وغزوة حمراء الأسد.
وفي ذي القعدة منها: بدر الصغرى.
وفي السنة الرّابعة من الهجرة: بعث بئر معونة، وقصة الرجيع.
وفي ربيع الأوّل منها: غزوة بني النضير، نزلوا صلحا، وارتحلوا إلى خيبر، ووفاة زينب بنت خزيمة، وولادة الحسين بن علي رضي الله عنهما.
وفيها في شوال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة، هند بنت أبي أميّة رضي الله عنها.
وفي السنة الخامسة من الهجرة: غزوة دومة الجندل، وغزوة ذات الرقاع على قول، وغزوة الخندق والأحزاب على الصحيح، ثمّ غزوة بني قريظة.

وفيها: توفي سيد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه، واهتزّ لموته عرش الرّحمن، ووفد بلال بن الحارث المزني فكان أول وافد مسلم إلى المدينة المنوّرة.
وفيها: غزوة المريسيع والمصطلق، وقصة الإفك، ونزول القرآن ببراءة عائشة رضي الله عنها، ونزول آية التيمم، وتزويجه بزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث، ونزول آية الحجاب، وفك سلمان من الرق رضي الله عنه.
وفي السنة السّادسة من الهجرة: غزوة الحديبية، وبيعة الرضوان، وغزوة بني لحيان، وغزوة الغابة، وسرية عكاشة، ومحمّد بن مسلمة، وبعث أبي عبيدة، وسرية زيد بن حارثة إلى بني سليم، وسريته إلى العيص، وإلى وادي القرى، وسرية عبد الرّحمن بن عوف إلى دومة الجندل، وسرية علي إلى بني سعد بن بكر، وابن عتيك إلى ابن أبي رافع، وسرية عمرو بن أميّة الضمري وسلمة بن أسلم لقتال أبي سفيان بمكة.
وفيها: قحط الناس، فاستسقى لهم الله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسقوا في رمضان.
وفيها: فرض الحج على الصحيح، كما ذكره السيد السمهودي في «وفاء الوفاء» .
وفي السنة السّابعة: غزوة خيبر. وفيها: تزوج صلى الله عليه وسلم صفية، وميمونة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهنّ.

وفيها: قدم مهاجرة الحبشة رضي الله عنهم.
وفيها: أسلم أبو هريرة رضي الله عنه.
وفيها: عمرة القضاء.
وفيها: غزوة وادي القرى.
وفيها: اتّخذ المنبر، وخطب عليه الصّلاة والسّلام.
وفي السنة الثّامنة من الهجرة: في أوّلها إسلام عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم، وغزوة مؤتة، وبها استشهد الأمراء الثلاثة: زيد بن حارثة، الذي نوّه القرآن بذكره وقدره، وجعله النّبيّ صلى الله عليه وسلم هو وابنه أسامة كفئا للقرشيات الهاشميات، ثانيهم: جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الملقب بالطيار، ثالثهم:
عبد الله بن رواحة الخزرجي أحد النقباء ليلة العقبة رضي الله عنهم.
وفي رمضان منها: فتح مكة المشرّفة، وغزوة حنين، ثمّ حصار الطائف.
وفيها: حج عتّاب بن أسيد بالناس.
وفيها: غزوة ذات السلاسل.
وفيها: ولد إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وفيها: توفيت ابنته زينب، وهي أكبر أولاده صلى الله عليه وسلم.
وفيها: إسلام العباس بن عبد المطلب، وأبي سفيان بن الحارث، وعبد الله بن أميّة المخزوميّ، وإسلام أبي قحافة والد الصديق الأكبر، رضي الله عنهم.

وفي السنة التّاسعة من الهجرة: غزوة تبوك، وحجّ أبو بكر بالناس.
وفيها: مات النجاشي بالحبشة في رجب منها، وتوفيت أم كلثوم بنته عليه الصّلاة والسّلام.
وفيها: مات رئيس المنافقين عبد الله بن أبيّ.
وفيها: قتل عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه، قتله قومه أن دعاهم إلى الإسلام، وكان معدودا من دهاة العرب.
وفيها: توفي سهيل بن بيضاء الفهريّ وصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة.
وفيها: قتل ملك الفرس، وولوا بوران، وقال فيهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» .
وفيها: قدوم الوفود على النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وسمي لذلك: عام الوفود.
وفي السنة العاشرة من الهجرة: حجة الوداع، ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سواها.
وفيها: توفي إبراهيم ابنه عليه الصّلاة والسّلام من مارية القبطية عن سنة ونصف.
وفيها: قدوم عدي بن حاتم رضي الله عنه، وبعث علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه إلى اليمن،

وإسلام سيد بني بجيلة جرير بن عبد الله البجليّ، وبعثه إلى تخريب ذي الخلصة، وبعثه أيضا إلى ذي الكلاع.

(1/767)

وفيها: بعث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى أهل نجران.
وفيها: ظهور الأسود العنسي المدّعي النبوّة، وكان بين ظهوره وقتله نحو من أربعة أشهر كما ذكره ابن العماد في «شذراته» .
وفي السنة الحادية عشرة: قدوم وفد النّخع، وسرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى أبنى، وقصة الأسود العنسيّ، ومسيلمة الكذاب، وسجاح، وما وقع في ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم،
وفيها: موته، وغسله، وتكفينه والصّلاة عليه، ودفنه في بيت عائشة رضي الله عنها.
قال العلّامة جمال الدين الأشخر في «بهجته» : (قال الإمام السهيلي: وكان موته صلى الله عليه وسلم خطبا كالحا، ورزءا لأهل الإسلام فادحا، كادت تنهد له الجبال، وترجف الأرض، وتكسف النيران؛ لانقطاع خبر السماء، وفقد ما لا عوض منه، مع ما آذن به موته من إقبال الفتن السّحم، والحوادث الدّهم، والكرب المدلهمة، والهزاهز المعضلة، فلولا ما أنزل الله تعالى من السكينة على المؤمنين، وأسرج في قلوبهم نور اليقين، وشرح له صدورهم في فهم كتابه المبين..
لا نقصمت الظهور، وضاقت عن الكرب الصدور، ولعاقهم الجزع عن تدبير الأمور؛ فقد كان الشيطان أطلع إليهم رأسه، ومدّ إلى إغوائهم مطامعه، فأوقد نار الشنآن، ونصب راية الخلاف، ولكن أبى الله تعالى إلّا أن يتم نوره، ويعلي

(1/768)

كلمته، وينجز موعوده، فأطفأ نار الردة، وحسم مادة الخلاف والفتنة على يد أبي بكر؛ ولذلك قال أبو هريرة: لولا أبو بكر.. لهلكت أمّة محمّد عليه السّلام بعد نبيها.
وقالت عائشة: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها: ارتدت العرب. واشرأبّ النفاق.
روي عن ابن أبي ذؤيب الهذلي [عن أبيه أبي ذؤيب الشاعر] قال: (بلغنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل، فاستشعرت حزنا، وبت بأطول ليلة، لا ينجاب ديجورها، ولا يطلع نورها، فظلت أقاسي طولها، حتى إذا كان قرب السحر.. أغفيت، فهتف بي هاتف، وهو يقول:
خطب أجل أناخ بالإسلام ... بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النّبي محمّد فعيوننا ... تذري الدموع عليه بالتسجام
وذكر خبرا طويلا قال فيه: وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام، فقلت لهم: مه؟

فقالوا: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيت المسجد، فوجدته خاليا، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدت بابه مرتجا– أي: مغلقا– وقيل: هو مسجى قد خلا به أهله، فقلت: أين الناس؟ فقيل: في سقيفة بني ساعدة، فجئت إلى السقيفة، ثمّ قال: فتكلمت الأنصار فأطالوا الخطاب، وأكثروا الصواب، وتكلّم أبو بكر، فلله

(1/769)

دره، لا يطيل الكلام، ويعلم موقع فصل الخطاب، والله؛ لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع.. إلّا انقاد له ومال إليه، ثمّ تكلم عمر بعده دون كلامه، ومدّ يده، فبايعه وبايعوه. ورجع أبو بكر، ورجعت معه، قال أبو ذؤيب: فشهدت الصّلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدت دفنه) .
قال العلّامة العماد إسماعيل بن كثير رحمه الله تعالى:
(والذي نصّ عليه غير واحد من الأئمّة سلفا وخلفا أنّه توفي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين قبل أن ينتصف النهار، ودفن يوم الثلاثاء قبل وقت الضحى) .
ونقله عنه العلّامة الحلبي في «سيرته» ثمّ قال:
(والصحيح: أنّه صلى الله عليه وسلم مكث بقية يوم الإثنين، وليلة الثلاثاء، ويوم الثلاثاء، وبعض ليلة الأربعاء، والسبب في تأخيره: اشتغالهم ببيعة أبي بكر رضي الله عنه حتى تمّت.
ودفن عليه الصّلاة والسّلام في بيت عائشة رضي الله عنها، وقام الإجماع على أنّ هذا الموضع الذي ضمّ أعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض حتى الكعبة المشرفة، بل أفضل بقاع السماء حتى العرش.
وعن أنس رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا.
وقال غيره: وأظلمت الدنيا حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض، وكان أحدنا يبسط يده فلا يراها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا فرط لأمّتي، لن يصابوا بمثلي» .

(1/770)

وفي «مسلم» مرفوعا إليه صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله سبحانه وتعالى إذا أراد بأمّة خيرا.. قبض نبيها قبلها، فجعله فرطا وسلفا بين يديها») اهـ
فيا له من خطب جل عن الخطوب، ومصاب عام دمع العيون؛ كيف يصوب طارق هجم هجوم الليل، وحادث هدّ كل القول والحيل؟ أنشد بعضهم:
ألا يا ضريحا ضمّ نفسا زكية ... عليك سلام الله في القرب والبعد
عليك سلام الله ما هبت الصبا ... وما ناح قمري على البان والرند
وما سجعت ورق، وغنّت حمامة ... وما اشتاق ذو وجد إلى ساكني نجد
وما لي سوى حبّي لكم آل أحمد ... أمرّغ في شوق على بابكم خدّي

اللهمّ؛ صلّ وسلّم وبارك على سيدنا، ونبينا، وشفعينا، وقرّة عيوننا أبي القاسم، وأبي البتول محمّد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرّيته كما صليت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين؛ إنّك حميد مجيد، وعلينا معهم.

*** هذا وقد وقف بي جواد مداد الطروس عن الجري في ميدان شرح هذه المنظومة البديعة في بابها، راجيا من الله تعالى أن يتقبل مني كل ما كتبته من هذا الشرح والتعليق، كما تقبل

(1/771)

أصله، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، ووسيلة للقرب لسيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم، أحظى به يوم النعيم المقيم، وأن يرزقني كمال متابعته، والتحلّي بالعمل بشريعته، وأن ينفع بهذا الشرح المؤمنين، ويحفز بي وبهم إلى التخلّق بأخلاقه العظيمة، ويختم لي ولوالدي، ولمن قرأ هذا الشرح، أو كتبه، أو سعى في شيء منه، ولجميع الأحباب، بخاتمة السعادة التي ختم بها لأوليائه، ويصلح لنا الذرية، وأن يجمعنا في أعلى الجنان من غير سابقة عذاب، آمين آمين يا الله يا حليم، يا عليم، يا علي، يا عظيم، يا كريم، يا معطي السائلين، ومجيز الوافدين.

وكان الفراغ من هذا الشرح– الذي هو القسم الثّاني، جعله الله سببا لغفران الزلّات والصفح– ليلة الأحد الموافق 25 من شهر رجب المحرم سنة ستين بعد الثلاث مئة والألف، من هجرة من له كمال العز والشرف، صلى الله عليه وسلم، وكرّم وشرّف.

*** وانتهيت بحمد الله وعونه من كتابة العناوين الجانبية، ودراسة كتاب «إنارة الدجى في مغازي خير الورى» صلى الله عليه وسلم من تأليف شيخي الشيخ حسن بن محمّد المشّاط بكوالالمبور، ماليزيا مساء الجمعة 5 جمادى الأولى سنة (1413) الموافق 30 أكتوبر سنة (1992) فلله الحمد والمنّة وصلّى الله على خير الوجود سيدنا محمّد بن عبد الله وعلى آله

(1/772)

وصحبه، وجزى الله شارح المنظومة شيخي الشيخ حسن مشّاط خير الجزاء، وتم تصحيحه من قبل الأخوين الدكتور السيد قاسم بن محمد الأهدل، والدكتور صبغة الله غلام نبي قطب الدين تلميذي فضيلة الشيخ حسن محمد المشاط رحمه الله فجزاهما الله خير الجزاء.

عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان

(1/773)

محتوى الكتاب

العنوان الصفحة
القسم الأول ترجمة الشارح 9
الدراسة 14
شروح المنظومة 14
مصادر الشرح 15
صلة الشارح رحمه الله بمنظومة المغازي وتحقيقه نصوصها 16
منهج الشارح رحمه الله تعالى 18
منهج الشارح في التعبير عن رأيه 20
خصائص الشرح 20
القسم الثّاني: الكتاب تعريف بصاحب النظم 37
ترجمة الناظم 37
نظم عمود النسب 37
تاريخ وفاة الناظم 38
تصدير 39
أهمية علم المغازي 40
مصادر الشرح 40
المقدمة الأولى في مشروعية الجهاد 42

العنوان صفحة
تدرّج مشروعية الجهاد 42
بداية مشروعية الجهاد 42
فرض القتال لمن بدأهم به 43
فرض قتال المشركين كافة 43
أقسام الكفار وتحديد علاقاتهم بالنبي صلّى الله عليه وسلّم بعد الهجرة 43
تعامله صلّى الله عليه وسلّم مع الطوائف المختلفة 44
أقسام أهل العهد 45
المقدمة الثانية في المغازي وفضل علمها وتعلمه 47
المراد من المغازي 47
الآثار في فضل فن المغازي 47
أهمية تعلم فن المغازي للأجيال المسلمة 48
المقدمة الثالثة في أشهر من ألف في المغازي 49

المؤلفون الأوائل في علم المغازي 49
منهج أهل السير في الأخذ بالأخبار 54
منظومة المغازي 57
الإجماع على أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم خير الخلق على الإطلاق 84
تحرير مقالة المعتزلة في أفضليته صلّى الله عليه وسلّم المطلقة 84
عموم أدلة رسالته صلّى الله عليه وسلّم في القرآن والسنة 84
الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هي أداء لبعض ما يجب له في أعناق الأمّة 85
آل الرسول صلّى الله عليه وسلّم 86
تعريف الصحابي 86

العنوان صفحة
تعريف التابعي 86
أهمية العلم وأفضليته 88
تعريف الرجز ووزنه 90
ترجمة ابن سيد الناس اليعمري 91
من مصطلحات الناظم ذكر الضمير استغناء عن الاسم الشريف للنبي صلّى الله عليه وسلّم 93
الأقوال في تعريف الإخلاص 95
(1) غزوة ودان عدد غزوات النبي صلّى الله عليه وسلّم 96
الغزوات الكبار 96
موقع الغزوة 97
حاصل غزوة ودان، تاريخها، حامل لوائها 97
مصطلح أهل السير فيما يسمونه غزوة، وسرية، وبعثا 98
(2) غزوة بواط موقع الغزوة 98
عدد أفرادها 98
تاريخها 98
حامل لوائها 98
(3) غزوة العشيرة موقع الغزوة 100
تاريخها 101

العنوان صفحة
حامل لوائها 101
عدد أفرادها 101
الجمع بين الأقوال المختلفة في أول غزوة غزاها صلّى الله عليه وسلّم 101
(4) غزوة بدر الأولى حاصل غزوة بدر الأولى 102
تاريخها 102
حامل لوائها 102
(5) غزوة بدر الكبرى بدر: بئر سميت باسم رجل من غفار 103
تاريخها 103
سبب خروج النبي صلّى الله عليه وسلّم لهذه الغزوة 104
عدد أفرادها 104
حامل لوائها 104
قلة الظهر والسلاح عند المسلمين 104
تعاقب كل ثلاثة من الصحابة على بعير 104
زميلا النبي صلّى الله عليه وسلّم في التعاقب 105
أول خروج الأنصار مع النبي صلّى الله عليه وسلّم 106
رد صغار الصحابة عن الخروج للغزو 106
استشهاد عمير بن أبي وقاص 106
دعاء النبي صلّى الله عليه وسلّم بالبركة لأهل المدينة 106
عدد السيوف لدى الصحب الكرام 106
عدد الخيول 107

العنوان صفحة
استشارة النبي صلّى الله عليه وسلّم أصحابه في طلب العير وحرب النفير 109
موقف الأنصار من خلال استجابة سعد بن معاذ رضي الله عنه لنداء النبي صلّى الله عليه وسلّم 109
موقف المقداد بن عمرو واستجابته لنداء النبي صلّى الله عليه وسلّم 110
استدراك على الناظم 112
تحذير عمر بن الخطاب من قوة قريش 112
تعرف الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر أخبار قريش 113
قصة سقاة قريش 114
تقدير عدد كفار قريش ومن خرج من أشرافهم 115

أمن أبي سفيان على العير ونجاتها 115
سبب أمن أبي سفيان 115
تتبع أبي سفيان أخبار المسلمين والتعرف على تحركهم 116
انحراف العير إلى الساحل 116
رجوع الأخنس ببني زهرة 116
إصرار أبي جهل على عدم رجوع قريش 117
نزول المطر يوم بدر نعمة على المسلمين ونقمة على المشركين 118
المشورة في منزل الحرب 119
مقال عتبة، وحكيم، وابن وهب لقريش في الرجوع عن القتال 121
بعث قريش عمير بن وهب الجمحي متحسسا أخبار المسلمين 122
مفاوضات زعماء قريش على التراجع عن القتال 123
إصرار أبي جهل على الحرب 123
محاولة حكيم بن حزام أبا جهل في الرجوع عن القتال 124
استنشاد أبي جهل ابن الحضرمي بالمطالبة بالثأر من المسلمين 125

العنوان صفحة

مقتل الأسود بن عبد الأسد 125
ابتداء الحرب بالمبارزة 126
استشهاد عبيدة بن الحارث 127
عبيدة بن الحارث 128
الأخوان الحصين والطفيل ابنا الحارث 129
قصة سواد بن غزية مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم 130
قصة تقبيل سواد بن غزية بطن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم 130
عريش النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 131
توجه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم متضرعا إلى الله عزّ وجلّ 131
الإمداد بالملائكة في بدر 132
دعاؤه صلّى الله عليه وسلّم ربه 133
استفتاح أبي جهل 133
آثار حفنة التراب التي رماها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في وجه كفار قريش 134
قتال الملائكة لمساعدة المسلمين 135
الخلاف في قتال الملائكة 135
سماع الطبل في بدر 136

تحقيق العلامة بن مرزوق لسماعه 136
تحقيق المؤرخ الخميس حسين بن محمد 137
الخلاف في نزول جبريل بعد الرسول عليهما السلام 138
التحقيق في نزول جبريل بعد وفاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 138
قصة الرجلين اللذين شاهدا جبريل عليه السلام 139
سعد بن معاذ وحراسته الرسول صلّى الله عليه وسلّم في العريش 140
رأي سعد بن معاذ وعمر في الأسارى 141

العنوان صفحة
استشارة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أصحابه في أسرى بدر 142
موافقات عمر رضي الله عنه 142
الاستشارة في أسرى بدر 143
النهي عن قتل بني هاشم وأبي البختري 144
قتل المجذر بن ذياد لأبي البختري 146
مقالة أبي حذيفة وتكفيرها بالشهادة 148
استشهاد أبي حذيفة رضي الله عنه ومولاه سالم يوم اليمامة 149
تمني أبي حذيفة موت أبيه على الإسلام 149
مقتل أبي جهل 150
إصابة معاذ بن عمرو الجموح في عاتقه 151
من معجزاته صلّى الله عليه وسلّم 151
التوفيق بين الروايات 152
تسمية أبي جهل فرعون هذه الأمة 153
طرح قتلى المشركين في القليب ونداؤهم 155
الاختلاف في إحياء قتلى بدر من المشركين وسماعهم توبيخ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 156
موقف أهل السنة من خبر إحياء قتلى مشركي أهل بدر 157
إخبار الرسول صلّى الله عليه وسلّم بمصارع المشركين بأسمائهم قبل القتال 158
استخلاص العظة من إخبار النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن مصارع كفار قريش قبل المعركة 159
نصر الله الموعود للمؤمنين 159
المغفرة لأهل بدر 160
المعنى الذي ينبغي أن يحمل عليه حديث المغفرة لأهل بدر 161

العنوان صفحة
الحث على سؤال المسلم ربه الفردوس الأعلى 163
يوم بدر أذل الله فيه الشرك، وأعزّ الإسلام 163
الثمانية المتخلفون عن شهود بدر لعذر 164
طلحة بن عبيد الله 165
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل 165
أسباب التخلف 166
ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه وسبب تخلفه 167
توفيق بين الروايتين في سبب تخلفه 168
الحارث بن الصمة رضي الله عنه 168
خوات بن جبير رضي الله عنه صاحب ذات النحيين في الجاهلية 168
عاصم بن عدي العجلاني 169
تحقيق سبب تخلفه عن غزوة بدر 169
أبو لبابة بشير بن عبد المنذر 170
الحارث بن حاطب 171
قباء وحراء 171
خصائص قباء 171
من لم يذكرهم الناظم ممن تخلف عن بدر وكان له سهمها وأجرها 172
بعض الأسرى من قريش 172
أسر أبي عزيز بن عمير 172
مصعب بن عمير رضي الله عنه 172
وصية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بإكرام الأسرى 174
إكرام الأنصار أبا عزيز بن عمير 174
صاحب لواء المشركين ببدر 174

العنوان صفحة
أسر أبي العاصي بن الربيع، ثم فكه 175
استجارته بزينب بنت الرسول صلّى الله عليه وسلّم وإجارتها له 178
حال أبي العاص مع زينب قبل إسلامه 180
التنبيه على الدس على القرطبي في «تفسيره» فيما يخص أبا العاصي وزوجه زينب رضي الله عنهما 181

السبب في عدم التفريق بين زينب وأبي العاص قبل إسلامه 181
أمانة أبي العاصي، وشرفه، وإسلامه 182
أداء أبي العاص الأموال لأهلها من قريش 182
السبب في إعلان إسلامه بمكة دون المدينة 182
رد زوجه زينب إليه 183
نسبة أبي العاص رضي الله عنه إلى أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها 184
ثناء الرسول صلّى الله عليه وسلّم على أبي العاص 185
فداء أسرى بدر 185
خيار النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم للصحابة بين قتل الأسارى أو قبول الفداء 185
عدد الأسارى والهالكين من قريش 187
من مشاهير أسرى قريش 187
عمرو بن أبي سفيان 187
العباس بن عبد المطلب 189
هلاك أبي لهب بالعدسة 190
وصف المغيرة ما لاقاه من كفار قريش في ساحة القتال 191
هلاك أبي لهب والكيفية التي دفن بها 192
وفاة العباس رضي الله عنه 192
عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث 192

العنوان الصفحة
نوفل بن الحارث بن عبد المطلب 193
ذكر جدة 194
وفاة نوفل ن الحارث 194
خالد بن هشام المخزومي، وسهيل بن عمرو العامري 194
سهيل بن عمرو خطيب قريش 194
مكرز العامري ومقامه من فداء سهيل 196
تحقيق الشارح إسلام مكرز العامري 196
عبد الله بن أبي بن خلف، وأبو وداعة السهمي 197
الحارث أول الأسارى فداء 197
خالد بن الأعلم الخزاعي 198
مشاهير من القتلى من مشركي قريش 198
حنظلة بن أبي سفيان 198

منبه بن الحجاج 198
نبيه بن الحجاج 199
حارث بن منبه 199
المستضعفون بمكة في زعمهم الكاذب 199
العاصي بن منبه بن الحجاج 199
مقتل علي بن أمية، وأمية بن خلف 200
علي بن أمية 200
حديث عبد الرحمن بن عوف عن علاقته بأمية بن خلف 200
مصرع أمية بن خلف وابنه 201
مقتل الحارث بن زمعة 202
الأسود بن المطّلب 202

العنوان الصفحة

هلاك زمعة بن الأسود 203
نواح الأسود بن المطّلب على بنيه 203
نياحة قريش على قتلاها 203
إسلام عمير بن وهب 204
الجعل الذي خصه صفوان بن أمية لقتل النّبي صلّى الله عليه وسلّم 204
كشف النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الأمر الذي قدم من أجله عمير إلى المدينة 205
ابنا الفاكهي 205
حكم الذين ادعوا أنّهم مستضعفون وقتلوا ببدر 205
المستضعفون بمكة حقا رضي الله عنهم 206
وصف الوليد، وسلمة، وعياش 207
دعاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بنجاتهم من الكفار 207
سلمة بن هشام رضي الله عنه 208
عياش بن أبي ربيعة 208
تحقيق الشارح أنّ سلمة ليس أخا شقيقا لأبي جهل 209
شهداء بدر من المهاجرين والأنصار 209
عبيدة بن الحارث بن المطّلب 209
عمير بن أبي وقاص 210
عاقل بن عبد ياليل الليثي 210
ذو الشمالين عمير بن عبد عمرو 210

مهجع مولى عمر بن الخطاب أول قتيل من المسلمين 211
صفوان بن بيضاء 211
مبشر بن عبد المنذر 211
يزيد بن الحارث 212

العنوان الصفحة
عوف وأخوه معوذ ابنا رفاعة 212
حارثة بن سراقة 213
رافع بن المعلى 214
عمير بن الحمام 214
التبشير بنصر الله للمؤمنين وهزيمة المشركين 216
دخول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة منتصرا مظفرا 216
وفاء عمير بن عدي الأنصاري بنذره في قتل عصماء بنت مروان 216
ثناء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على عمير لانتصاره لله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم 217
(6) غزوة بني سليم تاريخها 218
عدد المسلمين 218
حامل اللواء 218
(7) غزوة بني قينقاع تاريخها 218
سبب هذه الغزوة 219
براءة عبادة بن الصامت من حلف بني قينقاع 220
تحذير النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم اليهود من نقمة الله عزّ وجل 220
حامل اللواء والمستخلف على المدينة المنورة 221
إصرار اليهود على الكفر، وعداوة المسلمين 222
بيان المقصود من الحديث الشريف: «لو آمن لي عشرة من اليهود ... » 222
المشهورون بالرئاسة من اليهود في عهد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 222

العنوان الصفحة
فساد طبيعة اليهود، وإفسادهم، ووعيد الله لهم 223
اليأس من إيمان اليهود، وبيان خصائصهم الدنيئة 223

الآيات من سورة الإسراء تتحدث عن اليهود 224
تفسير ابن كثير للآيات في سورة الإسراء عن بني إسرائيل من اليهود 224
بنو قينقاع أول من غدر من اليهود 226
إلحاح رئيس المنافقين في إطلاق بني قينقاع 227
إجلاء يهود بني قينقاع إلى أذرعات 228
سبب تسمية المدينة المنورة (طيبة) 228
المدينة المنورة تنفي الخبث 228
ذكر طيبة في التوراة 229
إسلام عبد الله بن سلام 230
المسائل الثلاث التي دلت عبد الله بن سلام على صدق النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 230
إعلان عبد الله بن سلام إسلامه في مواجهة اليهود 231
مرويات عبد الله بن سلام عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم 232
شهادة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعبد الله بن سلام بالجنة 232
وفاته رضي الله عنه 232
(8) غزوة السويق تاريخها 232
عدد المسلمين 232
خليفة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على المدينة 232
سببها 233
نذر أبي سفيان أن يغزو النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 233
اجتماع أبي سفيان بزعماء اليهود للتآمر على المسلمين 233

العنوان الصفحة
أول عيد ضحى فيه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 235
(9) غزوة ذي قرقرة تاريخها 235
معنى (قرقرة الكدر) 235
الخليفة على المدينة 236
حامل اللواء 236
تتبّعه لأخبار العدو 236
الغنائم التي ظفر بها المسلمون 236
(10) غزوة ذي أمر وغطفان موقعها 238
تاريخها 238
سبب هذه الغزوة 238

الخليفة على المدينة المنورة 239
إسلام جبار وتعليمه شرائع الإسلام 239
إسلام دعثور بن الحارث 239
تآمر بني ثعلبة على اغتيال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم 239
مواجهة دعثور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مشهرا سيفه 240
استسلام دعثور وإعلانه الإسلام 240
دعثور رضي الله عنه يحكي لقومه ما شهده لدى عزمه وتمكنه من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم 240
الخلاف في سبب نزول قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ 240
عودة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة 241

العنوان الصفحة

(11) غزوة بحران موقعها 241
تاريخها 241
خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المدينة 241
عودة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة المنورة 242
(12) غزوة أحد خصائص جبل أحد 242
تاريخها 243
سبب هذه الغزوة 243
إعداد قريش للحرب 244
إبلاغ العباس رضي الله عنه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عزم قريش لقتاله 244
العدد والكراع في الجيشين 245
أم الأوس (قيلة) 246
رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتأويلها 246
رؤيا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حق 246
تعبير رؤياه صلّى الله عليه وسلّم 247
استشارة الرسول صلّى الله عليه وسلّم أصحابه في الخروج أو البقاء بالمدينة 248
عزم الرسول صلّى الله عليه وسلّم على القتال 249
اجتهاد الشارح رحمه الله تعالى في تعليل عدول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن رأيه إلى رأي الآخرين 250
خروجه صلّى الله عليه وسلّم للقتال 251

عدد المقاتلة 251
خليفته صلّى الله عليه وسلّم على المدينة 251

العنوان الصفحة

لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك 251
انخزال المنافقين 252
زجر عبد الله بن عمرو بن حرام ابن أبي ابن سلول وجماعته في شد أزر المسلمين 252
تفاؤله صلّى الله عليه وسلّم 253
ما كان من المنافق مربع بن قيظي حين سلك النبي صلّى الله عليه وسلّم حائطه 256
إجازته صلّى الله عليه وسلّم أبناء خمس عشرة ورده من دونهم 257
الصغار الذين ردهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم 257
مصارعة سمرة ورافعا رضي الله عنهما 258
إعطاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم السيف لأبي دجانة 258
تكبر أبي دجانة رضي الله عنه احتقارا للعدو 259
الزبير بن العوام يعرب عن مشاعره تجاه أخذ أبي دجانة للسيف 259
أبو دجانة رضي الله عنه يتغنى بالشعر في ساحة القتال 260
وصف الزبير قتال أبي دجانة للمشركين يوم أحد 260
أول من أشب الحرب 260
استئصال أهل اللواء من المشركين 261
تحريض أبي سفيان قريشا على الحرب 261
تحريض هند والنسوة قريشا على الحرب 262
هند تستحث قريشا على القتال شعرا 262
حملة لواء قريش الهالكين 262
اشتغال الرماة بالغنائم عن الحرب 264
حملة خالد على من بقي من الرماة 265
شؤم مخالفة أمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم 266
شعار المسلمين 266

العنوان الصفحة
إعلان موت الرسول صلّى الله عليه وسلّم كذبا 267
موقف المسلمين بعد الإعلان الكاذب 267
مقالة معتب بن قشير 267
استشهاد سيدنا حمزة 268
رواية وحشي رضي الله عنه قتله لسيد الشهداء 268
استنكار فعلة أبي سفيان بحمزة بعد استشهاده 271
مقتل قزمان العبسي منافقا كما أخبر الرسول صلّى الله عليه وسلّم بذلك 271
استشهاد أصيرم بني عبد الأشهل 272
ثبات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والثابتون معه 273
أبو دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه 274
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه 274
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه 275
شلل يد طلحة رضي الله عنه 275
شعر أبي بكر رضي الله عنه في طلحة 276
طلحة الخير رضي الله عنه 276
ثبات العمرين وعلي رضي الله عنهما 277
سبب نزول قوله تعالى: لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ الآية 277
نسيبة أم عمارة بنت كعب رضي الله عنهما 277
ثناء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على نسيبة رضي الله عنها 279
الجروح التي أصابتها رضي الله عنها 279
ما لقيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم أحد 279
وقوع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في حفرة حفرها أبو عامر 279
كسر رباعية النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 280

العنوان الصفحة
شؤم الآباء على الأبناء 280
دعاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على ابن قمئة 281
عبد الله بن شهاب الزهري 281
وصف جبينه الشريف صلّى الله عليه وسلّم 282
أبو عبيدة رضي الله عنه ينزع بفيه الحلقتين من جرح النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 283
كسر ثنيتيه 283

الصحابة الذين أحسنوا القتال 285
مقدار محبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم 285
استشهاد عمرو بن الجموح وابنه 286
هند بنت عمرو بن حرام تحمل الشهداء إلى المدينة 286
هند رضي الله عنها تخبر عائشة رضي الله عنها أنباء المعركة 286
«إن منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبرّه» 287
كمال إيمان الصحابة رضوان الله عليهم 287
الواجب في حب الصحابة رضوان الله عليهم 287
نصح وتوجيه 288
بلاء قتادة، والمعجزة في حادثة عينه 288
أول من بشّر المسلمين بحياته صلّى الله عليه وسلّم 290
كعب بن مالك رضي الله عنه أول من عرف بحياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم 290
شعراء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المشهورون 291
عودة- الصحابة- للرسول صلّى الله عليه وسلّم 291
نهوض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمعاونة طلحة بن عبيد الله ودعاؤه له 292
صلاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بأصحابه قعودا 293
تمثيل هند بنت عتبة بالشهداء 294

العنوان الصفحة
نشيد هند فرحا بقتل سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه وانتقام قريش لقتلى بدر 295
أول من ولدت هند من الرجال 295
هند بنت أثاثة تجيب هندا زوج أبي سفيان على شماتتها بما حصل للمسلمين 296
استشهاد عبد الله بن جحش كما سأل ربه 297
أول أمير في الإسلام عبد الله بن جحش رضي الله عنه 297
الدعاء الذي دعا به كل من سعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن جحش رضي الله عنهما قبيل المعركة 298
طلب الموت المنهي عنه 299
قاتل عبد الله بن جحش 299
دفنه مع خاله سيد الشهداء رضي الله عنهما 299
أبو رهم كلثوم بن الحصين وما أصابه 299
استشهاد حسيل بن جابر اليماني 300
أي الفتن أشد؟ 300

استشهاد ثابت بن وقش، وأخيه رفاعة، وابنيه الأصيرم، وسلمة 301
عزم حسيل وثابت بن وقش رضي الله عنهما على مشاركة المسلمين قتالهم 301
أول من سمّى المصحف مصحفا 301
استشهاد سعد بن الربيع 303
سؤال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عمّا فعل الله لسعد بن الربيع رضي الله عنه 303
إجابة سعد بن الربيع رضي الله عنه في اللحظات الأخيرة 303
دفن سعد وابن عمه خارجة رضي الله عنهما في قبر واحد 304
استشهاد مخيريق من بني النضير 304
مخيريق الحبر 304
مخيريق يطالب قومه اليهود بالإيمان بالرسول صلّى الله عليه وسلّم 304

العنوان الصفحة
هبته أمواله لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم 304
أول الأوقاف في الإسلام 305
استشهاد مصعب بن عمير وشماس المخزومي 305
شماس المخزومي رضي الله عنه 305
«ما وجدت لشماس شبها إلّا الجنة» 305
دفنه مع الشهداء بأحد 305
عدد الشهداء من المهاجرين والأنصار 306
حمزة سيد الشهداء 306
استشهاد حنظلة غسيل الملائكة 307
رؤيا جميلة زوج حنظلة رضي الله عنهما 307
قاتل حنظلة الغسيل 308
استشهاد عمرو بن الجموح 308
إصرار عمرو بن الجموح على الخروج للقتال 309
رؤيا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عمرو بن الجموح في الجنة 309
عمرو بن الجموح رضي الله عنه سيد قومه 310
سؤال عمر بن الخطاب عن حياة الرسول صلّى الله عليه وسلّم وتوعده 311
تعرف مقصد جيش المشركين 312
مقتل أبيّ بن خلف لعنه الله 313
استشهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه 314
بحث أبي بن خلف عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لقتله 314

مصرع أبي بن خلف على يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم 314
أبو جهل يتأجج نارا في قبره 315
حديث اعتبار وموعظة 316

العنوان الصفحة
العبرة فيما أصاب المسلمين بأحد 317
شؤم المخالفة وسوءها 317
الحكمة في نصر المسلمين مرة، وهزيمتهم أخرى 317
تأخر النصر يستوجب مراجعة المسلمين نفوسهم 317
ابتلاء المسلمين رفع لدرجاتهم 317
الشهادة أعلى المراتب 317
إيجاد الله عزّ وجل الأسباب لهلاك الكافرين 318
(13) غزوة حمراء الأسد موقعها 318
سبب هذه الغزوة 318
تاريخها 318
خروج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبه آثار المعركة 319
عدد الذين خرجوا معه صلّى الله عليه وسلّم 319
السماح لجابر بن عبد الله بالخروج 320
بدء المسير إلى المعركة 320
نداء بلال رضي الله عنه بالخروج للعدو 320
تلبية الصحابة رضوان الله عليهم نداء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم برغم ما بهم من إصابات معركة أحد 320
دعاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم وإخباره عمّا تكون عليه حالهم مستقبلا 321
مدة الإقامة بحمراء الأسد 321
استخلاف ابن أم مكتوم رضي الله عنه على المدينة 321
تخذيل معبد الخزاعي قريشا عن الرجوع للحرب 321

العنوان الصفحة
خزاعة موضع سر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأمانته 321

أبو سفيان بن حرب بالروحاء يعزم الرجوع لمحاربة المسلمين 322
معبد يثبط كفار قريش ويثني عزمهم عن قتال المسلمين 322
رسالة شفهية من أبي سفيان لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم 323
مقتل معاوية بن المغيرة بن أبي العاص لتجسسه لقريش 324
حاصل قصة معاوية بن المغيرة بن العاص 324
إعطاؤه الأمان ثلاثة أيام 325
تجسسه وإهدار دمه 325
مقتل أبي عزة الجمحي الهجاء للرسول صلّى الله عليه وسلّم 325
أسره ببدر واستعطافه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في إرساله 326
نقضه للعهد وخروجه مع المشركين 326
استعطافه ثانية بعد القبض عليه 326
المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين 327
أول رأس حمل في الإسلام على رمح 327
(14) غزوة بني النضير تاريخها 328
غزوات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لليهود أربع 328
سبب هذه الغزوة 328
مؤامرة اليهود على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 329
نصح سلام بن مشكم لليهود بالرجوع عن مؤامرتهم 330
إعلام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بمؤامرتهم عليه 330
استبطاؤه صلّى الله عليه وسلّم 330

العنوان الصفحة

ندم اليهود على مؤامرتهم 330
استخلاف النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ابن أم مكتوم على الصلاة 331
محاصرة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لليهود 331
نزول تحريم الخمر تحريما باتا وسورة الحشر 331
أول آية نزلت في شأن الخمر 332
تحريم الخمر تحريما باتا إلى يوم القيامة 332
سبب نزول سورة الحشر 332
قتل كعب بن الأشرف 333
إخراج بني النضير من ديارهم 333
حث عبد الله بن أبي اليهود بعدم الخروج 333

خروج الرسول صلّى الله عليه وسلّم لقتال اليهود 333
حامل الراية 334
موقف النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من يهود بني النضير بعد شد الحصار عليهم 334
تولّي محمّد بن مسلمة رضي الله عنه إخراج اليهود 334
فيئهم للرسول صلّى الله عليه وسلّم، وقد خصّ به المهاجرين برضا الأنصار 334
تعريف الفيء 334
تعريف الغنيمة 335
سبب إيثار النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم المهاجرين بالفيء 335
دعاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم للأنصار 336
دعوة الرسول صلّى الله عليه وسلّم الأنصار لعرض موقفه من تقسيم الفيء 336
موقف الأنصار النبيل 337
فضل الأنصار بإيثارهم المهاجرين على أنفسهم 337
أول من سن التنازل عن الزوجات للمهاجرين سعد بن الربيع 338

العنوان الصفحة
مؤاخاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم بين عبد الرّحمن بن عوف وسعد بن الربيع 338
الإشادة بموقف الأنصار من المهاجرين رضي الله عنهم 339
(15) غزوة ذات الرقاع استدراك الشارح 340
سبب التسمية 340
الاختلاف في وقت وقوع هذه الغزوة 341
الأسماء الثلاثة لهذه الغزوة 342
خليفة الرسول صلّى الله عليه وسلّم على المدينة 342
مدة غياب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن المدينة 343
غورث وما همّ به من قتل الرسول صلّى الله عليه وسلّم 343
آراء علماء السيرة في تعدد القصة 344
من صفات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم السامية الرفيعة 345
قصة جابر وجمله مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم 345
من لطيف العلم في حديث جابر 348
تشاكل الفعل مع الخبر 348
(16) غزوة بدر الأخيرة تاريخها 349
خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المدينة المنورة 349
نكوص أبي سفيان 349

جيش السويق 350
وفاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم بوعده 350
المسلمون ونعيم بن مسعود 350

العنوان الصفحة
(17) غزوة دومة الجندل موقعها 351
تاريخها 352
سبب هذه الغزوة 352
عودة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة المنورة 353
(18) غزوة الخندق تسميتها 354
تاريخها 354
سببها 354
تحريض اليهود لقريش، وغطفان على حرب الرسول صلّى الله عليه وسلّم 355
مساءلة قريش لليهود وتزوير هؤلاء للحقيقة 355
دعوة اليهود غطفان لحرب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 355
خروج الأحزاب من المشركين للحرب 356
جيوش الكفار من كل قبيل 356
عدد جيش الكفار 356
حفر الخندق 357
استدراك الشارح 357
ارتجاز المسلمين في حفر الخندق 358
تسمية الرسول صلّى الله عليه وسلّم جعيلا عمرا 358
معجزات باهرة وأعلام للنبوة ظاهرة 358
من معجزاته صلّى الله عليه وسلّم: تكثير التمر 358
تكثير الطعام 359

العنوان الصفحة
دعوة جابر رضي الله عنه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ونفرا من أصحابه للطعام 359
دعوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أهل الخندق جميعا لحضور مأدبة جابر رضي الله عنه 359

إخباره صلّى الله عليه وسلّم عن فتوح المدن والأمصار 360
الكدية التي عادت كثيبا 362
اجتماع الجيشين حول الخندق 362
حاملا لواء المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم 363
نقض كعب عهده للرسول صلّى الله عليه وسلّم 363
حاصل ما سبق حيي بن أخطب يقنع كعبا بنقض العهد 364
كعب ينقض عهده 364
تحرّي الرسول صلّى الله عليه وسلّم عن نقض كعب للعهد 365
رسل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم للوقوف على حقيقة بني قريظة 366
غدر بني قريظة ونقضهم للعهد 366
سابقة عضل في نقض العهد 366
استبشار النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بما أخبره رسله 367
شدة خوف المسلمين، وظهور نفاق المنافقين 367
توفيق الشارح بين الروايات المتعددة 367
إرسال ريح النصر، والملائكة للمؤمنين 368
الصبا والدبور وآثارهما على نتائج المعركة 369
مشروع الصلح بين المسلمين وغطفان، وعدم تمامه 369
استشارة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم السعدين في ما ساومه عليه غطفان 370
اقتحام بعض المشركين الخندق 371

العنوان الصفحة
فلتة معتب بن قشير 371
مقتل نوفل المخزومي حين اقتحم الخندق 373
مقتل عمرو بن عبدود بسيف علي 374
تقلد علي بن أبي طالب سيف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودعاؤه له 375
عمرو يتحدّى المسلمين 375
منازلة علي رضي الله عنه عمرو بن عبد ودّ 376
شعار المسلمين يوم الخندق، ويوم بني قريظة 376
تخذيل نعيم بن مسعود للأحزاب عن المسلمين 377
نعيم بن مسعود رضي الله عنه والإشاعات بين صفوف الكفار 377
إيقاع نعيم رضي الله عنه بين قريش وبين حلفائهم اليهود 378
عكرمة رسول قريش وغطفان إلى بني قريظة 378

جواب بني قريظة لقريش 378
دعاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الأحزاب 379
استجابة دعائه صلّى الله عليه وسلّم 379
بعث حذيفة لاستكشاف أمر المشركين 379
بعث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لمعرفة ما فعل الأحزاب 380
نداء أبي سفيان بالرحيل وانهزام المشركين 381
تبشير حذيفة بانهزام المشركين 382
انصراف النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم 383
تأخير الصلاة عن وقتها يوم الخندق 383
الصلوات التي تأخر أداؤها 384
الترجيح بين الروايات المتعددة 384
حكم تأخير الصلاة عن وقتها أثناء الحرب في العصر الحاضر 385

العنوان الصفحة
عدد شهداء المسلمين في هذه الغزوة 385
عدد من هلك من المشركين 385
من هديه صلّى الله عليه وسلّم إذا رجع من غزوة أو غيرها 385
(19) غزوة بني قريظة مساكن بني قريظة 386
أمر الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم على لسان جبريل بقتال بني قريظة 386
سيره صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة 387
أمره صلى الله عليه وسلم صحابته بالصلاة في بني قريظة 389
اجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم في فهم أمره صلى الله عليه وسلم 389
المستفاد فقها من تباين اجتهاد الصحابة لأمره صلى الله عليه وسلم 389
تخيير كعب بن أسد لقومه بين خلال ثلاث ورفضهم لها 390
حصار المسلمين لبني قريظة 390
الخلة الأولى 390
الخلة الثانية 391
الخلة الثالثة 391
رعب اليهود بعد رفضهم للخلال الثلاث 393
طلبهم أبا لبابة وقصته معهم، وتوبته رضي الله عنه 393
استشارة اليهود أبا لبابة رضي الله عنه 393
تحقيق اختلاف الرواية 395

الآية التي نزلت في توبة أبي لبابة 395
نزول الوحي بتوبة أبي لبابة، وبشارة أم سلمة له رضي الله عنهما 396
مناقشة دلالة الآية على توبة أبي لبابة 396

العنوان الصفحة
المعاني المستفادة من قصة أبي لبابة رضي الله عنه 397
تحكيم سعد بن معاذ في قريظة 397
اختيار سعد بن معاذ رضي الله عنه حكما 398
موقف سعد بن معاذ الحازم من بني قريظة 399
أمره صلى الله عليه وسلم بالقيام لسعد بن معاذ 399
سبب تسمية بني نزار 401
مقتل بني قريظة وحيي بن أخطب 402
عدد من قتل من بني قريظة 402
حديث صفية رضي الله عنها عن حب أبيها لها وإضماره عداوة النبي صلى الله عليه وسلم 403
هيئة حيي بن أخطب وهو مقود إلى القتل 403
حديث عائشة رضي الله عنها عن اليهودية عندها 403
مقتل الزبير بن باطيا القرظي 404
موافقة النّبيّ صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس على حقن دم الزّبير وأهله وولده وماله 405
سؤال الزّبير بن باطيا عن مصير زعماء بني قريظة 405
رفض الزّبير البقاء حيا بعد زعماء بني قريظة، وقتله بسيف شفيعه 406
استشهاد سعد واهتزاز عرش الرّحمن لموته 406
شهود الملائكة تشييع سعد بن معاذ رضي الله عنه إلى مقره الأخير 407
خصائص سعد بن معاذ كما يتحدث هو عنها رضي الله عنه 407
قبر سعد بن معاذ رضي الله عنه يفوح مسكا 408
ضمة القبر بالنسبة للمؤمن والكافر 408
من الفوائد المستنبطة من قصة بني قريظة وخبر سيدنا سعد رضي الله عنه 409

(20) غزوة بني لحيان تاريخها 409
هدا الشام: موقعه، ووصفه حاضرا 410

سبب هذه الغزوة 410
غزوة الرجيع 410
بعث الرجيع 411
امتناع عاصم رضي الله عنه عن النزول على عهد كافر 412
غدر بني لحيان بمن أعطوهم الأمان 412
استشهاد خبيب بن عدي 412
بعث النّبيّ صلى الله عليه وسلم عمرو بن أميّة الضمري عينا على قريش 414
وصف خبيب بن عدي بعد أربعين يوما من قتله 414
استشهاد زيد بن الدثنة 415
أحكام وعبر في قصة بعث الرجيع 415
تورية النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى الشام 416
موقع غران 416
عدة بعث الرجيع 417
التوفيق بين الروايتين 417
فتك عضل والقارة بالبعث 418
توفيق بين الروايات 418
بعث بئر معونة 418
موقع بئر معونة 419
جوار أبي براء للبعث، ونقض ابن أخيه له 419

العنوان الصفحة
عدد أفراد بعث بئر معونة 419
قتل عامر بن الطفيل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم 420
استشهاد البعث 420
خفر عامر بن الطفيل عهد عمه أبي براء 420
الغدر بأفراد البعث وقتلهم عدا كعب بن زيد رضي الله عنه 420
حزن الرسول صلّى الله عليه وسلّم على الشهداء، ودعاؤه على القتله 420
دفين الملائكة 421
مهمة البعثين 421
الفرق بين البعث والسرية 422
تعريف البعث 422
تعريف السرية 422

تعريف الغزوة 422
تعريف السرية 423
(21) غزوة الغابة (غزوة ذي قرد) موقعها 423
تاريخها 423
سبب هذه الغزوة 424
عدد أفراد الغزوة 424
بسالة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه في استنقاذ اللقاح 424
ملاحقة سلمة بن الأكوع رضي الله عنه غطفان وفزارة 426
إعطاء سلمة رضي الله عنه سهمين 427

العنوان الصفحة
أمر عيينة بن حصن 427
تعارض الروايات في عدد اللقاح الناجية 428
قصة الوليد بن عقبة ونزول الآية فيها 453
قدوم وفد بني المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 455
موت رفاعة بن زيد كهف المنافقين 456
استدراك الشارح 456
معظم المنافقين كان من الشيوخ 456
نماذج رفيعة من شباب الصحابة رضي الله عنهم 457
زيد بن أرقم 457
قابلية الشباب للخير 458
نعرة جاهلية لجهجاه الغفاري، وسنان الجهني 458
الحكم الشرعي فيمن دعا بدعوى الجاهلية في الإسلام 460
قول منكر لرأس المنافقين، وما نزل فيه من القرآن 460
إعلام زيد بن أرقم الرسول صلّى الله عليه وسلّم بمقال رأس المنافقين 461
حلف رأس المنافقين بالله كذبا 461
تصديق القرآن زيد بن أرقم 463
أول مشاهد زيد بن أرقم رضي الله عنه ووفاته 464
طلب عبد الله ابن رئيس المنافقين تولّي قتل أبيه بنفسه 464
من أمارات النبوة وعلاماتها 465
عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول 466
مدلولات موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول رضي الله عنه من أبيه رئيس المنافقين 466

العنوان الصفحة
حديث الإفك وتبرئة الله للسيدة عائشة الصديقة 467
الآيات الكريمات في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها 474
عظم فوائد هذا الحديث 476
دعاء الفرج 477
براءة أربعة بأربعة 477
مناظرة مسلم نصرانيا 478
مفاخر عائشة وفضائلها 478
نزول آية التيمم 480
الأحكام التي شرعت في هذه الغزوة 480
النهي عن العزل عن النساء 481
حكم التسبب لإسقاط النطفة 482
(23) غزوة الحديبية موقع الحديبية 482
تاريخها 482
سبب الخروج للحديبية 483
استخلاف نميلة بن عبد الله الليثي 483
استنفاره العرب للخروج معه إلى مكة 484
المخلفون 484
عدد أفراد الجيش 484
تكذيب الله المخلفين فيما اعتذروا به 484
خبر بسر بن سفيان الخزاعي عن قريش وصدهم الرسول صلّى الله عليه وسلّم عن مكة 485

العنوان الصفحة
تأهب قريش للمناجزة 485
تجنب الرسول صلّى الله عليه وسلّم لقاء قريش 487
سلوك طريق وعر 487
استغفار المسلمين وتوبتهم 487
تراجع قريش خوفا من المسلمين 488
خبر الناقة وسبب إحجامها 488

من معجزاته صلى الله عليه وسلم فيضان الماء 488
ناجية بن جندب الأسلمي سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم 489
موقف النّبيّ صلى الله عليه وسلم من كفار قريش 489
ما في هذه القصة من الحكم والفوائد 490
معجزة الرسول صلّى الله عليه وسلّم بفوران الماء من بين أصابعه 491
مقارنة بين معجزة نبي الله موسى عليه الصّلاة والسّلام ونبينا محمّد صلى الله عليه وسلم 492
معجزة أخرى بتكثير الطعام القليل 492
بيعة الرضوان تحت الشجرة، وسببها 494
وعد من شهد بدرا والحديبية بالجنة 495
مبايعة سلمة بن الأكوع وسببها 495
عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلى قريش 496
عرض كفار قريش على عثمان رضي الله عنه الطواف بالبيت 496
مبايعة النّبيّ صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه مكافأة له 497
خصال عثمان رضي الله عنه وفضائله 497
سنان بن أبي سنان أول المبايعين 498
بعث خراش الخزاعي إلى قريش 498

العنوان الصفحة
عقر كفار قريش جمل النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام 498
خراش بن أميّة الخزاعي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش 499
بعث قريش سفراءهم إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم 499
أسماء رسل قريش 500
التوفيق بين الروايات 500
كلام الحليس بن علقمة 502
كلام بديل بن ورقاء الخزاعي 503
كلام مكرز بن حفص 503
عودة إلى كلام الحليس بن علقمة 504
سيد الأحابيش الحليس بن علقمة 504
كلام عروة بن مسعود الثقفي 505
رد أبي بكر الصديق رضي الله عنه كلام عروة 505
المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في حراسة النّبيّ صلى الله عليه وسلم 506
عود عروة بن مسعود إلى قريش 506

من مظاهر تفاني الصحابة في حبه صلى الله عليه وسلم 506
بعث قريش سهيلا إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم للصلح 507
تفاؤل النّبيّ صلى الله عليه وسلم بسهيل رسول قريش 507
توصل سهيل إلى الصلح مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم 508
كتاب الصلح 508
علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه كاتب الصلح 508
نص المعاهدة بين النّبيّ صلى الله عليه وسلم وكفار قريش 508
حكمة الرسول صلّى الله عليه وسلّم في إمضاء هذه الشروط 510
تحقيق المحافظة على المستضعفين بمكة 510

العنوان الصفحة

إسلام كثير من كفار قريش 511
إسلام العدد من كبار قريش 512
الفتح في (سورة الفتح) : صلح الحديبية 512
النتائج العظيمة لصلح الحديبية 512
العصيفير جمل أبي جهل 513
التحلل من إحرام العمرة 514
مشورة أم سلمة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم 515
سبب تكرار الدعاء للمحلقين ثم المقصرين 515
الأسباب المحتملة في عدم الاستجابة مباشرة لما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم 515
فوائد قصة التحلل من إحرام الحديبية 516
مشاورة النساء 517
البشارة بقبول عمرة الصحابة 517
عمره صلى الله عليه وسلم 518
شروط الصلح ظاهرها ضيم، وباطنها عز للمسلمين 519
أمر أبي جندل بن سهيل 520
موقف عمر وأبي بكر من شروط الصلح 521
مظاهر فضل أبي بكر على بقية الصحابة رضوان الله عليهم 522
أمر أبي بصير الثقفي 523
خروج أبي بصير إلى ساحل البحر للتضييق على قريش 524
تضرع قريش للنّبيّ صلى الله عليه وسلم لإنقاذها من أبي بصير وأصحابه 525

لحوق أبي جندل بن سهيل بأبي بصير 527
وفاة أبي بصير رضي الله عنه 527

العنوان الصفحة
ما نزل في النساء المهاجرات 528
نزول سورة الفتح 529
مدة إقامة المسلمين بالحديبية 529
صلح الحديبية أعظم الفتح 531
تحقيق الله ما وعد به رسوله صلّى الله عليه وسلّم 532
عمرة القضاء 532
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة 533
أول رمل واضطباع في الإسلام 534
رجز عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم 534
تأويل رؤيا النّبيّ صلى الله عليه وسلم التي رآها 535
وفاء الرسول صلى الله عليه وسلم لقريش بالعهد 535
بناؤه صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين ميمونة 536
(24) غزوة خيبر نميلة بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الخليفة على المدينة 536
وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بخيبر 537
استنفاره صلى الله عليه وسلم من حوله 537
منازل الرسول صلّى الله عليه وسلّم في طريقه إلى خيبر 537
نزوله صلى الله عليه وسلم بوادي الرجيع 537
انخذال غطفان عن اليهود 538
تأهب غطفان لمعاونة يهود خيبر 538
نزول النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالصهباء 538
دعاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم على خيبر 538

العنوان الصفحة
إعطاء الراية لعلي بن أبي طالب 539
الراية العقاب 539

من معجزاته صلى الله عليه وسلم 540
تترس علي بباب الحصن 542
فائدتان 543
الراية واللواء 543
حصون خيبر 544
قتل قاتل محمود بن مسلمة الأنصاري 546
مقتل مرحب اليهودي 547
تعارض الروايات وتقديم ما في الصحيح 547
شعار المسلمين يوم خيبر 548
استنشاد الرسول صلّى الله عليه وسلّم عامر بن الأكوع 548
الحداء الذي أنشده عامر بن الأكوع رضي الله عنه 549
دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعامر بن الأكوع 549
استشهاد عامر بن الأكوع 549
تنبيه لغوي 550
سبب قتل عامر بن الأكوع 550
عدد قتلى اليهود في خيبر 552
شهداء الصحابة خمسة عشر في خيبر 552
استشهاد يسار الراعي 553
قصة إسلام يسار الراعي رضي الله عنه 553
(25) غزوة وادي القرى موقعها 554

العنوان الصفحة
اسمها حديثا 554
فتح الرسول صلى الله عليه وسلم لها، والغنائم التي حصلها منها 554
خبر مدعم غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم 555
مبادرة اليهود بقتال المسلمين 556
(26) غزو مؤتة موقعها 557
تاريخها 557
نسب الروم 557
عدد جيش المسلمين والكفار 558
سبب هذه الغزوة 558
مقتل الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم 558

جيش الأمراء 558
أمراء الجيش 559
توديع النّبيّ صلى الله عليه وسلم للجيش 559
وصية الرسول صلى الله عليه وسلم للجيش 559
بكاء عبد الله بن رواحة خوفا من النار 560
إقدام عبد الله بن رواحة رضي الله عنه 560
تشجيع ابن رواحة الجيش على لقاء هرقل 562
نزول الجيش بمعان 562
عدد جيش الروم 562
تشاور المسلمين في الكتابة للنّبيّ صلى الله عليه وسلم بواقع عدد جيش الروم 562
استشهاد زيد، وجعفر، وابن رواحة 563

العنوان الصفحة
عقر جعفر رضي الله عنه فرسه لما ألحمه القتال 563
الأبيات التي أنشدها جعفر رضي الله عنه عندما أحسّ دنوّ أجله 563
الأبيات التي أنشدها عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قبل استشهاده 564
تأمر خالد بن الوليد 565
إخبار الرسول صلّى الله عليه وسلّم أصحابه بما وقع قبل وصول الخبر 567
قدوم يعلى بن أميّة رضي الله عنه ليعلم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بخبر أهل مؤتة 567
انتصار جيش المسلمين 568
عدد الشهداء من المسلمين 568
قدوم جيش المسلمين إلى المدينة 568
التعريف بالأمراء الثلاثة 569
زيد بن حارثة 569
بيع الطفل زيد بن حارثة في سوق عكاظ وشراء حكيم بن حزام له 569
فقد حارثة لابنه زيد وإنشاده فيه 570
جواب زيد على أبيه شعرا 570
قدوم حارثة إلى مكة وطلبه عودة ابنه زيد إليه من النّبيّ صلى الله عليه وسلم 570
تخيير زيد بين العودة لأبيه، أو البقاء لدى النّبيّ صلى الله عليه وسلم 571
إيثار زيد البقاء لدى النّبيّ صلى الله عليه وسلم على أبيه 571
تبنّي رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة 571
تزوجه زينب بنت جحش 571

تحقيق الشارح اسم زيد بن حارثة رضي الله عنه 572
الخلاف في أول الناس إسلاما 572
الجمع بين الأقوال المختلفة 572

العنوان الصفحة
مناقب زيد 572
ذكره في القرآن باسمه العلم 572
مؤاخاته مع حمزة رضي الله عنهما 573
درجة محبته لدى النّبيّ صلى الله عليه وسلم 574
أربعة توالدوا صحابة 575
أبو قحافة والد سيدنا أبي بكر رضي الله عنهما 575
يعقوب بن محمّد بن أسامة 576
مواليه صلى الله عليه وسلم 576
جعفر بن أبي طالب 578
فاطمة بنت أسد رضي الله عنها 578
الفواطم الثلاث 578
الخمسة المشبهين للنّبي صلى الله عليه وسلم 578
(أبو المساكين) كنية جعفر بن أبي طالب 579
أول مولود في الإسلام بأرض الحبشة 579
قدوم جعفر من الحبشة وإسهام الرسول صلى الله عليه وسلم 579
أولاده 580
إسلام النجاشي على يد جعفر رضي الله عنه 580
مناسبتان سرّ بهما النّبيّ صلى الله عليه وسلم في آن واحد 580
تمثل الشهداء الثلاثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الموت 581
البدع الضارة والعادات الاجتماعية السيئة في بيت الوفاة 581
فخر علي كرّم الله وجهه بقرابته النّبيّ صلى الله عليه وسلم 582
عمر جعفر رضي الله عنه يوم وفاته 582
عبد الله بن رواحة 582

العنوان الصفحة
النقباء العشرة 583
حضوره المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم 583
شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم 583
زوجة عبد الله بن رواحة تحكي فضائله رضي الله عنهما 585
نعي عبد الله بن رواحة نفسه 585
بكاء زيد بن أرقم 586
استثناء الشعراء المؤمنين من الغاوين 586
سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة عن كيفية قوله الشعر 587
دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة 587
مكانته في الجاهلية والإسلام 587
قصته مع زوجته رضي الله عنهما 587
اعتراض على فقه القصة 590
جواب الاعتراض 590
رثاء حسان لجعفر وصاحبيه رضي الله عنهم جميعا 590
(27) غزوة الفتح الأعظم «فتح مكة زادها الله شرفا، وأهلها إنافة وكرما» فتح الفتوح 594
وصف ابن القيم رحمه الله لهذه الغزوة 594
تاريخ هذه الغزوة وسببها 594
قدوم عمرو بن سالم الخزاعي على الرسول صلّى الله عليه وسلّم 595
خزاعة حلفاء عبد المطلب بن هاشم في الجاهلية 597
إعلام الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالمسير إلى مكة المكرمة 599

العنوان الصفحة
بعث الرسول صلّى الله عليه وسلّم ضمرة إلى قريش إعذارا لها 600
تحقق النّبيّ صلى الله عليه وسلم من الواقعة بين بني بكر وبين خزاعة 600
رسالة النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلى قريش وتخييرها بين خصال ثلاث 600
سبب استحسان الشارح ذكر ما سبق عقب قدوم وفد خزاعة المدينة 600
بعث قريش أبا سفيان إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم 601
ندم قريش على عدم قبولهم عرض النّبيّ صلى الله عليه وسلم 601
عودة أبي سفيان إلى مكة بدون نتيجة 601
خبر أبي سفيان مع ابنته أم المؤمنين أم حبيبة 602
حديث أبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 602

استشفاع أبي سفيان بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما 602
استشفاع أبي سفيان بعلي وأهل بيته رضي الله عنهم 602
موقف الزهراء فاطمة رضي الله عنها 603
استنصاح أبي سفيان علي بن أبي طالب فيما أهمه 603
ما كان من هند لزوجها أبي سفيان 603
استبطاء قريش قدوم أبي سفيان واتهامه بدخول الإسلام 603
إشهار أبي سفيان التزامه بعبادة الأصنام 604
مناقشة قريش لأبي سفيان فيما بلغه من رحلته 604
كتاب حاطب بن أبي بلتعة لقريش 604
حديث حاطب رضي الله عنه مع المقوقس 605
استئجار حاطب امرأة لإرسال الخطاب إلى قريش 606
إطلاع الله جلّ وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم على كتاب حاطب رضي الله عنه 606
مضمون خطاب حاطب بن أبي بلتعة لقريش 607
الأسباب التي دفعت حاطبا لمكاتبة قريش 607

العنوان الصفحة

الآية التي نزلت في حادث حاطب رضي الله عنه 608
نص خطاب حاطب لكفار قريش 609
من معجزاته صلى الله عليه وسلم لما أرسل القوم إلى حاملة خطاب حاطب 609
قصة عبد الله بن أبي أميّة وإعراض الرسول صلّى الله عليه وسلّم عنه 610
توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة 610
حذيفة بن المغيرة زاد الركب 610
قصة أبي سفيان بن الحارث وإعراض الرسول صلّى الله عليه وسلّم عنه 611
أبو سفيان بن الحارث ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم 611
إسلام أبي سفيان بن الحارث أخي النّبيّ صلى الله عليه وسلم من الرضاع 611
رثاؤه للنّبيّ صلى الله عليه وسلم 611
شفاعة أم سلمة فيهما 612
وفاته 612
حكمة أم سلمة رضي الله عنها 613
خروج الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلى مكة بجيشه 613
تاريخ خروجه صلى الله عليه وسلم إلى مكة 613
كلثوم بن الحصين المستخلف على المدينة 614

عدد المسلمين 614
تاريخ أنصاب الحرم 617
أول من نصب أنصاب الحرم 617
إرهاب قريش بإيقاد عشرة آلاف نار 618
وادي فاطمة وبعده عن مكة المكرمة 618
فزع أبي سفيان من جيش المسلمين 619
خروج أبي سفيان وعدد من وجهاء قريش لطلب الأمان من النّبيّ صلى الله عليه وسلم 619

العنوان الصفحة
قصة إسلام أبي سفيان وما كان من العباس معه 619
اقتياد أبي سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 619
رغبة العباس رضي الله عنه في خروج أهل مكة لطلب الأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم 619
مقابلة العباس لأبي سفيان وحديثه معه 620
إرداف العباس لأبي سفيان على بغلته 620
مرور العباس بنار عمر بن الخطاب ومقالته لدى رؤية أبي سفيان 621
اشتداد الحوار بين عمر والعباس رضي الله عنهما في شأن أبي سفيان 621
الحديث الذي دار بين النّبيّ صلى الله عليه وسلم وبين أبي سفيان 621
حجز أبي سفيان ليرى جيش المسلمين فرقة فرقة 622
تحذير أبي سفيان قريشا من جيش المسلمين 623
تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما منّ الله عليه من الفتح 624
تدخل عمر رضي الله عنه في الحديث بين النّبيّ صلى الله عليه وسلم وبين أبي سفيان 625
إسلام هند زوج أبي سفيان 625
استعداد حماس بن قيس لقتال الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ثم انهزامه 625
(الزعم) يطلق على معان 625
اختفاء حماس في منزله 627
مظاهر شفقة النّبيّ صلى الله عليه وسلم 629
أمر النّبي صلّى الله عليه وسلّم أمراء الجيش أن لا يقاتلوا إلّا من قاتلهم 629
قصة ابن أبي سرح رضي الله عنه 630
اختباؤه عند عثمان رضي الله عنه 630
إسلامه رضي الله عنه 631

العنوان الصفحة
الوظائف التي تولّاها في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهم 631
اعتزاله الفتنة 631
وفاته رضي الله عنه 631
قصة هبار بن الأسود رضي الله عنه 632
إيذاؤه زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم 632
إسقاط زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاتها 632
إسلام هبار رضي الله عنه 632
دخول هبار على النّبيّ صلى الله عليه وسلم وإشهاره الإسلام 633
طلبه الصفح 634
اعترافه بذنبه 634
رحمة الله سبحانه بعباده 634
شفقة الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته بأمّته 635
مثل من رأفة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وحسن معاملته 636
جزاء المطيعين لله الجنة 638
قرب العبد من ربه وقرب الرب من عبده 638
الإيمان بأحاديث الصفات كما وردت 639
حديث البطاقة 641
عطف الرسول صلّى الله عليه وسلّم على هبار بن الأسود 643
تعبير هبار لإيذائه زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم 643
رضاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم عن أبي سفيان بعد إسلامه، وإكرامه إياه 644
ممازحة أبي سفيان رضي الله عنه للنّبيّ صلى الله عليه وسلم 644
من معجزاته صلى الله عليه وسلم 644
يا نصر الله اقترب 645

العنوان الصفحة
عطف الرسول صلّى الله عليه وسلّم على عبد الله بن أبي أميّة وأبي سفيان ابن الحارث وأهل مكة 645
هل فتح مكة كان عنوة أو صلحا؟ 646

مذهب الشافعي في فتح مكة 646
مذهب الجمهور 646
ما ينبني على قول الجمهور 646
أصل الخلاف بين الشافعي والجمهور 647
اختصاص مكة ببعض الأحكام عن سائر البلاد 647
مناظرة الإمام الشافعي مع ابن راهويه في مكة 648
سؤال إسحاق للإمام الشافعي عن كراء بيوت مكة المكرمة 648
إخبار الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم بما قاله الأنصار بعد الفتح 649
إخبار الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم بما تحدثت به قريش عند أذان بلال 651
سيرة بلال بن رباح رضي الله عنه 652
ما قاله القرشيون في شأن سيدنا بلال رضي الله عنه 653
إخبار الله رسوله صلّى الله عليه وسلّم بما قاله فضالة بن عمير 654
تحطيم الأصنام حول الكعبة 655
خلود سدانة الكعبة في بني طلحة 656
الحديث الذي جرى بين النّبيّ صلى الله عليه وسلم وعثمان بن طلحة قبل إسلامه على باب الكعبة 657
قصيدة حسان يهجو المشركين ويمدح النّبيّ صلى الله عليه وسلم والأصحاب رضوان الله عليهم 658
حكم أخذ الأجرة على دخول الكعبة 658

العنوان الصفحة

(28) غزوة حنين في شوال سنة ثمان موقع حنين 662
أسماء أخرى لهذه الغزوة 662
سبب هذه الغزوة 662
عتاب بن أسيد أمير مكة 663
عدد جيش المسلمين 663
عدد جيش هوازن 663
مالك بن عوف قائد جيش هوازن 663
معارضة دريد بن الصّمّة لمالك بن عوف النصري 664
الملائكة وعيون مالك بن عوف 666
وصف جواسيس مالك لما رأوه 666
تعرف الرسول صلّى الله عليه وسلّم أخبار القوم 666
تحسس عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه أخبار العدو 666

استعارة الرسول صلّى الله عليه وسلّم أدرعا وسلاحا من صفوان بن أميّة 667
توجه النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلى ساحة المعركة 667
التحام القتال وثبات الرسول صلّى الله عليه وسلّم وبعض أصحابه 668
ترجيح الشارح بين الروايات المتعارضة 670
رجوع المسلمين إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم بعد التفرق ثم انتصارهم 671
نداء الرسول صلى الله عليه وسلم جموع المسلمين واستجابتهم له 672
أمثال النّبيّ صلى الله عليه وسلم التي لم يسبق إليها 672
قصة أم سليم بنت ملحان 673
مدد الملائكة للمسلمين 674

العنوان الصفحة
رمي الرسول صلّى الله عليه وسلّم وجوه المشركين بالحصباء 675
معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم 676
تسخير البغلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم 676
نداؤه بمسمع من عدوه 677
أثر الحصباء في صفوف المشركين 677
حكم الرسول صلّى الله عليه وسلّم بأن من قتل قتيلا فله سلبه 678
حديث أبي قتادة الأنصاري عمّا جرى له في المعركة 678
حكم الصديق رضي الله عنه دفع سلب المقتول لقاتله 678
هزيمة المشركين 679
المحادثة بين دريد بن الصمة وقاتله من الأنصار 679
ذكر بعض من ثبت مع الرسول صلّى الله عليه وسلّم يوم هوازن 680
علي بن أبي طالب والعمران وأبو سفيان بن الحارث 680
البهاء والسخاء والفقه في دار العباس 681
أسامة بن زيد ممن ثبت 681
أيمن بن عبيد ممن ثبت 681
قصة شيبة بن عثمان العبدري، وإسلامه بعد قصده الغدر بالرسول صلّى الله عليه وسلّم 681
مسح النّبيّ صلى الله عليه وسلم على صدر شيبة 682
حديث شيبة رضي الله عنه عن إسلامه 682
عزمه على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم 682
نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبة ودعاؤه له 683

صموده دفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 683
كشف النّبيّ صلى الله عليه وسلم ما أضمره شيبة لاغتياله 683

العنوان الصفحة
دفع النّبيّ صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة لشيبة 683
القول في فرار من فر من الصحابة في هذه الغزوة 684
النصر الكبير للمسلمين 685
إبطال محاولة مالك بن عوف التجميع لقومه لإعادة الكرة على المسلمين 686
عدد شهداء المسلمين وقتلى المشركين 686
الغنائم والسبي 686
جمع الغنائم بالجعرانة 686
وصوله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة 686
توقع النّبيّ صلى الله عليه وسلم أن يعاد السبي إلى أهله 687
قدوم وفد هوازن على الرسول صلّى الله عليه وسلّم، ورده السبي إليهم 687
استعطاف وفد هوازن للنّبيّ صلى الله عليه وسلم شعرا 688
رد النّبيّ صلى الله عليه وسلم السبي لهوازن 689
تنازل المهاجرين والأنصار عمّا لهم من السبي 689
تمسّك بعض القبائل بحقها في السبي 690
مفاوضة عيينة في العجوز التي كانت من نصيبه 690
قصة الشيماء بنت الحارث 691
إكرام الرسول صلى الله عليه وسلم أخته وتخييرها 691
سخاؤه صلى الله عليه وسلم في عطاياه 692
عطاؤه السخي صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان وأبنائه رضوان الله عليهم 693
أسماء من أجزل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعطاء 693
عطاياه صلى الله عليه وسلم من الخمس الخاص به 694
مظاهر كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم 694
عطاؤه صلى الله عليه وسلم للمؤلّفة قلوبهم 696

العنوان الصفحة
عطاؤه صفوان بن أميّة رضي الله عنه 696
إسلام صفوان بن اميّة رضي الله عنه 697
ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلّا أعطاه 697
عطاؤه صلى الله عليه وسلم لعمه العباس 698
استدراك على الناظم 698
موقف الأنصار ورضاهم بما فعل الرسول صلّى الله عليه وسلّم بعد خطبته فيهم 699
بعث أبي عامر الأشعري إلى أوطاس 702
مبارزة أبي عامر واستشهاده 703
دعاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم لأبي عامر 704
أبو موسى الأشعري رضي الله عنه خلف أبي عامر 704
دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعبيد أبي عامر 704
ما يستفاد من الحديث 705
(29) غزوة الطائف التعريف بالطائف 705
المسافة من مكة إلى الطائف قديما وحديثا 705
موقف الشارح من وجوه التسمية 707
تحصن ثقيف بحصنهم في الطائف 707
تاريخ الغزوة 707
حصن الطائف 707
حصار ثقيف 708
اعتراض على تسمية العنب كرما والجواب عليه 709
ضرب المسلمين حصونهم بالمنجنيق 709

العنوان الصفحة
أوّل منجنيق رمي به في الإسلام 709
إباء الرسول صلّى الله عليه وسلّم الدعاء على ثقيف 710
سمو أخلاق النّبيّ صلى الله عليه وسلم 710
أشد ما مرّ على النّبيّ صلى الله عليه وسلم من الأحداث 710
دعاء النّبيّ صلى الله عليه وسلم لثقيف رغم إيذائهم 711
مشاورة النّبيّ صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية في فتح الطائف في نفس العام 712
تحرير الرسول صلّى الله عليه وسلّم من خرج إليه مسلما من عبيدهم 712
الموقف المحمود لعثمان بن العاص رضي الله عنه 712

أمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم بالرحيل إذ لم يؤذن له في الفتح هذا العام 713
مظاهر رفق النّبيّ صلى الله عليه وسلم بأصحابه 713
عمرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم من الجعرانة 714
عتاب بن أسيد أمير مكة 714
أهل مكة أهل الله عزّ وجلّ 714
(30) غزوة تبوك موقعها 714
تاريخها 715
سبب هذه الغزوة 716
حث الرسول صلّى الله عليه وسلّم الأغنياء على الإنفاق في سبيل الله 717
تجهيز عثمان ثلث الجيش 717
عسرة المجاهدين 719
حث النّبيّ صلى الله عليه وسلم المياسير على إعانة المعاسير 719
دعاء النّبيّ صلى الله عليه وسلم أن يغاث المسلمون 720

العنوان الصفحة
مقدار ما بلغ بالمسلمين من الشدة 720
البكّاؤون للتخلف عن الجهاد 720
أسماء الصحابة الذين لم تكن لهم قدرة على الخروج لنقص المؤونة 721
بيوت الإيمان وبيوت النفاق 721
الآية الكريمة تصف صدق حالهم 722
موقف المعذرين والمنافقين 722
الآيات في وصف المتخلفين بغير عذر 723
استخلاف علي رضي الله عنه على المدينة 724
تصنيف الذين قعدوا عن الخروج للغزو 724
الثلاثة المؤمنون المتخلفون 724
حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عن تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك 725
تصريح رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهته 726
أصناف المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 727
سؤال النّبيّ صلى الله عليه وسلم عن كعب بن مالك 727
حيرة كعب بن مالك رضي الله عنه في تبرير تخلفه 727
عدد المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 728

كعب بن مالك رضي الله عنه وحديثه الصادق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم 728
عتاب رجال من بني سلمة لكعب على موقفه الصريح 728
وصف حال الصحابة الثلاثة رضوان الله عليهم الذين نهي المسلمون عن كلامهم 729
محاولات كعب رضي الله عنه أن يجد التفاتة من النّبيّ صلى الله عليه وسلم 729
معاناة كعب رضي الله عنه من مقاطعة الصحابة 730
عرض من ملك غسان لكعب بن مالك رضي الله عنه اللجوء إليه 730

العنوان الصفحة
حرق كعب بن مالك رضي الله عنه خطاب ملك غسان 730
أمر الذين خلفوا رضي الله عنهم اعتزال زوجاتهم 730
استئذان امرأة هلال بن أميّة رضي الله عنهما في خدمته 730
إحجام كعب رضي الله عنه عن استئذانه في خدمة زوجه له رضي الله عنهما 731
ذروة الضيق الذي أصيب به الثلاثة رضوان الله عليهم 731
النداء المبشر بالفرج 731
انطلاق كعب رضي الله عنه سريعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم 731
تهنئة النّبيّ صلى الله عليه وسلم كعبا رضي الله عنه بقبول توبته 732
مظاهر سرور النّبيّ صلى الله عليه وسلم 732
الآيات التي نزلت في توبة الصحابة الثلاثة رضوان الله عليهم 732
نتائج الصدق في تجربة كعب بن مالك رضي الله عنه 732
السبب في اشتداد غضب النّبيّ صلى الله عليه وسلم على المتخلفين برغم أنّ الجهاد فرض كفاية 733
السبب في اختلاف التعامل للمنافقين عنه مع المتخلفين 734
قصة إبطاء أبي خيثمة وأبي ذر في الخروج 734
توافق أبي خيثمة مع عمير بن وهب رضي الله عنهما في الطريق إلى تبوك 735
قدوم أبي خيثمة وسلامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم 735
أبو خيثمة رضي الله عنه يذكر سبب إبطائه شعرا 736
سبب إبطاء أبي ذر جندب رضي الله عنه 736
قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قاله بحقه 736
ما تضمنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه من معجزات 737
خروج أبي ذر رضي الله عنه إلى الربذة ووفاته بها 738
مرور الرسول صلّى الله عليه وسلّم بديار ثمود ونهيه عن شرب مائها 738

العنوان الصفحة
خبر الصحابيين اللذين خرجا منفردين وما أصابهما 738
الحكمة في نهيه صلى الله عليه وسلم عن انفراد الصحابة في الخروج في ديار ثمود 739
قصة الرجلين اللذين خالفا النهي 740
وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم البئر التي كانت تشرب منها ناقة صالح عليه الصّلاة والسّلام 740
تنبيهان توفيق الشارح رحمه الله بين بعض الروايات 741
آية وقعت بالحجر استجابة لدعاء الرسول صلّى الله عليه وسلّم 742
استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه لأمّته 744
استسقاء النّبيّ صلى الله عليه وسلم واستجابة المولى عزّ وجلّ لدعائه 745
ذكر النّبيّ صلى الله عليه وسلم لأبي طالب وما قاله فيه 745
استخلاف علي على المدينة 746
تخصيص النّبيّ صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه بسهمين 748
الأجر على قدر الاتباع 748
جهالة الشيعة وافتراؤهم 748
موقف أهل السنة والجماعة من استخلاف النّبيّ صلى الله عليه وسلم عليا كرّم الله وجهه 749
حقيقة مذهب الشيعة 749
حقيقة الخلاف في حب الصحابة بين الشيعة وأهل السنة والجماعة 750
مقالة المنافق زيد بن اللصيت 750
ضياع القصواء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث زيد بن اللصيت 750
إخبار النّبيّ صلى الله عليه وسلم عن موقع ناقته القصواء وما هي عليه 751

العنوان الصفحة
المعجزات النبوية في قصة زيد بن اللصيت 752
الفوائد الجمة من تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الحديث الذي جرى على لسان زيد بن اللصيت 752
قصة وديعة بن ثابت ومخشن بن حمير 753
تثبيط المنافقين للمسلمين عن مواجهة الروم 754
تفسير ما ورد في الحديث 755

إطلاق الطائفة على الواحد 755
حكم الاستهزاء بالدين 755
ما كان بعد الوصول إلى تبوك 755
عهد الأمان من النّبيّ صلى الله عليه وسلم ليحنة بن رؤبة صاحب أيلة 756
مدة إقامة النّبيّ صلى الله عليه وسلم بتبوك 756
وفاة ذي البجادين المزني رضي الله عنه 756
عودة النّبيّ صلى الله عليه وسلم وجيشه إلى المدينة 757
خاتمة نسال الله حسن الختام في خلاصة للكشف عن بعض ما وقع من عام ولادته صلى الله عليه وسلم من الحوادث إلى عام وفاته صلى الله عليه وسلم تاريخ ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم 758
قابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم 758
شق صدره صلى الله عليه وسلم 758
وفاة أمّه آمنة، ونشأته صلى الله عليه وسلم 758
تحكيم قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم في وضع الحجر الأسود 760

العنوان الصفحة
إرهاصات النبوّة 760
نبوته صلى الله عليه وسلم 760
الهجرة إلى الحبشة وأول شهيدة في الإسلام 760
خبر الصحيفة التي كتبت فيها مقاطعة بني هاشم وبني المطلب 761
عام الحزن 761
السنة الأولى من الهجرة وجملة أحداثها 761
أول جمعة في الإسلام 762
تحويل القبلة إلى البيت الحرام 762
أول من مات من المهاجرين بالمدينة ودفن بالبقيع 763
أوائل المولودين للمهاجرين والأنصار 763
أول وافد مسلم إلى المدينة المنورة 765
فرض شعيرة الحج 765
استشهاد الأمراء الثلاثة 766
ولادة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم 766
عام الوفود 767
الخطب العظيم الذي أصاب المسلمين 768

لولا أبو بكر رضي الله عنه لهلكت الأمة 769
أبو ذؤيب الهذلي رضي الله عنه وحاله عند سماعه موت النّبيّ صلى الله عليه وسلم 769
وصف أبي ذؤيب المدينة بعد ما حلّ بها الحدث العظيم 769
وصف المقالات التي دارت في سقيفة بني ساعدة 769
تحديد وقت وفاة النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ويوم دفنه 770
شعور الصحابة وإحساساتهم بعد دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم 770
محتوى الكتاب 775